دراسات

في

تاريخ افريقيا العربية

١٩١٨ - ١٩٥٨

عبد الكريم محمود غرايبه

B.A. (A.U.B.) Ph.D (London)

استاذ معاقد لتاريخ العرب الحديث في جامعة دمشق

المدير العام للآثار في الاردن سابقاً

الطبعة الاولى

مطبعة جامعة دمشق

١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م

دراسات
في
تاريخ افريقيا العربية

١٩١٨ - ١٩٥٨

غرايبة

عبد الكريم محمود غرايبه

B.A. (A.U.B.) Ph.D (London)

استاذ معاقد لتاريخ العرب الحديث في جامعة دمشق

المدير العام للآثار في الاردن سابقاً

الطبعة الاولى

مطبعة جامعة دمشق

١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م

بسم الله الرحمن الرحيم

استفتي السادة العلماء قضاة الاسلام في القرن ٩هـ/ ١٥م « في مؤرخ يذكر تراجم الناس على مايعلم منها من خير وشر ، وقد لامه بعضهم » واعترض عليه معترض فقال له هذا غيبة لاتحل ويجب على فاعله التعزير » .

فأجاب قاضي القضاة شهاب الدين ابن حجر العسقلاني (١٤٤٨/٨٥٢) :

ان كان في الواقعة امر فادح في حق مستور فينبغي ألا يبالغ في افشائه ويكتفي بالاشارة لئلا يكون المذكور وقعت منه فلتة ، فاذا ضبطت عليه لزمه عارها ابداً .. والمشهور بالخير لاتتبع مساويه فانه غير معصوم .

الفهرس

تمهيد

المقدمة

تمهيد

اكتب هذه التقدمة بعد أن تم طبع الكتاب لاقول اني لست راضياً عنه ولا عن نفسي . ولو عدت الآن لكتابته من جديد لما اضفت عليه مادة جديدة لاني قد حملت هذه الدراسة من الحقائق التاريخية ما لا تحتمل اكثر منه . ولكني لم أعد متمسكاً بما قلته عن بعض الاشخاص في صفحات هذا الكتاب لاني اشعر الآن باني كنت قاسياً بعض الشيء . واذا كانت الحقائق التاريخية تبرر هذه القسوة ، فان واقعنا العربي يجعل القسوة امراً ضاراً وخطراً .

لقد عشنا خلال السنوات القليلة الماضية فترة اضطراب كثر فيها التأكيد على وجوب **كشف الخونة** . وكنت انا نفسي الى وقت قريب من المؤمنين بهذه الفكرة . ولكني اشعر الآن بخطأ هذا الاتجاه وخطره على مستقبل الامة . فلقد استغلت وسائل الدعاية عملية الكشف هذه لتزعزع ثقة الامة لا ببعض الزعماء الذين « انكشفوا » بل بجميع الزعماء وبكل شيء . وغدا الاتهام اساساً في حياتنا ، فاتهمنا المخلص حتى صيرناه بالقوة خائنا ودفعناه دفعاً في ركب الخيانة . وغدت تهمة الخيانة سيفاً مسلطاً فوق رأس كل انسان فلم يعد هم الكثيرين ان يخدموا وطنهم ويرضوا ضمائرهم بل سلكوا سلوكا لا يتحملون فيه مسئولية لكي لا يتهمهم احد بالخيانة . وفقد الساسة استقلالهم وجرأتهم على الاجتهاد وتحمل المسئولية .

وأنا لا اعتذر لمن قسوت عليهم لاني لم اظلمهم . ولكني اعتذر الى المواطنين وارجوهم ألا يزعزعوا ثقتهم بمن اعتدنا في السنين الاخيرة على رميهم بتهمة

الخيانة لان كل انسان قد يخطىء . وقد يكون الخطأ دليلا على الجرأة وتحمل المسئولية . وليس من العدل ان نحكم بمقاييسنا الحالية على اعمال افراد كانوا في ظروفهم مخلصين بقدر ما سمح لهم تفكيرهم واجتهادهم . ولن تستفيد الامة من تحطيم الاموات والقضاء على ذكريات حلوة . واذا آمن الشعب بان احدى الذكريات هي « صبح الاماني » فليس من حقنا في هذه المرحلة المضطربة من تاريخنا ان نبرز من الحقائق ما يثبت ان الذكرى الحلوة كانت ذكرى خيانة حتى ولو كانت هي حقاً كذلك .

لقد جمعتني الصدفة في بيروت بعدد من الاصدقاء العراقيين الذين اضطروا لمغادرة بلادهم . وعلمت منهم الكثير عن « ثورة تموز المباركة » وحوادث السحل والهرج والمرج والفتنة التي عمت العراق . ولا يجهل احد منا اخبار « محكمة الشعب » ومذابح كركوك والموصل . لم اكن اعرف بوجود محاكم شعب محلية تنفذ احكامها باسم الشعب بسرعة كبيرة . وادركت ان العراق بشكو كرما في توزيع تهمة الخيانة التي يلصقها كل فريق بالفريق الآخر . وتذكرت ايام الاردن حينما فررت وزوجتي من عمان التي كانت تحتفل بالغاء المعاهدة فاكثر المحتفلون من توزيع التهم وخشيت ان يصيب عمان ما أصاب القاهرة في يوم السبت الاسود . واذا كان المطر الغزير قد حماها آنذاك من مثل هذا المصير اذ مزق شمل اصحاب النوايا السوداء من المحتفلين ، فان المطر لم يسعف الاردن في الشهر التالي . وذهب كثيرون ضحايا للارهاب الحزبي والاحتكار الوطني والعداء الشديد لهما .

ورأيت ان احصر همي بأفريقية لاني شعرت ان نضالها كان اقرب الى الطريق السوي من نضالنا . ولم احجم عن البحث في تاريخ آسيا خوفاً على نفسي او تهربا من البحث . فقد نالني من اذى السياسة ، رغم ابتعادي الشديد عنها ، ما لا يمكن ان ينالني اكثر منه ، وجمعت من المادة التاريخية عن آسيا العربية ما يمكنني من كتابة بحث عنها بسهولة اكثر وبوقت اقصر . ولكني

شعرت ان علاقتي بالاحداث قد تدفعني على غير ارادة مني الى قسوة لا اريدها . واريد من قومي ان يؤمنوا لا ان يشككوا ، وان يفتشوا عن النواحي الوطنية في اعمال الاشخاص ، لا ان يثبتوا خيانتهم . ووجدت نفسي عاجزاً عن التمسك بهذا المبدأ في بحثي عن افريقية ، وشعرت باني سأكون اكثر عجزاً اذا ما كتبت عن آسيا العربية . ويعزيني اننا في بلادنا اشد جهلا بافريقية منا بآسيا العربية ، وان في النضال الإفريقي نواح مجيدة يصح ان نحذو حذوها .

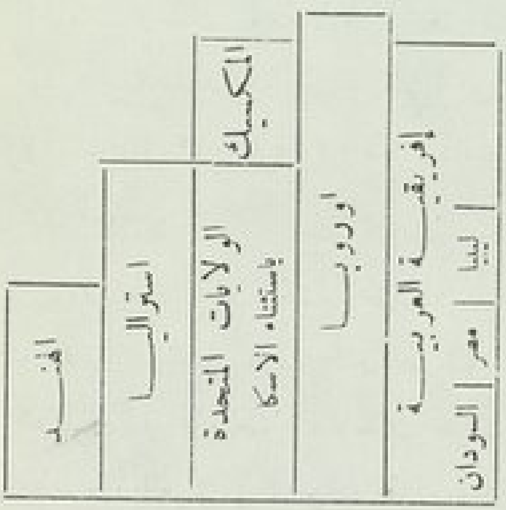
واجد لزاماً عليّ ان اوجه شكري الى طلابي خلال السنوات الماضية الذين افادوا باسئلتهم واحراجاتهم وازعاجاتهم . وكان تعصب الكثيرين منهم لآراء حزبية مختلفة سبباً في اثارة السبيل امامي لكي اقوم بدوري باثارة سبيلهم . وحاولت جهدي خلال هذه الاعوام ان اوضح لهم بان رسالة الاسلام والعروبة هي رسالة تسامح ومحبة وسلام لا رسالة تعصب وحقد وانتقام وتجريم . واردتهم دوماً ان يدركوا ان وصم من خالفهم بالرأي بالخيانة والرجعية ليس من الوطنية والتقدمية في شيء ولا يخدم مصالح هذا الوطن ولا يحقق لهذه الامة الوحدة التي هي الدواء الوحيد لمشاكلنا . واظنهم قد ادركوا ان الوحدة العربية آتية لاريب فيها ولابد من تحقيقها ولكن على اسس من التسامح والمحبة .

وختاماً فانني اوجه شكري العميق الى الهيئات الجامعية التي وافقت على طبع هذا الكتاب في مطبعة جامعة دمشق دون ان تفرض عليّ قيوداً في المنهج او التفكير رغم حساسية البحث . واني اتحمل وحدي مسئولية ما في هذه الدراسة من حقائق وآراء . ويسرني ان اشكر السادة المشرفين على المطبعة والعاملين فيها الذين تحملوا مني الازعاج الكثير .

المقدمة

تحتل إفريقية العربية مساحة تزيد على ثلثي مساحة العالم العربي ويسكنها ثلثا العرب . وهي تشغل مساحة من الارض تقارب مساحة القارة الاوروبية وتساوي مساحة جمهوريتي الولايات المتحدة الاميركية (باستثناء الاسكا) والمكسيك معاً ، وقرابة ضعف مساحة الهند واكثر من ضعف مساحة آسيا العربية .

إفريقيــة العربيــة		
البلد	المساحة ١٠٠٠ كم٢	السكان ١٠٠٠ نسمة
مصر	١٠٠٠	٢٤٠٠٠
السودان	٢٥٠٠	١٠٠٠٠
ليبيا	١٧٦٠	١٥٠٠
تونس	١٥٦	٣٦٠٠
الجزائر	٢١٩١	١٠٠٠٠
مراكش	٥٤٧	١٢٠٠٠
المجموع	٨١٠٧	٦١١٠٠



وينتشر العرب في اماكن اخرى من افريقية ، فيشكلون في بعضها اقلية كبيرة مسيطرة كما هو الحال في زنجبار وبمبا ومنبسه . ويتوزعون في إفريقية على الشكل التالي :

افريقية الشرقية	٥٠٠ ٠٠٠	اكثرهم من عمان وحضرموت
افريقية الاستوائية	٦٠٠ ٠٠٠	اكثرهم من افريقيا الشمالية
السنغال ونجيريا	٢٠ ٠٠٠	اكثرهم من سورية ولبنان
المجموع	١٢٠٠ ٠٠٠	

وهم يشكلون بذلك اكبر جالية عربية تسكن خارج البلاد العربيـة ، واكثر هذه الجاليات ثروة ونفوذا .

وتطورت افريقية العربية خلال تاريخها الاسلامي تطورا مختلفا عن تطور آسيا العربية . فلم يمر بها غزاة كالمغول والتتار ولم تتعرض مدنها ومكتباتها لمثل ما تعرضت له مدن ومكتبات العراق وبر الشام وظلت مراكش بنجاة من الغزاة حتى اوائل القرن الحالي . وتعرضت مصر خلال هذه الفترة لثلاثة غزوات لم تكن مدمرة للتراث العلمي وان كانت ناهبة له . فلم يحرق العثمانيون والافرنسيون والانجليز مكتبات مصر ولم يلقوا بكتبها في النهر او في افران الحمامات ولكنهم لم يترددوا في نقل ما وضعوا ايدهم عليه الى بلادهم . وتعرضت مدن ليبيا وتونس والجزائر لشيء من التخريب والنهب على يد عربان بني هلال والاساطيل الاوربية ، ولكن ذلك لا يقاس بما تعرضت له مدن العراق وبر الشام .

وكانت اكبر نكبة عانتها افريقية العربية هي خسارة العرب للاندلس وصقلية . وتحمل عرب شمال افريقية عبء الدفاع عن هذين المركزين الثقافيين العربيين ، ثم رحبوا باللاجئين العرب من اهلها . وتلقى عرب افريقية صدمة الاستعمار الغربي في عنفوان قوته ، فما ان نشبت الحرب العالمية الاولى حتى كانت جميع افريقية العربية خاضعة لحكم اوروبي .

واتصل عرب افريقية باوروبا اتصالا وثيقا خلال هذه القرون وربما كانوا اكثر العرب اتصالا بها . واتخذ هذا الاتصال اما شكل حملات عسكرية او

سفارات سياسية او بعثات تجارية وثقافية. ولم يكونوا على جهل بما حققته اوروبا من تقدم ولكن ظروف بلادهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية لم تسمح لهم بالمتابعة والاقتباس. ولم يسمح لهم اقتصادهم المضطرب المتأخر بمواكبة ركب المدنية.

ولم يعان عرب افريقية من العقدة التركية العثمانية التي شوهت نضال عرب آسيا. فقد بدا واضحا لهم منذ البداية ان الغرب هو عدوهم الوحيد الذي استعمرهم وحال دون تقدمهم وحرمهم نعم الحرية والاستقلال. ووضحت اهدافهم وبانت لهم طريق النضال فلم يتورطوا بصداقة دولة غربية ليكتشفوا بعد حين انها قد خدعتهم ونكثت بوعودها لهم. فليس عجيباً ألا يشعر عرب افريقية بكبير عطف على عرب آسيا في مراحل نضالهم الاولى التي كبدتها العقدة التركية فدفعت بهم طائعين في احضان الغرب ليفاجئوا بخياناته ونكثه للعهود.

ولم يقاس عرب افريقية ما قاساه عرب آسيا، لاسيما في بلاد الهلال الخصيب بسبب حرب المبادىء العنيفة. وسجلت سورية مثلا اكثر من ثلاثين حزبا وثلاثة دساتير وجمعيتين تأسيسيتين وثماني مجالس نيابية وعشر رؤساء دول واربعاً وخمسين وزارة تناوب رئاستها ٢٨ رئيسا واشترك فيها ١٥٠ وزيرا خلال فترة اربعين سنة. وقاست سورية خلال خمس سنوات من اربع انقلابات عسكرية. وتباعدت عقائد احزابها فكان منها المتدين المتمسك بالاسلام ومنها المعادي للدين الداعي لقيام دولة لا دينية. ولم يكن هذا هو الخلاف الوحيد في الرأي فقد نادى بعضها بالوحدة العربية وعاداها البعض الآخر. ودعت أحزاب الى الاشتراكية وتوزيع الأرض بينما اعتبرت احزاب اخرى حق التملك مقدسا. وساهمت جميعها متعاونة ومتنافرة في تفتيت المجتمع وتهديم العائلة والتشكيك بالدين بل وبكل شيء وبخفض المستوى العلمي وصرف الطلاب عن العلم الى الجدل الحزبي مؤيدين منطقهم بالعنف.

وتعرضت العراق لمثل ما تعرضت له سورية. فقد عرفت عددا مماثلا من

الوزارات والوزراء وثلاثاً وعشرين حزباً وستة انقلابات عسكرية ودستورا واحدا ومجلساً تأسيسيا واحدا وستة عشر مجلسا نيابيا . ولعل اطرف ما في مجالس العراق النيابية ان كل وزارة كانت تأتي بمجلسها النيابي وتحل المجلس القائم « لايجاد تآزر بين السلطتين » . وخرج المجلس العاشر (١٩٣٩ - ١٩٤٣) على القاعدة اذ أتم مدته القانونية فعقد اربع دورات اعتيادية ودورتين استثنائيتين ومائتي جلسة . وأيد هذا المجلس ست وزارات وملكين ووصيين على العرش وعدل الدستور . ثم بدأت المجالس تتساقط . ولوحظ ارتفاع نسبة النواب الذين فازوا بالتزكية بالمجالس النيابية الاربعة الاخيرة . ودخلت في الحزبية عوامل جديدة لانراها في سورية . فقد برزت احزاب ذات صبغة طائفية واحزاب موقتة يؤلفها رؤساء الوزارات وتعيش ما داموا في الحكم . كذلك قامت احزاب تؤكد على النزعات الشعبية والاشتراكية وتقترب من الشيوعية. وامتازت العراق عن غيرها بدستورها ومعاهدتها . فقد عقدت عام ١٩٢٤ معاهدتها الاولى مع بريطانيا التي تكاد موادها ان تكون تكرارا لصك الانتداب ، ثم اصدرت دستورا تتفق مواده واحكام المعاهدة. وعقدت بعدها اربع معاهدات لم تبرم الثانية منها (١٩٢٧) والرابعة (بورتسموت ١٩٤٨) وكادت الثالثة (١٩٣٠) ان تكون صورة عن مشروع معاهدة محمد محمود هندرسون (١٩٢٩)، واستبدلت بها معاهدة ١٩٥٥ وحلف بغداد ، ثم انتهت ارتباطات العراق الرسمية ببريطانيا والحلف في ٢٤ آذار عام ١٩٥٩ .

ولم يحدث مثل ذلك في بلدان افريقية العربية . وكانت مصر اكثر بلدان افريقية شبها بسورية والعراق . وربما كان ساسة سورية والعراق مقلدين للسياسة المصرية مع زيادة في العنف والتطرف . وعرفت مصر عددا من الوزارات والمجالس النيابية والدساتير مماثلا لما رأيناه في سورية والعراق ، الا انها لم تتعرض للفوضى الحزبية التي تعرضت لها سورية والعراق ولبنان والاردن. حقا ان مصر قد عاشت اياما صعبة في ظل الارهاب الحزبي والاضطهاد الوطني

ورأت تكالباً شديداً من الاحزاب على الحكم الا ان هذه الاحزاب كانت تستمر في العيش بعد خروجها من الحكم بينما اندثرت اكثر الاحزاب التي وصلت الى الحكم في سورية والعراق فور خروجها من الحكم . ولجأت الاحزاب والكتل السياسية في سورية والعراق الى الجيش ليصل بها الى الحكم، باسم الدستور والحريات ، ولكن بطريق غير دستوري . اما الاحزاب في مصر فقد ابتعدت عن الجيش ولم تحاول افساده بالسياسة . ولا شك ان المظهر الاسلامي للسياسة المصرية قد جعلها اكثر تسامحاً من الاتجاهات السياسية في العراق وسورية التي اتصفت باللادينية والتعصب .

وبدأت بذور الوعي السياسي الحديث في افريقية قبل اسيا . فقد قام اول دستور ومجلس نيابي في تونس . وصدر عهد الامان (الدستور) في تونس عام ١٨٥٦ وتألف المجلس الكبير (اول مجلس نيابي عربي واول مجلس نيابي في الشرق) في تونس عام ١٨٦٤ . وقام المجلس النيابي الثاني في افريقية ايضا . فقد افتتح في مصر يوم الاحد في ٢٥ تشرين الثاني ١٨٦٦ مجلس شورى النواب المصري الاول والقى فيه الخديوي اول خطاب عرش في تاريخ العرب . وقامت في مصر اول وزارة مسئولة امام ممثلي الامة في ٢٨ آب ١٨٧٨ وتشكل فيها اول حزب سياسي عربي وهو الحزب الوطني في عهد « الثورة » العرابية .

وكانت افريقية العربية مجلية في ميدان التعليم والثقافة . فقد قامت فيها اول جامعة عربية حديثة . فقد تأسست الجامعة الاهلية في مصر عام ١٩٠٨ واصبحت حكومية عام ١٩٢٥ . وعندما احتفلت هذه الجامعة بذكرى مرور نصف قرن على تأسيسها، اشترك في احتفالاتها ممثلو ست جامعات عربية اخرى في افريقية بالاضافة الى ممثلي ثلاث جامعات دينية اسلامية . وغدت نسبة الطلاب الجامعيين الى مجموع السكان في افريقية العربية اعلى منها في بلد عريق بالمدنية كبريطانيا . كذلك قامت في مصر اول مطبعة عربية واول جريدة واول مجلة وقام فيها اول مسرح حديث .

وفاقت افريقية العربية بلدان آسيا العربية في ميدان المواصلات وسبقتهم في هذا المضمار . فقد مدت في مصر اول خط تلغراف وذلك عام ١٨٥٣ . وبلغت نسبة السكك الحديدية في مصر ١٤ كم لكل مائة شخص وهي نسبة مساوية للمعدل الاوروبي. ونمت في مصر والسودان الملاحة النهرية نموا كبيرا. وسبقت مصر البلدان العربية في تأسيس شركات ملاحة بحرية وبناء السفن .

ولعل قناة السويس هي أبرز ما يميز وسائل المواصلات في افريقيا العربية . منح الامتياز بشقها في ٣٠ تشرين الثاني ١٨٥٤ وبوشر بالعمل في ٢٥ نيسان ١٨٥٩ وافتتحت في ١٧ تشرين الثاني ١٨٦٩ . وبلغ طول القناة ١٧٣ كيلومترا وكلف شقها واحتفالات تدشينها زهاء ٢٠ مليوناً من الجنيهات . وقام بالحفر وادارها فيما بعد شركة مصرية مركز ادارتها باريس ويملك الافرنسيون اكثر من نصف اسهمها . واشترت الحكومة البريطانية من خديوي مصر في ٢٥ تشرين الثاني ١٨٧٥ (١٧٦٦٠٢) سهماً واصبحت اوائل هذا القرن مالكة لـ ٤٤ ٪ من اسهم الشركة . وحافظت جميع الدول ، باستثناء بريطانيا ، على حياد القناة ابان الحرب . فقد احترمته فرنسا وبروسيا عام ١٨٧٠ واحترمته روسيا عام ١٨٨٢ وخلال الحربين العالميتين الاولى والثانية . وعقدت الدول فيما بينها ميثاق القسطنطينية في ٢٩ تشرين الاول ١٨١٨ تعهدت فيه بابقاء القناة حرة ومفتوحة دائماً في وقت الحرب والسلم لكل سفينة تجارية او حربية دون تمييز لجنسيتها . ومنعت الدول من اقامة تحصينات حولها . ولكن المادة العاشرة سمحت لصاحب السيادة على مصر باتخاذ التدابير لضمان الدفاع عن مصر واقرار النظام العام فيها .

ونظر المصريون دوما الى القناة والشركة التي تديرها نظرتهم الى لص سلبهم مالهم. وثار الرأي العام المصري على حكومته عام ١٩١٠ لانها بحثت مشروعا لتمديد امتياز الشركة ، ودفع الحماس احد الشبان الى اغتيال رئيس الوزراء . وسعت مصر خلال الاعوام ١٩٣٧ و ١٩٤٩ و ١٩٥٥ الى الضغط على الشركة

للحصول منها على امتيازات جديدة ورفع نسبة الموظفين المصريين وزيادة نصيب الخزينة المصرية من ارباحها . وشعر المصريون دوماً بمرارة نحوها كلما تذكروا بانها كلفتهم نصف نفقات انشائها وحياة عشرين الف عامل مصري واخيراً استقلال مصر وحريتها دون ان ينالوا من المنافع مقابل كل ذلك غير ٧ ٪ من الارباح و ١٦ ٪ من مقاعد مجلس ادارتها في السنوات القليلة الاخيرة . ووقعت مصر اتفاقية الجلاء مع بريطانيا في ١٩ تشرين الاول ١٩٥٤ وتم الجلاء في الثامن من حزيران ١٩٥٦ . واعلن الرئيس عبد الناصر في ٢٦ تموز ، اي بعد اتمام الجلاء بأقل من خمسين يوماً ، تأميم القناة . ولم تتقبل الدول الغربية هذا الاجراء وثارت عليه وخافت على شريانها الحيوي الذي يمر منه اكثر من مئة مليون طن من البضائع . وبدأ الغزو الغربي لمصر في ٢٩ تشرين الاول وتعطلت الملاحة في قناة السويس واغرقت فيها سفن وتوقف الشريان . وجلت القوات الغازية وبوشر بالتطهير الذي انتهى في العاشر من نيسان ١٩٥٧ . وعادت القناة لمثل ما كانت عليه . وقبلت مصر في ٢٩ نيسان ١٩٥٨ (اتفاقية روما) ان تعوض على حملة اسهم الشركة المؤممة فتدفع لهم حتى كانون الثاني ١٩٦٤ مبلغ ٢٨,٣ مليون جنيه . وعادت القناة مصرية خالصة واعترفت الدول بذلك .

هكذا نرى افريقية العربية سابقة لآسيا العربية في ميادين السياسة (الدساتير والاحزاب والمجالس الوزارية) والتعليم والمواصلات بما في ذلك السكك الحديدية والملاحة النهرية والبحرية . واذا كانت آسيا العربية قد سبقتها في التفكير بالوحدة العربية ورفعت رايتها قبلها، الا ان هذه الدعوة لم تستقم وتتخذ شكلا فعالا الا عندما انتقلت الى افريقيا فتبناها عربها وطعموها بفكرة التسامح الاسلامي . وبدأ رئيس وزراء مصر مباحثات الوحدة العربية التي انتهت بتوقيع بروتوكول الاسكندرية في ٧ تشرين الاول ١٩٤٤ وميثاق الجامعة العربية في ٢ اذار ١٩٤٥ . وقامت الجامعة العربية في القاهرة الافريقية . وتردد صداها في ارجاء افريقية العربية

حتى صرح ملك المغرب في طنجة في نيسان ١٩٤٧ بأن مصير بلاده « مرتبط بمصير الشرق العربي وفوز الجامعة العربية » .

وكانت مصر الدولة الافريقية الوحيدة الممثلة في الجامعة العربية عند تأسيسها. اما الاقطار العربية الاخرى في افريقية فقد رزحت كلها تحت الاحتلال الغربي الذي ادعى السيادة عليها وحرمها استقلالها ، ولم تنج حتى مصر من الاحتلال . والآن وبعد مرور خمسة عشر عاماً على تأسيس الجامعة اصبح لافريقية العربية نصف مقاعد الجامعة . فقد انضمت اليها بعد نيلها استقلالها اقطار ليبيا والسودان وتونس والمغرب . وبعد ان كان مجلس الأمن يتردد قبل سنوات في درس قضية تونس باعتبارها قضية داخلية افرنسية ، اصبحت تونس الآن عضواً في مجلس الأمن . ونرجو ان يقترب اليوم الذي نرى فيه جمهورية الجزائر تحتل مقعدها في الجامعة العربية وهيئة الامم المتحدة بعد ان اثبت شعبها في ميدان النضال والتضحية انه احق شعوب العالم بالاستقلال والحرية .

❀ ❀ ❀

العرب في القرن العشرين

١٩١٨ — ١٩٥٨

الحرب العالمية الاولى و نتائجها

نشبت الحرب العالمية الاولى والعرب في حيرة من امرهم لا يدرون اى سبيل يتبعون ، ايحاولون التخلص من العثمانيين والاعتماد على الغرب ام يؤيدون الدولة العثمانية ليتمكن العرب والاتراك معا من صد العدو المشترك الذي كان يهددهما .

وجاءت الحرب لتضع حداً لهذه الحيرة . فقد حزم الغرب امره وقرر ان يخضع العرب لحكمه . فبادر اولا الى اعلان حمايته الرسمية على مصر ثم شرع باخضاع ما تبقى من البلاد العربية في اسيا . وتذكر عرضا كان شريف مكة قد قدمه فبادر السير رونالد ستورز الى الاتصال بابن الشريف (الامير عبد الله) في تشرين الاول ١٩١٤ . وكان هدف بريطانيا الاول ، في رأي ستورز ، هو حرمان الجيش العثماني من نصف مليون جمل يملكها الشريف واتباعه ليضمن بذلك فشل حملة السويس العثمانية . وعقدت بريطانيا معاهدات مع ابن سعود والادريسي وخصصت لهما اعانات شهرية (٥٠٠٠ جنيه شهريا لابن سعود) .

وتردد الحسين الى ان رأى جيرانه من الامراء قد سبقوه في الحظوة لدى

الغرب بينما رأى نفسه عاجزا عن ارضاء العثمانيين . وادرك الحسين ان افكار العرب في سورية مضطربة . واقنعه رجال جمعيتي العربية الفتاة والعهد بوجوب الاتفاق مع الانجليز بل ووضعوا له مسودة لمطاليب العرب فبعث بها جوابا للمندوب السامي البريطاني في مصر .

وماطل الانجليز وتزايد الخطر على الحسين واعدمت القافلة العربية الاولى في بيروت ووصلت الحملة الالمانية الى المدينة المنورة . واصبح الحسين في وضع لا يمكنه من الاطالة فوافق في اول كانون الثاني ١٩١٦ على تأجيل المسائل المختلف عليها الى مابعد الحرب . واعلن الحسين الثورة في ٩ شعبان ١٣٣٤/١٠ حزيران ١٩١٦، اي بعد شهر من اعدام افراد القافلة الثانية .

وكان اعلان الثورة العربية في حزيران وتنصيب الحسين نفسه ملكا على الامة العربية في الثاني من تشرين الثاني (٦ محرم ١٣٣٥) حدثان كبيران بارزان في تاريخ العرب الحديث . وقد تختلف الاراء في اهمية هذه الثورة وفي الدوافع البعيدة والقريبة التي حدت بالحسين الى اعلانها . واذا جاز للبعض ان يشككوا بنيات الحسين واولاده وان يرموه بمختلف التهم فان هنالك شيئاً واحداً لا يجوز انكاره والتغاضي عنه . فقد نظر عرب اسيا الى هذه الثورة نظرة جدية وفهموها فهما يختلف عما ينسب الى الحسين واولاده . لقد رأى العرب فيها ثورة تحررية واول دعوة عملية للوحدة والاستقلال ينادي بها عربي فيلتف حوله عرب من اقطار عديدة يقدمون ارواحهم رخيصة في سبيل مجد الامة العربية . لقد رأى العرب آنذاك في هذه الثورة دعوة للقوة والوحدة والاستقلال وحربا على الطائفية والاقليمية والضعف . وعبر فؤاد الخطيب عن شعور العرب آنذاك بقوله :

لبيك بارض الجزيرة واسمعي ... ماشئت من شدوي وانشادي
انا لا افرق بين اهلك انهم ... اهلي وانت بلادهم وبلادي
ولقد برئت اليك من وطنية ... عرجاء تؤثر موطن الميلاد
ومن اشترى استقلاله بدمائه ... لم يستنم لاذى ولاستعباد

ولعل الانجليز قد شعروا بهذا الخطر الجديد الذي وحد مشاعر عرب آسيا وهم لا يريدون توحيد المشاعر حتى ولو كان ذلك في صالحهم . ولمسوا في الحسين وطنية اسلامية قد تؤلب عرب آسيا ضدهم في المستقبل . فاستعانوا عليه بابنه الذي جعلوه نبي الوطنية واستغلوه في خلق البلبلة في نفوس العرب الذين كانت أفكارهم نهباً للنزاع بين الوطنية الاسلامية والوطنية القومية . ونجح لورنس في خلق حركة جديدة « تحل المثل العليا السياسية مكان الوحي والالهام » وتنادي بسورية دولة تستبدل مثلها الاعلى الديني بمثلها الاعلى الوطني . واندفع فيصل منادياً بأن العرب شعوب مختلفة باختلاف الاقاليم ولا يمكن ان يخضعوا لقانون واحد .. وان الظروف ليست مناسبة لجعل العرب أمة واحدة وحكومة واحدة . لذا طالب فيصل بتأسيس حكومات عربية ، وبأن تكون سورية بحدودها الطبيعية دولة مستقلة لا علاقة لها بسائر البلدان العربية . ولم يكن الحسين راضياً عن أعمال وأقوال ابنه ولكنه عجز عن ايقافه عند حد .

نتائج الحرب العالمية الأولى :

وأتت الحرب بنتائج عديدة خطيرة للعالمين العربي والاسلامي أهمها :

١ - سيطرة الغرب على كافة أرجاء العالم الاسلامي باستثناء اليمن .

٢ - زوال العائلات المالكة الاسلامية والعربية باستثناء تلك التي حماها الغرب .

٣ - بروز أهمية الأقليات .

٤ - ازدياد الروابط بين الحركة الوطنية في آسيا العربية والحركة الوطنية في افريقيا العربية بعد ان غدا عدوهما واحداً .

٥ - انتهاء امر الخلافة .

كانت أهم النتائج المباشرة لتلك الحرب هي وقوع أكثر بلدان العالم العربي تحت الاحتلال والحكم المباشر الاوروبي . ولاول مرة في تاريخ الاسلام

تمكن المسيحيون من السيطرة على قلب العالم الاسلامي . فاحتلت بريطانيا اكثر بلاد ايران وجزءاً من تركيا بالاضافة الى العراق واكثر سورية ومصر والسودان واكثر السواحل الجنوبية والشرقية من الجزيرة العربية . وتناول ملك الحجاز وسلطان نجد رواتب شهرية من الحكومة البريطانية مقابل تنازلهما عن جزء من سيادتهما لبريطانيا . وخضع للنفوذ البريطاني امام عسير وشيخا الكويت والبحرين وسلطانا عمان وحضرموت وشيوخ الساحل المهادن والمحميات الملحقة بعدن. واحتلت فرنسا ارض تونس والجزائر والمغرب وجزءاً من سورية كما ثبتت ايطاليا نفسها في ليبيا . وكادت افغانستان ان تصبح محمية بريطانية . ولم ينج من النفوذ الغربي او الاحتلال الغربي غير بلد عربي اسلامي واحد هو اليمن التي كان اميرها وامامها يحيى الحاكم المسلم الوحيد الذي لم يرتبط بدولة اوروبية .

ولو نظرنا الى القضية من زاوية عدد السكان او الموارد الاقتصادية او المساحة لما كان ما حدث شيئاً غريبا على العالمين العربي والاسلامي . فقدخضع القسم الاكبر من العالم الاسلامي لدول اوروبية خلال القرن التاسع عشر . اذ استولت الدول الاوروبية على اطراف العالم الاسلامي وهي اكثر سكانا وثروة من قلب العالم الاسلامي . اذ يزيد عدد المسلمين في الهند او في جزر الهند الشرقية على عدد مسلمي القلب (الايرانيين والاتراك وعرب آسيا) . وكلا المنطقتين الآنفتي الذكر اكثر ثراءاً من القلب الذي اشتهر بجفافه وصحاريه ولم يكن قد اشتهر بعد ببتروله . الا ان مسلمي الاطراف ، رغم كثرتهم العددية ، كانوا اقليات في البلدان التي عاشوا فيها وخضعوا لحكم دول غير اسلامية . اما مسلموا القلب فقد عاشوا طوال التاريخ في ظل حكومات اسلامية لذا نظر اليهم مسلمو الاطراف بكثير من التبجيل والامل والعطف.

لم يتعرض قلب العالم الاسلامي للغزو المسيحي الا في عهد الحروب الصليبية وعهد نابليون . وحرصت بريطانيا اثر احتلالها مصر عام ١٨٨٢ على ابقاء مصر

عثمانية رغم كون هذه التبعية العثمانية اسمية . واكتفى الغرب خلال القرن التاسع عشر بغزو القلب سياسيا واقتصاديا وثقافيا دون أن يتخذ هذا الغزو صفة عسكرية يتبعها احتلال وحكم مباشر .

وكانت النتيجة الثانية للحرب العالمية الاولى هي زوال العائلات المالكة التي لم تدعمها حراب اجنبية . فزال آل عثمان فور جلاء الجيوش الاجنبية عن تركيا ، وسقط القاجار اثر جلاء الانكليز والروس عن ايران . كذلك زال الهاشميون من الحجاز والادارسة من عسير فور قطع الاعانات البريطانية عنهما . وحدث مثل ذلك في بلاد الافغان . وثبتت العائلات التي نجحت في نيل مساعدة الغرب . فقد ثبت الانجليز عروشاً للهاشميين في العراق والاردن ودعموا عرش ابن سعود في نجد والحجاز وحموا عرش عائلة محمد علي في مصر . كذلك سند الانكليز الشيوخ والامراء في الخليج الفارسي وجنوب الجزيرة . ونالت العائلة الحسنية في تونس والسلطنة الشريفية في مراكش حماية الحراب الافرنسية من الوطنيين . ولولا هذه الحراب الاجنبية لما بقي في العالم العربي عرش قائم بعد الحرب العالمية الاولى الا عرش الامام يحيى .

والنتيجة الثالثة للحرب العالمية الاولى هي بروز الاقليات في العالم العربي كعنصر خطر . وتشددت حكومتا ايران وتركيا في تنقية شعبيهما من الاقليات عن طريق الصهر والهجرة والابادة واتبعتا مبدأ القضاء على الاقليات التي لاتستطيع ان تقرن مصيرها بمصير الاكثرية . اما في العالم العربي فقد مالت الاقليات الى قرن مصيرها بمصير الاكثرية وشاركت بقوة في الحركات الوطنية .

وارتفعت نسبة الاقليات في قلب العالم الاسلامي بحيث غدت خطراً يهدد كيانه ووحدته القومية والسياسية . وتشكل الاقليات قرابة عشرة بالماية من سكان العالم العربي . وترتفع هذه النسبة كثيراً في بلدان الهلال الخصيب حيث لايزيد عدد العرب السنيين على نصف السكان بكثير .

وروع العالم العربي في القلب بدخول اقلية جديدة غير قابلة للاندماج .

ففي الذكرى الاولى لاعلان الحسين نفسه ملكا على الامة العربية نال اليهود وعد بلفور. وخطا فيصل خطوة جديدة مناقضة للمبادىء التي نادى بها والده. فقد اقنعه مستشاروه العرب بتوقيع اتفاقية مع وايزمن في اوائل كانون الثاني ١٩١٩ تنازل بموجبها عن فلسطين لليهود وتعهد بالاعتراف بدولة يهودية فيها وبالتعامل معها. وبرر فيصل ورفاقه موقفهم بانهم يبغون كسب عطف ويلسون ولويد جورج ووايزمن وكليمنصو ولورانس. وكان الاعجاب بالانجليز قد بلغ بمستشاري فيصل حداً كبيراً دعا أحدهم لان يقول: الانجليز يا أخي يختلفون عن بقية الناس، هم وحدهم ممتازون نزلوا من السماء في قفة ويجب ان ندرس هؤلاء ونفهمهم ونتفاهم واياهم، هم لازمون لنا. فلا عجب ان تقبل هؤلاء المستشارون نصيحة الانجليزي لورنس الذي كان شديد الحماس للصهيونية.

أما النتيجة الهامة الرابعة للحرب فهي ازدياد العلاقات بين عرب آسيا وعرب افريقيا وتوحيد شعورهم ضد المستعمر الغربي. وكان مناضلو آسيا العربية يرون قبل الحرب ان عدوهم الرئيسي هو الدولة العثمانية الاسلامية فلم يروا بأسا في الاستعانة بالغرب المسيحي للتحرر من الكابوس العثماني الاسلامي. ولم يتعرض مناضلو آسيا العربية للنشاط الاستعماري الغربي الذي قاست منه افريقيا العربية ولم يفكروا بمقاومته او حتى شجبه. ولم يشعر مناضلو افريقيا بمرارة الكابوس العثماني بل شكوا مر الشكوى من الاستعمار الغربي وحاربوه وحاولوا الاستعانة بالدولة الاسلامية. ولا شك انهم استغربوا هذا الانحراف في تفكير مناضلي آسيا العربية وربما رأوا فيه خيانة واضحة صارخة. وتجنب مناضلو آسيا العربية كل اتصال مع مناضلي افريقيا لكي لا يغضبوا اصدقائهم الاوروبيين.

ولكن الحرب العالمية الثانية قومت تفكير مناضلي آسيا العربية بعد ان اقتنعوا بصحة موقف مناضلي افريقيا من الاستعمار الغربي. فقد اشترك عرب آسيا بالحرب الى جانب الغرب وكبدوا عدوهم اكثر من ٢٥٠٠٠ اسير و ٧٠٠٠ جريح وقتيل وجمدوا نشاط ثلاثين الف جندي عثماني حوصروا في معان والمدينة.

وحققت قوة عربية نظامية صغيرة ، لم يزد عدد افرادها على عشرة آلاف ولم تزد نفقاتها على مليون جنيه ، ما عجز عن تحقيقه قوات اكثر عدداً وعدة ومالا . واخرجت من ميدان القتال سبعة امثال عددها من قوات العدو . وظن عرب آسيا ان الحلفاء الغربيين قد خاضوا الحرب لانصاف المغلوب والاخذ بناصر الحق لافرق احد على الآخر في الصدق وحسن النية والاخلاص ..»

واشترك عرب آسيا في مؤتمر الصلح . وترأس فيصل بن الحسين الوفد العربي للمؤتمر المذكور . ولكن هذا الوفد كان قد فقد ثقته بنفسه وبأمته وبوعود حلفائه فسلك سياسة واقعية عملية تستهدف ارضاء انجلترا وامريكا ومجاملة فرنسا وعدم اغضاب اليهود لذا لم يلتفت الوفد الى مطالب تونس ولم يتصل بأعضاء الوفد التونسي الذي جاء باريس ليعرض قضية بلاده . وخشي الوفد العربي ان يؤدي تأييده او مجرد اتصاله بالوفد التونسي الى اغضاب فرنسا وتعريض الادارة العربية في سورية للخطر . ووقف موقفاً مماثلا من وفد مصر الذي ترأسه سعد زغلول لئلا يغضب بريطانيا . ولكن هذه التضحيات وهذه المواقف لم تفد عرب آسيا شيئاً وخضعوا الاستعمار مماثل للذي خضع له عرب افريقيا .

الخلافة

ولعل اخطر نتائج الحرب العالمية الاولى هي الاهانة الكبرى التي لحقت بالخلافة وادت الى القضاء عليها نهائياً لاول مرة في تاريخ العرب والاسلام . فقد اعتلى عرش الخلافة والسلطنة في الثالث من تموز ١٩١٨ السلطان الخليفة وحيد الدين محمد السادس . ولم يكن للسلطان من الامر شيئاً بسبب تحكم الاتحاديين . ولكن هدنة موندروس في ٣٠ تشرين اول ١٩١٨ قضت على الاتحاديين فخيل للسلطان ان الهزيمة والهدنة كانتا في صالحه . وعهد الخليفة السلطان في ٤ آذار ١٩١٩ الى الداماد فريد باشا بتشكيل وزارة تستطيع مفاوضة الحلفاء .

ولكن روع الاتراك والمسلمون في منتصف ايار ١٩١٩ بنزول القوات اليونانية في ازمير وارتكابها الكثير من الفظائع . وهاج الرأي العام وبدأت حركة عصيان في الاناضول ودعي الى مؤتمر وطني في ارضروم حدد يوم الثلاثين من ايار موعداً لانعقاده . وارسل الداماد ، بضغط من الحلفاء ، حملة عسكرية بقيادة مصطفى كمال باشا لاخماد الفتنة . ولكن مصطفى كمال انضم بجيشه الى الحركة الوطنيـة . وانعقد المؤتمر في الثالث والعشرين من تموز ودام حتى السابع من آب واتخذ قراراً بالدعوة الى النضال .

ولم تنجح محاولة الداماد باعلان مصطفى كمال عاصياً فاضطر الى الاستقالة وخلفه في الثاني من تشرين الاول علي رضا باشا . واجرت الوزارة الجديدة انتخابات لمجلس نواب اجتمع في استانبول اواخر كانون الثاني ١٩٢٠ . واتخذ المجلس في ٢٨ كانون الثاني قراراً بتأييد مقررات مؤتمر ارضروم . فتدخل الحلفاء واحتلوا استانبول في ١٦ آذار ١٩٢٠ واكرهوا رضا باشا على الاستقالة. واعاد الداماد فريد باشا تشكيل وزارة جديدة في الخامس من نيسان . واستصدرت حكومة الداماد حكماً باعدام مصطفى كمال وفتوى ضده في الحادي عشر من نيسان ، وصدر في الثاني عشر من نيسان مرسوم بحل البرلمان.

ولكن اكثر النواب تمردوا على الوزارة وذهبوا الى انقرة حيث استأنفوا عقد جلساتهم . وانتخبوا في الثالث والعشرين من نيسان ، مصطفى كمال رئيساً لهم . ورفض الوطنيون الاعتراف بمعاهدة سيفر والتي وقع عليها مندوب السلطان في العاشر من آب ١٩٢٠ .

وامتلأت قلوب المسلمين حزناً على مصير دار الخلافة التي احتلها جنود الصليبيين من دول الغرب وتقاسمها الاعداء من انكليز وافرنسيين وايطاليين . وغدا الخليفة في ايديهم سجيناً او كالسجين وعبر حافظ ابراهيم عن شعور المصريين اصدق تعبير حين قال :

ايا صوفيا حان التفرق فاذكري	عهود كرام فيك صلوا وسلموا
اذا عدت يوماً للصليب وأهله	وحلّى نواحيك المسيح ومريم
ودقت نواقيسٌ وقام مزمّرٌ	من الروم في محرابه يترنم
فلا تنكري عهد المآذن انه	على الله من عهد النواقيس أكرم

وازداد قلق المسلمين على مصير الخليفة وعاصمته بعد ان شاع مايضمره نصارى الغرب من روح صليبية وحقد كبير على المسلمين. فقد اخذت الصحف البريطانية تطالب باخراج المسلمين من استانبول. وطالب بذلك ايضاً مائة عضو من اعضاء مجلس العموم البريطاني واثنا عشر اسقفاً في الاستانة ورئيس اساقفة كانتربري في انجلترا يؤيده عدد كبير من رجال الدين الانجليز . وايد هذه الجهود اسقف نيويورك ومائة من اساقفة الولايات المتحدة .

وانتعشت آمال المسلمين العرب وارتفعت معنوياتهم عندما بلغتهم انباء انتصارات مصطفى كمال على الروم (اليونان) . فقد بدأ توغل الجيش اليوناني في الاناضول في الثالث والعشرين من اذار ١٩٢١ فانتصر عليهم الاتراك في سقاريه في ٢٤ آب . وشعرت الدول الاوروبية بجدية نضال الاتراك وفضلت التفاهم مع الحركة الوطنية . فعقدت فرنسا في ٢٠ تشرين اول معاهدة فرنكلين بويون التي تخلت بموجبها عن كيليكية واعترفت للاتراك بوضع خاص في لواء اسكندرون. وانسحب الايطاليون من اضالية في كانون الثاني ١٩٢٢ . وسارع الاتحاد السوفييتي الى عقد معاهدة صداقة مع الحركة الوطنية التركية في ١٦ اذار ١٩٢٢. وتمكن الاتراك من طرد اليونانيين من ازمير في ايلول فتم لهم تحرير الاناضول. واضطر الحلفاء الى الاعتراف بالامر الواقع فسمحوا لرفعت باشا بادارة استانبول باسم المجلس الوطني الكبير في الرابع من تشرين الثاني وقبلوا الدخول مع الاتراك في مفاوضات في لوزان لعقد صلح جديد .

ورقص المسلمون طرباً في ارجاء العالم العربي وهللوا لانتصارات مصطفى

كمال . فقارن شوقي بين مصطفى كمال وخالد بن الوليد وقرن سقارية ببدر :

الله اكبر كم في الفتح من عجب ... ياخالد الترك جدد خالد العرب
يوم كبدر فخيل الله راقصة ... على الصعيد وخيل الله في السحب
اخرجت للناس من ذل ومن فشل ... شعباً وراء العوالي غير منشعب
ومسلمو الهند والهندوس في جذل ... ومسلمو مصر والاقباط في طرب

ولكن فوجيء المسلمون بقرار اتخذه المجلس الوطني الكبير في انقرة في اول تشرين الثاني ١٩٢٢ بالغاء السلطنة ابتداء من ١٦ آذار ١٩٢٠ . ولجأ الخليفة السلطان وحيد الدين محمد الخامس الى البارجة البريطانية ملايو في السابع عشر من تشرين الثاني ١٩٢٢ فنقلته الى مالطة التي وصلها بعد ثلاثة ايام ثم ذهب الى مكة وحل ضيفاً على الملك حسين . ولما فر وحيد الدين اعلن وكيل الشريعة في المجلس الوطني الكبير أن فرار الخليفة هو بمثابة تنازل منه عن الخلافة لذا قرر المجلس الوطني الكبير في ١٨ تشرين الثاني تعيين عبد المجيد ابن السلطان عبد العزيز خليفة فبويع بالخلافة في ٢٤ تشرين الثاني واعلنت تركيا جمهورية عاصمتها انقرة . واعترف علماء الازهر بالخليفة الجديد وبايعوه في كانون الاول من العام نفسه ، وتوالت بعد ذلك بيعة مسلمي الاقطار المختلفة .

وخدش هذا العمل من سمعة مصطفى كمال ولكنه بقي في عيون المسلمين بطلا اسلامياً كبيراً . فقد بردوا خلعه لوحيد الدين لاعتقادهم بان السلطان كان يود تمريغ البلاد تحت اقدام المحتل :

ووليا للطواغيت بها ... كان يدعى بامير المؤمنين
ألبس الاسلام ذلاً وكسا ... خلفاء الله اثواب القطين

وكان العطف على حركة مصطفى كمال كبيراً بحيث لم يجرؤ الا قليلون

على انتقاده . وهوجم شيخ الاسلام مصطفى صبري الذي لجأ الى القاهرة فارا من وجه مصطفى كمال . وشكا شيخ الاسلام من امر الناس في مصر « الذين اصبح قائل الحق لا يقوله بينهم الا همسا بينما يجهر الفجرة بمعصيتهم » . واصدر نائب قره حصار في المجلس الوطني الكبير كتيباً في كانون الثاني ١٩٢٣ ادعى فيه بان السلطتين الدينية والزمنية لا تنقسمان في الاسلام ، فسارع المجلس الوطني الكبير الى اتخاذ قرار في التاسع من نيسان اعتبر بموجبه كل انتقاد لالغاء السلطنة خيانة عظمى .

ودارت معركة كلامية حامية حول مصير الخلافة وجواز فصل السلطتين في الاسلام . وكان مسلمو الهند اكثر المسلمين اهتماماً بمصير الخلافة . فطالبوا بريطانيا بابقاء الخليفة حاميا للاماكن المقدسة وحثوا مصطفى كمال على عدم اتخاذ قرار يؤثر على مركز الخليفة دون الرجوع الى العالم الاسلامي . ووجه آغاخان والسيد امير علي رسالة الى رئيس الوزارة التركية حول هذا الموضوع فثارت ثائرة الرئيس التركي على تدخل الشيعيين الاجانب في شؤون دولة سنية . واخيرا اتخذ المجلس الوطني الكبير في الثالث من اذار ١٩٢٤ قرارا بالغاء الخلافة ، وغادر الخليفة عبد المجيد استانبول صباح الرابع من آذار .

وتزعزت ثقة المسلمين بمصطفى كمال وانهارت دفعة واحدة بعد هذا العمل . وتوالت الهجمات على الكماليين من اولئك الذين كانوا بالامس يكيلون لهم المدح . وبعد ان كان شوقي قد وصف مصطفى كمال بخالد الترك قبل عامين معتقدا ان مصطفى كمال سيحمي الدين ، فوجىء بعمل مصطفى كمال العدائي فبكا الخلافة .

الهند والهة ومصر حزينة	تبكي عليك بدمع سحاح
والشام تسأل والعراق وفارس	امحا من الارض الخلافة ماح
بكت الصلاة . وتلك فتنة عابث	بالشرع عربيد القضاء وقاح
افتى خزعبلة وقال ضلالة	واتى بكفر في البلاد براح

وكان الملك حسين بن علي ملك الحجاز يقوم اذ ذاك بزيارة لابنه امير شرقي الاردن . ودعا الامير الناس لبيعة ابيه خليفة . وتردد الحسين ثم قبل وبويع في الخامس من آذار ١٩٢٤ . وبايعه الفلسطينيون في الحادي عشر منه، والعراقيون في الثاني عشر منه ، كما بايعه الخليفة السلطان السابق وحيد الدين محمد الخامس . وذكر اسم الحسين في الخطبة يوم الجمعة في كثير من جوامع سورية . وحل اسم فكتور عمانوئيل ملك ايطاليا محل الخليفة في جوامع بني غازي ، كما ذكر اسم الملك فؤاد في جوامع مصر . وكانت الخلافة شؤما على الحسين . فقد خسر ملكه اواخر العام ونفي الى قبرص في العام التالي ، ثم سمح له الانجليز بالذهاب الى عمان حيث توفي في السادس من حزيران ١٩٣١ .

مؤتمر الخلافة

وتنادى المسلمون الى عقد مؤتمر للخلافة . واصدر ستة عشر عالما من علماء الازهر بيانا الى العالم الاسلامي اعلنوا فيه ان المجلس الوطني الكبير لا يستطيع ان يلغي الولاء والبيعة اللتان كانتا لعبد المجيد في اعناق المسلمين . ووقف ملك مصر ورئيس الوزراء سعد زغلول موقفا محايدا بينما نشط للدعاية الى عقد المؤتمر احد افراد العائلة المالكة الامير طوسون . وعقد اجتماع في الخامس والعشرين من اذار (١٩ شعبان ١٣٤٢) برئاسة شيخ الازهر قرر فيه المجتمعون اعلان بطلان خلافة عبد المجيد ودعوا فيه الى عقد مؤتمر اسلامي في القاهرة في اذار ١٩٢٥ للبت في امر الخلافة وشكلت «لجنة المؤتمر الاسلامي» للاعداد له واصدرت مجلة ناطقة باسمه ظهر العدد الاول منها في ربيع اول ١٣٤٣/ تشرين اول ١٩٢٤

ولم يتسن عقد المؤتمر في الموعد المحدد بسبب المصاعب العديدة التي اعترضت سبيله . فقد نشبت حرب بين السعوديين والهاشميين في الحجاز انتهت باخراج الهاشميين من الحجاز . وكان الملك فؤاد ملك مصر والملك امان الله خان ملك الافغان من الطامعين بالخلافة . وكان اتجاه رئيس وزراء مصر سعد زغلول

معارضا للجامعة الاسلامية مناوئا لفؤاد . ووقع اربعون عالماً ازهريا عريضة اعلنوا فيها ان مصر لاتصلح داراً للخلافة لتسلط الانجليز عليها .

وغدا عقد المؤتمر جزءاً من المعركة السياسية الدائرة في مصر . وكان سعد زغلول قد استقال اواخر تشرين الثاني ١٩٢٤ اثر الانذار البريطاني الذي تلا مقتل السردار ، واستلم الحكم وزارة قصر برئاسة زيور باشا فبادرت الوزارة الى حل البرلمان بعد شهر من استلامها الحكم . واجرت الوزارة انتخابات جديدة في كانون الثاني ١٩٢٥ فاز بها الوفد باكثرية المقاعد فحل البرلمان في اليوم الاول لاجتماعه ، في ٢٣ اذار ، وقبل يومين من الموعد المحدد لاجتماع المؤتمر الاسلامي لبحث شئون الخلافة . واشترك الاحرار الدستوريون في وزارة زيور وايدوها في تعطيل الحياة الدستورية .

وحدثت مفاجئات كبيرة في مصر لدعاة الخلافة . فقد صدرت خلال عامي ١٩٢٣ و ١٩٢٤ اربعة كتب عن الموضوع كان اولها كتاب محمد رشيد رضا في ايار ١٩٢٣ بعنوان : الخلافة او الامامة العظمى ، وآخرهـا كتاب قاضي المنصورة الشرعي الشيخ علي عبد الرازق الصادر عام ١٩٢٥ .

بدأ الشيخ محمد رشيد رضا بنشر سلسلة من المقالات في مجلة المنار اثر اعلان تركيا الفصل بين الخلافة والسلطنة . وفرغ محمد رشيد من نشر هذه السلسلة في رمضان ١٣٤١/ايار ١٩٢٣ ثم جمع هذه المقالات بشكل كتاب مستقل .

وعرّف الخلافة في القسم الاول من الكتاب بانها رئاسة الحكومة الاسلامية الجامعة لمصالح الدنيا والدين . وقال ان الاسلام نظام كامل يجب ان يؤخذ كله فلا يعمل ببعضه دون بعض . وبين رشيد رضا بان تنصيب خليفة واجب على المسلمين شرعا و « من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية .. » على ان يتم نصب الخليفة من قبل أهل الحل والعقد الذين هم « زعماء الامة واولو المكانة وموضع الثقة من سوادها الاعظم بحيث تتبعهم في طاعة من يولونه عليها .. » .

وبين الشيخ ان الامامة عقد احد طرفيه الامام وطرفه الاخر أهل الحل والعقد. وقال ان تعدد الأئمة مناف لمقصود الامامة . ودعا الشيخ الى تعاون العرب والاتراك مع استقلال كل منهم في داخل بلاده. وختم رشيد رضا كلامه بقوله « ان الخليفة ليس الا رئيس الحكومة المقيدة .. وهو منفذ للشرع وطاعته محصورة في ذلك فهي طاعة للشرع لا له نفسه .. والخليفة ليس بالمعصوم ولا هو مهبط الوحي ولا من حقه الاستئثار بتفسير الكتاب والسنة » لذا فلا مجال للمقارنة بينه وبين البابا .

وظهر بعد ستة اشهر ، في كانون الاول ١٩٢٣ ، ترجمة عربية عن التركية لكتاب لمؤلف مجهول بعنوان الخلافة وسلطة الامة ، ويقال ان الكماليين هم الذين اشرفوا على وضعه ونشره ليبرروا فصل السلطتين . ويقرر الكتاب « ان الخلافة الحقيقية هي احسن الحكومات الا انها مستحيلة التحقيق . وقال بان الخلافة ولاية تفويضية بموجب تفويض اهل الحل والعقد باسم الامة الاسلامية . والخليفة وكيل الامة ويحق للموكل عزل وكيله اذا اساء التصرف ، لذا جاز للامة ولنوابها عزل الخليفة . وليست الامامة ، في رأي الكتاب ، الشكل الوحيد للحكم الصالح الا ان علماء الاسلام كانوا يجهلون وجود انواع اخرى للحكم . اما في عصرنا هذا فبالامكان اسناد الحكم الى هيئة تمثل الامة لتحكمها حكما عادلا يسوده النظام وتصان فيه حقوق الناس » .

وصدر اواخر اذار ١٩٢٤ لشيخ الاسلام العثماني مصطفى صبري ، الذي فر من وجه الكماليين ، كتابٌ بعنوان : النكير على منكري النعمة من الدين والخلافة والامامة . وحاول المؤلف ان يحذر المسلمين من خطر الكماليين على الاسلام . فتحدث عن فساد دين مصطفى كمال وبطانته وسوء سيرتهم وتعصبهم لطورانيتهم الوثنية ضد كل ما هو عربي واسلامي . ويؤكد الشيخ ان الكماليين والاتحاديين شيء واحد و كلاهما حزب عسكري يعتمد على الجيش واليهود

« ولن نجد ملة او قوما في خارج بلادنا وداخله دامت مودة الاتحاديين والكماليين معهم الا اليهود ».

واثار الكتاب الرابع الضجة الكبرى في مصر وزعزع مركز الحكومة. فقد اصدر قاضي المنصورة الشرعي الشيخ علي عبد الرزاق كتاب الاسلام واصول الحكم عام ١٩٢٥ . واعتمد الشيخ علي في بحثه على اقوال المستشرقين لاسيما توماس ارنولد مؤيداً اراء كتاب الكماليين : الخلافة وسلطة الامة. وقرر الشيخ ان القرآن والسنة لم يرد فيهما أي نص على الخلافة كنظام للحكم يجب ان يلتزم به المسلمون ، وان المسلمين لم يجمعوا في يوم من الايام على خليفة وان الخلافة لم تقم يوما على الانتخاب الحر بل قامت بقوة السيف ، وان الخلافة كانت دائما حكما استبداديا غاشما . وخلص الى القول بان الخلافة غير ضرورية وان القرآن لم يحدد شكلا معينا للحكم بل اشترط مجرد وجود حكومة - اية حكومة . اما الخلافة « فليس بنا من حاجة اليها لامور ديننا ولا لامور دنيانا فانما كانت الخلافة ولم تزل نكبة على الاسلام والمسلمين .. ولم يتمسك ملوك الاسلام بهذا اللقب الا ليكسبوا لانفسهم قداسة تحمي مفاسدهم من الثائرين .. تلك جناية الملوك واستبدادهم بالمسلمين .. اضلوهم عن الهدى وعموا عليهم وجوه الحق وحجبوا عنهم مسالك النور باسم الدين ، وباسم الدين ايضاً استبدوا بهم واذلوهم وحرموا عليهم النظر في علوم السياسة ، وباسم الدين خدعوهم وضيقوا على عقولهم فصاروا لا يرون لهم وراء هذا الدين مرجعا .. »

وثارت ثائرة رجال الدين وكثير غيرهم على الشيخ علي . وأصدر أحد علماء الأزهر الشيخ محمد الخضر حسين كتابا سماه : نقض كتاب الاسلام واصول الحكم . وبينما صدّر علي عبد الرازق كتابه بقوله « لا إله إلا الله لا أعبد إلا إياه ولا أخشى أحداً سواه » مشيراً ربما الى الملك ، نرى الشيخ محمد الخضر يهدي كتابه الى خزانة حضرة صاحب الجلالة الملك داعياً الله أن يرعى « ملكه

المجيد ويثبت دولته على دعائم العز والتأييد » . ودافع الشيخ محمد الخضر عن الحكم الفردي ونفى صفة الاستبداد عن ملوك المسلمين .

وتوسع ميدان المعركة وانضم اليها كثير من غير المعممين . فتزعمت جريدة الاخبار ، لسان حال الحزب الوطني ، الحملة على علي عبد الرازق . وكان من رأي سعد زغلول ان علي عبد الرازق « جاهل بقواعد دينه بل بالبسيط من نظرياته » ملتقياً في هذا الرأي مع رأي الحزب الوطني « انا نعرف عنه - أي عن الشيخ علي عبد الرازق - ضعفا في تحصيل العلوم وطيشا في الرأي والحاداً في العقيدة . . » ولم يؤيد الشيخ علي من رجال الازهر غير الشيخ عبد الوهاب خلاف الذي نشر (في العدد الاول من السنة الثالثة من مجلة القضاء الشرعي) مقالا بعنوان الامامة الكبرى والخلافة . واستدعي الشيخ خلاف الى السراي الملكي ونصح بعدم الخوض في هذه الامور فعاد الى المطبعة لسحب مقاله الثاني .

وبدأت معركة كلامية بين الصحف الناطقة باسم الاحزاب السياسية في مصر . فقد ايدت جريدة الاتحاد الناطقة بلسان حزب الاتحاد (المؤسس في ١٠ /١/١٩٢٥ كحزب ملكي برئاسة حسن نشأت باشا ويحيى ابراهيم باشا) الدعوة لعقد مؤتمر الخلافة . وطاف وكيل الديوان الملكي حسن نشأت باشا بعلماء الدين واكثر من اتصالاته بلجان مؤتمر الخلافة . ووقفت جريدة السياسة الناطقة بلسان حزب الاحرار الدستوريين الى جانب علي عبد الرازق ، مهاجمة مؤتمر الخلافة . وأيدتها في موقفها ضد المؤتمر صحف حزب الوفد . وأشار كتاب السياسة امثال طه حسين ومنصور فهمي وحسين هيكل الى الاضطهاد الذي تعرض له الاحرار بسبب ارائهم التقدمية الجريئة ودافعوا عن حرية الفكر . وقالت جريدة السياسة بان لاحق للعلماء بعقد مؤتمر الخلافة لان هذا امر سياسي جعله الدستور من اختصاص البرلمان . ونادت بان ملك مصر لايملك حق قبول منصب الخلافة لان الدستور ينص على « انه لايجوز للملك ان

يتولى مع «ملك مصر امور دولة اخرى بغير رضا البرلمان». وكتب علي عبد الرازق في السياسة مقالا قال فيه «.. انما تهتم بالخلافة تلك الامم التي لا تملك امر نفسها ولكن يحركها الاجنبي ويقلبها ذات اليمين وذات الشمال .. وانما يهتم بها رجال لا يملكون لانفسهم امراً ولكن يحركهم غيرهم فيتحركون».

واوعز القصر الى شيخ الازهر بمحاكمة علي عبد الرازق بصفته احد العلماء. واجتمعت هيئة العلماء وقرأت الكتاب وقررت انه كفر والحاد وخروج على الدين. واصدرت هيئة العلماء حكمها في الخامس والعشرين من آب ١٩٢٥ بتجريده من العالمية لانه اتى اموراً تخالف اجماع الامة.

وهجر الشيخ علي ملابس المشيخة قائلا «الحمد لله الذي اذهب عنا الاذى وعافانا» واصبح الشيخ افنديا. واستمرت الحملة العنيفة التي قادها طه حسين في جريدة السياسة. وكان موقف الاحرار الدستوريين حرجا. فهم شركاء في حكم غير دستوري قام على اساس تعطيل الدستور. وزعيمهم عبد العزيز فهمي يشغل منصب وزير العدل وهو مكلف بحكم منصبه بتنفيذ قرار هيئة العلماء وعزل على عبد الرازق من وظيفته. ولكن عائلة عبد الرازق هي دعامة من دعائم حزب الاحرار الدستوريين فكيف يغضبهم. وتردد عبد العزيز فهمي ثم احال القضية على قلم قضايا الحكومة. وكان رئيس الوزراء زيور باشا متغيبا في اوربا للاستشفاء فناب عنه يحيى ابراهيم باشا رئيس حزب الاتحاد. وقرأ عبد العزيز فهمي في صحف صباح الخامس من ايلول ١٩٢٥ خبرا نشرته جريدة الاتحاد (الناطقة بلسان حزب الاتحاد) بأن مرسوماً ملكياً قد صدر بتكليف علي ماهر باشا بالقيام باعباء وزارة العدل خلفا لعبد العزيز فهمي. واستقال وزراء الاحرار الدستوريين من الوزارة واتخذت الازمة شكلا جديداً.

وشغلت مصر بعد ذلك بمحنة دستورها وقضية استقلالها. واتفقت الاحزاب على العمل لحماية الدستور. وتآلفت وشكلت جبهة موحدة ضمت الوفد والاحرار

والحزب الوطني . وتدخل الانكليز لاقالة حسن نشأت باشا من الديوان الملكي فضعف حزب القصر . وخضع الملك للضغط فأصدر مرسوماً باجراء انتخابات . وجرت الانتخابات في الثاني والعشرين من ايار ١٩٢٦ .

وشغل علماء الازهر اذ ذاك بقضية الساعة بالنسبة اليهم ، بقضية الخلافة او الامامة العظمى . وانعقد المؤتمر في الثالث عشر من ايار ١٩٢٦ (غرة ذي القعدة ١٣٤٤) برئاسة شيخ الازهر ابي الفضل الجيزاوي . وحضر المؤتمر مايزيد على ثلاثين مندوبا يمثلون مصر وليبيا وتونس ومراكش وجنوب افريقيا واندونيسيا وجوهور (الملايو) والهند واليمن والحجاز وفلسطين والعراق وبولونيا . ولم تمثل في المؤتمر نجد وتركيا وايران وافغانستان والاتحاد السوفييتي وكان وفد مصر اكبر الوفود ويليه وفد فلسطين . ومثل عدد من الاقطار مندوبون منفيون عن بلادهم . ولم يأت ممثلون عن سورية لانشغالها بثورتها . وقصف الافرنسيون دمشق ابان انعقاد المؤتمر .

وشكلت لجان عديدة لدراسة الاقتراحات المختلفة . وكان من بين القضايا المثارة امر تحديد معنى الخلافة وصفات الخليفة وهل الخلافة ضرورية في الاسلام ؟ وكيف تتم ؟ وهل بالامكان احياء الخلافة وكيف ؟ وقدمت اقتراحات عديدة جريئة . فنادى بعضهم بأن باب الاجتهاد لم يغلق . ودرست اللجنة الثالثة من لجان المؤتمر موضوع اهمية منصب الخليفة وامكانية املاء هذا المنصب . ورأت هذه اللجنة أن اهم واجبات الخليفة هي تنفيذ قراراته والدفاع عن دار الاسلام . وبما ان اكثر الشعوب الاسلامية غير مستقلة ، ولو تم تنصيب خليفة لما استطاع ان ينفذ قراراته ولا ان يحمي دار الاسلام ، وبذلك تنتفي صفة رئيسية من صفات الخلافة ، لذا اقترحت هذه اللجنة ابقاء المنصب شاغراً والاكتفاء بعقد اجتماعات دورية لتوحيد آراء المسلمين .

لاقى هذا التقرير معارضة عنيفة في المؤتمر . واعتبره الشيخ الظواهري صلاة

جنازة على الاسلام . ورفض المؤتمر التقرير واتخذ قراراً مخالفاً له . اذقرر المؤتمر ان املاء منصب الخلافة ممكن وضروري على ان يعرض الامر على الرأي العام الاسلامي قبل اتخاذ قرار نهائي . وناشد المؤتمر المسلمين العمل على احياء الخلافة وقرر الدعوة الى عقد مؤتمر آخر لم يعين تاريخ انعقاده . وقرر المؤتمر ان تبقى هيئة المجلس الاداري لمؤتمر الخلافة على ان ينشيء له شعباً في البلاد الاسلامية المختلفة تكون على اتصال بها لعقد مؤتمرات متوالية فيهاحسب الحاجة .

الاتجاهات السياسية العربية في فترة ما بين الحربين :

ان النقاش حول الخلافة في مصر خلال الاعوام ١٩٢٤ -١٩٢٦ هو مثال على الانقسام الشديد في الرأي العام العربي في هذه الفترة . فقد رأينا ساسة متدينين ، كاكثرية ساسة حزب الوفد والحزب الوطني ، ينادون بان قضية مصر الكبرى هي قضية الاستقلال والدستور وان هذه القضية مستقلة تمام الاستقلال ومنفصلة انفصالاً كاملا عن اي قضية اخرى ولا علاقة للمسلمين او العرب بها . وانحصر تفكيرهم السياسي بقضايا مصر الاقليمية . ورأى علماء الازهر ان قضية العالم الاسلامي الكبرى هي الامامة العظمى ، وان كل قضية اخرى يمكن تأجيلها حتى اذا ما صلح امر الخلافة هان اصلاح كل شيء آخر . ولم يشغل علماء الازهر انفسهم بمصير الحياة الدستورية التي لم يهتموا بها بل ولم يؤمنوا بها . ورأت فئة ثالثة ان القضية الكبرى هي قضية الحرية . ولم يفهموا الحرية بانها حرية البلد ولكنهم فهموها حرية فردية تتيح لهم ان يعبروا عن آرائهم دون ان يتعرضوا لاضطهاد بسبب ذلك .

وجابه العالم العربي بعد الحرب دعوات وطنية مختلفة دعت كل واحدة منها الى اتباع طريقة خاصة في النضال . وتراوحت هذه الدعوات من السلفية الوهابية الى المناداة بتقليد الغرب في كل شيء . واختلفت طرق النضال التي بشروا بها . فدعا فريق الى استعمال العنف ونادى آخرون بالتدرج والمفاوضة . ولكن بعد

مرور فترة قصيرة على انتهاء الحرب لم يترك الغرب للعرب مجالا للاختيار . فقد كان الغرب عنيفاً في سياسته بعد الحرب فاحدث هـذا العنف انقلابا في تفكير عدد كبير من المعتدلين من انصار التدرج والمفاوضة ودعاهم الى مقاومة العنف بالعنف.

واعتقد العرب ، بعد ان تم فوز مصطفى كمال ورضا بهلوي ، ان القوة هي مفتاح النجاح . وراقب العرب بسرور واعجاب انتصارات دكتاتوري ايران وتركيا على قوى الغرب الكبرى . وخذل المعتدلون شعبياً وفاز دعاة العنف وغدا الاعتدال سبة واعتبر المعتـدلون خونة او اذناب استعمار . وانتشرت حركات المقاومة في البلاد العربية . وكان اول بلد عربي لجأ الى العنف والثورة هو مصر . وتلا ذلك ثورات في العراق ومراكش وليبيـا وعدن واخيراً في سورية وفلسطين .

وسنرى ان جميع هذه الثورات قد فشلت عسكريا رغم ماظهره القائمون عليها من ضروب البطولة والتضحية . ولكن جميع هذه الحركات الفاشلة عسكريا نالت بعض النجاح في الميدان السياسي . وبعد ان رفض الغرب تلبيـة مطالب المعتدلين المتأثرين بالثقافة الغربية اضطر الى الدخول في مفاوضات مع المتطرفين . واستنتج المثقفون ثقافة غربية ان العنف والتطرف هو سبيل النجاح في الميدان الوطني . ورمي بتهمة الخيانة الوطنيون « الواقعيون المعتدلون » بعد ان تبين فشلهم وثبت نجاح الخياليين المتطرفين . واضطر الغرب الى التخلي تدريجياً عن اعوانه وعن المعتدلين فدفـع هؤلاء ثمن اعتدالهم وواقعيتهم غاليـا ، الا من تمكن منهم ان ينقلب متطرفاً في الوقت المناسب ليلحق بركب الوطنيين الناجحين .

واختلفت آراء العرب حول افضل التنظيمات السياسية الواجب اتباعهـا . وقام في البلاد العربية اكثر من مئة حزب تأسس ربعها في سورية ومثل ذلك في العراق وثمنها في مصر . ولايدخل في هذا التعداد الاحزاب الشيوعيـة او الاحزاب التي نشأت في افريقيا الشمالية كفروع لاحزاب افرنسية . واصر

زعماء الاحزاب على اعتبار النضال عملا تعاونياً لايمكن ان يكون فردياً لذا وجب على الفرد ان ينخرط في الحزبية باعتبارها امراً اساسياً في حياة الفرد او الامة . وجندت الاحزاب العقائدية والقومية منها اكثر اعوانها بين طلاب المدارس والجامعات فساهمت بذلك في اضعاف الروح العلمية بين الطلاب واحلال التعصب محل التسامح والتواضع العلمي . وحاولت الاحزاب العقائدية ان تبث في نفوس اتباعها عقيدة قومية او اقتصادية تحل محل الدين لذا بدت هذه الاحزاب في تصرفاتها معادية للدين الاسلامي الذي هو دين الاكثرية ،فلم تستطع احراز تقدم كبير بين العرب السنيين وغدا اكثر اتباعها من الاقليات التي كانت تخشى طغيان الاكثرية .

وانتشرت الدعوات الاقليمية ورحب الكثيرون بالكيانات السياسية المحلية. وغدت حكومة الثامن من آذار في دمشق صبح الاماني . ونادى زعيم الثورة العربية في الريف بريفية نضاله منكراً مانسب اليه بانه يبغي اكثر من استقلال جمهورية الريف . وانهارت المبادىء التي نادى بها رجال الثورة العربية وتخلى رجالها عن فكرة اقامة دولة عربية موحدة وطالبوا بكيانات اقليمية .وحاول دعاة الحركات الاقليمية في العراق ولبنان ومصر اقامة نظرياتهم على اسس علمية وتاريخية . واتخذ نضال الاقطار العربية خلال العشرين سنة التي تلت انتهاء الحرب العالمية الاولى طابعاً اقليمياً ضيقاً .

نضال مصر ١٩١٨ - ١٩٣٦

اوضح لمصر الفرق ما بين السيادة والحماية
وازل شكوكا بالنفوس تعلقت منذ البداية
ودع الوعود فانها فيما مضى كانت رواية

ولقد بقيت مصر تحت « الاحتلال البريطاني » خلال الفترة ١٨٨٢-١٩١٤.

وحالما اعلنت بريطانيا الحرب على المانيا بادر مجلس النظار المصري (مجلس الوزراء) ، وبناءاً على طلب سلطات الاحتلال ، الى اتخاذ قرار في ١٣ رمضان ١٣٣٢/٥ آب ١٩١٤ بمنع التعامل مع المانيا ورعاياها وتخويل القوات البريطانية حقوق الحرب في الاراضي والموانيء المصرية واعتبار السفن الالمانية الراسية في الثغور المصرية سفناً معادية . وفي الثاني من تشرين الثاني اعلن الجنرال ماكسويل قائد القوات البريطانية في مصر انه يأخذ على نفسه مراقبة القطر المصري لكي يضمن حمايته لذا فانه يعلن فرض الاحكام العرفية . وبعد ايام ، في الخامس منه ، اعلن الجنرال قيام حالة حرب بين بريطانيا والدولة العثمانية . وكان الخديو عباس غائباً اذ ذاك عن مصر ومقيما في استانبول فتباطأ في العودة الى مصر رغم الحاح رئيس وزرائه القائمقام الخديوي حسين رشدي باشا .

ولكن بريطانيا لم تلجأ الى تغيير الوضع القانوني والدولي لمصر الا في الثامن عشر من كانون الاول . فقد اعلنت بريطانيا في ذلك اليوم فرض حمايتها على مصر وزوال السيادة العثمانية عليها « وحكومة جلالة الملك تعتبر وديعة تحت يدها لسكان القطر المصري جميع الحقوق التي اليها بالصفة المذكورة - اي حقوق السلطان وحقوق الخديو - والصفة المذكورة هي الغاء السيادة العثمانية وخلع

الخديو ، وكذلك جميع الحقوق التي استعملتها في البلاد مدة سنى الاحتلال الثلاثين الماضية » . واخذت انجلترا على عاتقها مسؤولية الدفاع عن مصر ، كما اعتبرت الرعايا المصريين في كل مكان مشمولين بالحماية البريطانية . ومنعت الحكومة المصرية من الاتصال بدول اجنبية الا بطريق ممثلي بريطانيا .

ووعدت بريطانيا باعادة النظر بعد الحرب بالامتيازات الاجنبية التي لم تعد ملائمة لتقدم البلاد وبحماية الحرية الشخصية وترقية التعليم ونشره وتنمية مصادر الثروة الطبيعية واحترام العقائد الدينية والتدرج في إشراك المحكومين في الحكم بمقدار ما تسمح به حالة الامة .

وأعلنت بريطانيا في اليوم التالي خلع الخديو عباس لاقدامه على الانضمام لاعداء بريطانيا ، وأسندت منصبه مع لقب سلطان الى الامير حسين كامل . وأعطي السلطان حق منح الرتب والنياشين والقيام باصلاح الهيئات النظامية الاسلامية وزيلت القيود المفروضة على عدد الجيش المصري .

واعلن كل من السلطان حسين كامل ورئيس الوزراء حسين رشدي باشا في المراسلات المتبادلة بينهما قبولهما المناصب في سبيل المصلحة العامة . فقد قال حسين كامل في رسالته الموجهة الى حسين رشدي باشا (الذي كان رئيساً لوزراء الخديو عباس وقدم استقالته للسلطان الجديد) بأنه رغم سنه وحاجته للراحة فان الموقف الدقيق حتم عليه ان يوقف كل جهوده على خدمة الوطن . وطلب من حسين رشدي باشا ان يعيد تشكيل وزارة جديدة تعمل على تعميم التعليم ونشر العدل وتوطيد الامن وترقية اقتصاديات البلاد وتأمين السعادة الحسية والمعنوية لجميع سكان مصر « اما الهيئات النيابية في القطر فسيكون من اقصى امانينا ان تزيد اشتراك المحكومين في حكومة البلاد » . وقبل حسين رشدي باشا ان يعيد تشكيل الوزارة رغم كونه « وكيلا عن ولي الامر السابق » ، ولكنه شعر كمصري ان من واجبه ان يكون نافعاً لبلاده « فتغلبت مصلحة الوطن السامية على جميع ما عداها من الاعتبارات الشخصية .. »

فما هو الفارق بين الاحتلال والحماية ؟ ولماذا هذا الشعور الحاد لدى السلطان ورئيس الوزراء بأنهما قد أقدما على تضحية عند ما قبلا منصبيهما الكبيرين . ولماذا سر السير رونالد ستورس (السكرتير الشرقي بالوكالة البريطانية) عندما قبل حسين كامل ان يكون سلطاناً .

ليس الفرق بين الاحتلال والحماية كبيراً . فكلاهما اصطلاح لا يعني شيئاً محدداً بل يعطي الدولة التي تتمتع به سيطرة قد تكون قوية شبه مطلقة وقد لا تكون اكثر من نفوذ بسيط تتمتع به الدولة الحامية او المحتلة في البلد المحمي او المحتل . وقد يكون المعنى واضحاً بالنسبة للشؤون الخارجية والدفاع حيث تتمتع الدولة الحامية او المحتلة بسيطرة كبيرة ، ولكن مقدار تعرض هذه الدولة للشؤون الداخلية ومقدرتها على فرض رغباتها كان غير واضح ولا محدداً وقابلاً للتغيير .

لقد لابس الابهام والغموض مركز بريطانيا كدولة محتلة ثم دولة حامية فخليفة . احتلت بريطانيا مصر اثر تدخل دولي لحماية المصالح الاجنبية واعادة الامن والاستقرار الى ربوع مصر وحماية حقوق الخديو من العسكريين الذين سيطروا على البلد . وحقق الاحتلال اهداف الدول الاوروبية وحمى الخديو وسحق العسكريين . ولكنه لم يعد للخديو السلطات التي كان العسكريون قد انتزعوها منه ، بل مارست دولة الاحتلال هذه السلطات وحققت الكثير من اهداف العسكريين . لقد حدت من « كبرياء الخديو وترفعه عن القانون وعسفه بالضعفاء وتفضيل الاقارب » ونظمت جباية الضرائب وخففت من المحسوبية ورفعت مستوى الأمن وحسنت وسائل الري . وسعى الاحتلال الى تجميد الاوضاع الاجتماعية وابقاء البلد بلداً زراعياً منتجاً للقطن ليزود به مصانع النسيج البريطانية .

ولم يتعرض الاحتلال للمصالح العثمانية والاوروبية في مصر . فقد بقي للسلطان العثماني السيادة الاسمية على البلاد وحق ارسال قاض عثماني ولم يقطعوا عنه

ما اعتادت مصر ان تدفعه لخزينته او لدائنيه . ورأت الجاليات الاوروبية في مصر في الاحتلال حماية لمصالحها ولامتيازاتها التي كانت ستتعرض للخطر لو استقلت مصر .

ولم يقض الاحتلال على آمال المصريين بل وجعل لبعض الفئات مصلحة في استمرار بقائه . فقد رأى دعاة الحريات الدستورية في وجود الاحتلال ضمانة لهم من استبداد الخديو . واعتقد هؤلاء ان بريطانيا لن تتخلى آخر الامر عن دعم النظام البرلماني . ورأى المجددون في الاحتلال حماية لهم من الرجعية كما رأى الرجعيون فيه قوة تحد من انتشار دعوة التجديد . وانتشرت الحيرة بين الناس ، فبعضهم يرى الخير في الخديو ويعقدون عليه الآمال ، بينما لجأ آخرون الى ممثل دولة الاحتلال ليضمنوا بمساعدته ادخال الاصلاحات الضرورية لنقل السلطات من يد الحاكم الى يد ممثلي الشعب الحقيقيين . ووصف حافظ هذه الحيرة حين قال :

وهذا يلوذ بقصر الامير	ويدعو الى ظله الارحب
وهذا يلوذ بقصر السفير	ويطنب في ورده الاعذب
وهذا يصيح مع الصائحين	على غير قصد ولا مأرب

فالحيرة عامة ومنتشرة والناس لا يعرفون ماذا يريدون ولا يدركون حاجات البلاد الحقيقية . والمخلصون حيارى لايدرون ماذا يفعلون ! أيكافحون الاستعمار الذي يهددهم ، أم الظلم الذي يرزحون تحته ؟ أيقلدون الغرب المستعمر ويتخلون عن تراثهم ، أم ينتقون ، ام يعودون الى سيرة السلف الصالح ؟ والهدف النهائي واحد ، فالكل يريد الحرية والاستقلال وجلاء قوات الاستعمار ولكن الطرق مختلفة ووعرة .

وكشف الاحتلال القناع عن وجهه وبدا صريحاً في عدائه لأماني البلاد

وعنيفاً في معاملته للوطنيين . فقد كان بطاشاً في دنشواي واظهر ازدراءه واحتقاره للمصريين ودينهم (الاسلام) ، واعلن بصراحة وبدون مواربة ان لا امل للمصريين في الانفصال عن انكلترا « وان بلادهم – حتى في ظل ابدية العلاقة بانجلترة ، ان تخلص لهم وحدهم ، بل سيشاركهم الاجانب في كل حقوق السلطان » .

وحدث أن أعلن الدستور العثماني في الوقت نفسه فخفق قلب مصر ثانية ، واشتد ساعد الوطنيين . ولعقت مصر جروحها واستفاقت من غيبوبتها الطويلة لتجد الخديو قد بدأ ينكل برجال الحزب الوطني بتشجيع من ممثل دولة الاحتلال السر الدون غورست (الذي خلف كرومر). وعاش المصريون السنوات القليلة التي سبقت الحرب العالمية الاولى في ظل ما عرف بعهد الوفاق (بين الخديو والانجليز) حينما اتفق الطرفان على خنق الحريات واضطهاد الوطنيين .

ولم تغير الحماية شيئاً من واقع مصر بالنسبة للمصريين : حقاً لقد اختفى من القاهرة ممثل السلطان والقاضي العثماني ، وارتفع لقب « سمو الخديو » الى « صاحب العظمة السلطان » ، وغدا للمصريين علمهم وجنسيتهم ، ولكن هذه كلها أمور لا تمس صميم الحياة . ولم تختلف سلطات المندوب السامي البريطاني الذي يمثل دولة الحماية عن سلطات قنصل بريطانيا العام الذي مثل سلطات الاحتلال . فلا عجب اذا لم تبد الجمعية التشريعية أية احتجاج ، بل رحب وكيلها المنتخب سعد زغلول بالمندوب السامي الجديد (السر هنري مكماهون) . ولم تعمر الجمعية التشريعية غير خمسة شهور ثم علق الانجليز اعمالها وحرموا مصر خلال الحرب من اية هيئة تمثيلية .

وثارت في مصر صيحات خافتات تعبر عن شعور العطف الذي أبداه المصريون عامة على دولة الخلافة . فلم يتمالك عبد المطلب من رثاء العلم العثماني الذي لم يعد خفاقاً في سماء مصر . واظهر هو ومحرم الشماتة بأساطيل الحلفاء

بعد فشلها في الدردنيل ، كما هاجم محرم الحسين لانضمامه الى الانجليز واغتراره بمواعيدهم .

وقاست مصر على يد الانجليز خلال الحرب . فقد غدت مصر قاعدة بريطانية للغزو مسخرة كل موارد مصر البشرية والاقتصادية في خدمة هذه القاعدة . فنهب الانجليز غلات المصريين وحيواناتهم وساقوهم مكرهين ضد اخوانهم في الاسلام والعروبة واجبروهم على التبرع للصليب الاحمر وارتكب الجنود البريطانيون الفظائع في المدن وتعرضوا لامن الناس واعراضهم واموالهم وضمائرهم . واستكان المصريون مرغمين لاتخرج عنهم الا صيحات احتجاج خافتة مكبوتة .

وعبر المصريون عن سخطهم بتوجيهه ضد السلطان حسين كامل . لقد اخذوا عليه استمداد سلطته من دولة مسيحية بعد ان استمدها سلفه من الخليفة . واحتجبت جريدة صحيفة الشعب عن الظهور احتجاجاً ورفض امين الرافعي اصدارها رغم الحاح السلطان عليه بذلك . وامتنع طلبة الحقوق عن الذهاب الى كليتهم لاستقبال السلطان الذي حدد لزيارته للكلية يوم ١٨ شباط ١٩١٥. وجرت ثلاث محاولات لاغتياله عام ١٩١٥

ولم تكن علاقات السلطان بسلطات الحماية سعيدة . وعاصر السلطان اثنان من المندوبين الساميين البريطانيين . فقد بقي المندوب الاول السير هنري مكماهون في مصر قرابة عامين (٩ كانون الثاني ١٩١٥ تشرين الثاني ١٩١٦) تمكن خلالها من اشعال نار ثورة الحسين في الحجاز . وخلفه السير ونجلد ونجت الذي كان يشغل منصب سردار الجيش المصري وحاكم السودان . وسيطر ونجت على امور مصر وابقى لنفسه مناصبه السابقة منيبا عنه في الاشراف المباشر عليها السير لي ستاك باشا (الذي اصبح سردارا في اول نيسان وحاكما على السودان في التاسع من ايار ١٩١٩) وبرم السلطان بفعال السلطات العسكرية وضاق بجبروتها وتوفي حزيناً يائساً في ٢٢ ذي الحجة ١٣٣٥ / ٩ تشرين اول

١٩١٧ . ورفض ابنه كمال الدين المنصب الرفيع فعرض عرش السلطنة على احمد فؤاد (اخي السلطان حسين) الذي قبله ونصب سلطانا يوم وفاة اخيه .

كلف فؤاد ، في اول عهده ، حسين رشدي باشا بالاستمرار في الحكم فيكون رشدي بذلك قد عاصر ثلاثة من حكام مصر هم عباس وحسين كامل وفؤاد . وكان فؤاد اشد ميلا الى تأييد الانجليز من سلفيه . فقد وقع بعد عشرة ايام من اعتلائه العرش مرسوما بتشجيع تطوع المصريين في الجيش والخدمات البريطانية . ووصل التشجيع الى درجة الاكراه . وقدمت مصر في التاسع من آذار ١٩١٨ منحة مالية لبريطانيا قدرها ثلاثة ملايين ونصف مليون جنيه .

فكيف قابلت انجلترا مثل هذه التضحيات المصرية ؟ قابلتها بالكثير من نكران الجميل والقسوة والروح الصليبية . فقد عرف الناس بعد اعلان الهدنة وانتهاء الحرب بقليل بالمشروع الذي اقترحه السير هنري برونييت . وكان مجلس الوزراء المصري قد شكل في ٢٤ اذار ١٩١٧ لجنة دعيت باسم « لجنة الامتيازات الاجنبية » كان برونييت احد اعضائها البارزين . وقدم برونييت مشروع دستور لمصر نص على تشكيل مجلس نواب مصري منتخب له صفة استشارية محضة ، والى جانبه مجلس شيوخ يضم الوزراء المصريين ومستشاريهم الانجليز وخمسا واربعين من الشيوخ المنتخبين ثلثهم من الاجانب . ورفع المشروع الى رئيس الوزراء فرده وحمل عليه حملة عنيفة واستنكره . وذاع خبر المشروع فعم سخط المصريين على الانجليز .

وتشكلت في مصر هيئة شعبية ضمت بعض اعضاء الجمعية التشريعية ومجالس المديريات ورؤساء الطوائف والهيئات والنقابات وعدداً كبيراً من زعماء حزب الامة برئاسة وكيل الجمعية التشريعية المنتخب سعد زغلول باشا . وخطت هذه الهيئة لنفسها طريقاً هو السعي لتحقيق استقلال مصر ، ودعت نفسها بهيئة الوفد المصري . وجمعت التوكيلات من الشعب ، ووضعت صيغة اولية للتوكيل نصت على مايلي :

« نحن الموقعين على هذا قد انبنا عنا حضرات سعد زغلول باشا وعلي شعراوى باشا وعبد العزيز فهمي بك ومحمد علي بك وعبد اللطيف المكباتي بك ومحمد محمود باشا واحمد لطفي السيد بك . ولهم ان يضموا اليهم من يختارون في ان يسعوا بالطرق السلمية المشروعة حيثما وجدوا للسعي سبيلا في استقلال مصر تطبيقاً لمبادىء الحرية والعدل التي تنشر رايتها دولة بريطانيا وحلفاؤها ويؤيدون بموجبها تحرير الشعوب » .

واعترض اعضاء الحزب الوطني على الجملة الاخيرة فعدلت بحذف « تطبيقا لمبادىء الحرية والعدل .. الخ » واضاف كلمة « تام » بعد « استقلال مصر » .

وطلب الوفد، بوساطة رئيس الوزراء، تحديد موعد مع المندوب السامي البريطاني السير ريجنلد وينجت ليستقبل فيه ثلاثة من زعماء الوفد . وحددت الساعة الحادية صباحاً من يوم ١٣ تشرين الثاني موعداً للمقابلة . وكانت الهدنة قد وقعت مع المانيا قبل ذلك بيومين ، ومع الدولة العثمانية قبل ثلاثة عشر يوما . ودار بين المندوب السامي واعضاء الوفد الثلاثة (سعد زغلول وعبد العزيز فهمي وعلي شعراوي) حديث مشتت الى ان قال سعد زغلول بان المصريين قلقون على مصيرهم وهم محقون في ذلك ويريدون ان يعرفوا نوايا بريطانيا نحوهم . ورد ونجت منها المصريين باستعجال الامور وبعدم وجود من يمثلهم . واجاب زغلول بانه انتخب عن دائرتين في القاهرة رغم ارادة الحكومة وكتشنر . فسأله وينجت : وماذا تريدون ؟ فاجاب علي شعراوي : اننا نريد ان نكون اصدقاء للانجليز صداقة الحر للحر لا صداقة العبد للحر . وكان هذا القول مثار دهشة المندوب الذي تساءل باستغراب : اذن انتم تطلبون الاستقلال ! فاجابه زغلول : ونحن اهل له . فرد المندوب : ولكن الطفل اذا اعطي من الغذاء اكثر مما يلزم تخم . فدافع عبد العزيز فهمي عن حق مصر بالاستقلال وابدى زغلول استعداد مصر لمنح بريطانيا الضمانات اللازمة والسماح لها وحدها دون غيرها حق احتلال منطقة القنال عند الاقتضاء ومحالفها على غيرها. وقال شعراوي

بان مصر تقبل ببقاء المستشار المالي البريطاني وتخويله سلطة صندوق الدين .
وطالب ثلاثتهم بالسماح لهم بالسفر الى لندن لمباحثة ولاة الامور في انجلترة.
وتعهدوا له ألا يبحثوا مطالب مصر الا مع ممثلي بريطانيا « ولانلتجيء هنا
لسواك ولافي الخارج لغير رجال الدولة الانجليزية » .

وبدأ زغلول محاولاته للحصول على اذن من السلطات العسكرية للسفر
الى لندن . وقدم طلبه الاول في العشرين من تشرين الثاني ثم استعجله فاخبر
بوجود صعوبات تمنع سفره وسيعطى الترخيص فور زوال الصعوبات . فالح
زغلول في طلبه مبينا الحاجة الماسة لوجوده في لندن قبل الاسبوع الاخير من
كانون الاول . ورفض طلبه في اول كانون الاول وطلب منه تقديم اقتراحاته
بصورة خطية الى المندوب على ألا تخرج هذه الاقتراحات « عن الخطة التي
رسمتها حكومة انجلترة واعلنتها » . واوضح زغلول في رده انه لا يستطيع التقيد
بما لا يطابق ارادة الامة المصرية .

واعتبر الوفد نفسه في حل من تعهده بعدم الاتصال بغير ممثلي بريطانيا .
فارسل الوفد بياناً الى قناصل الدول الاجنبية في السادس من كانون الاول
حدد فيه مطالب مصر الستة وهي (١) الاستقلال التام (٢) حكومة دستورية
(٣) احترام الامتيازات الاجنبية وتعديلها بالاتفاق (٤) تقديم ضمانات مالية
(٥) حياد قناة السويس (٦) ضمان عصبة الامم للاستقلال .

وايد رئيس الوزراء رشدي باشا موقف الوفد وطالب بالسماح له وللوفد
بالسفر الى انجلترة ، فلما رفض طلبه رفع استقالته في الثاني من كانون الاول.
ورفض السلطان قبول الاستقالة فعاد رشدي واصر عليها في العاشر من شباط
١٩١٩ فقبلت في اول اذار .

وشعرت الحكومة البريطانية بأهمية الأحداث التي تجري في مصر فاستدعت
ونجت الى لندن . واصر ونجت في تقريره الذي رفعه الى حكومته في ٢٤
شباط ١٩١٩ على أن زغلول لا يثق به أحد ولا حاجة لتغيير السياسة المتبعة في مصر.

واعتقد الانجليز ان الوفد ليس الا حزب الامة في لباس جديد .

وازداد نشاط زغلول السياسي فالقى في ١٣ كانون الثاني ١٩١٩ كلمة في دار حمد الباسل باشا شرح فيها الاهداف المصرية . ورد في السابع من شباط على محاضرة المستشار بريسفال في موضوع مشروع قانون العقوبات الذي وضعته لجنة الامتيازات الاجنبية . ألقى بريسفال محاضرته في دار جمعية الاقتصاد والتشريع باللغة الافرنسية ورد عليه زغلول بالعربية معلناً بطلان الحماية وهي حماية باطلة لا وجود لها قانوناً بل هي ضرورة من ضرورات الحرب تنتهي بنهايتها ، وقدم الوفد عريضة شديدة اللهجة الى السلطان إثر قبول استقالة رشدي . واستدعي رئيس الوفد واعضاؤه في السادس من آذار لمقابلة القائد العام الانجليزي الذي أنذرهم بسوء العاقبة . وألقى القبض صباح السبت في الثامن من آذار على سعد زغلول ومحمد محمود واسماعيل صدقي وحمد الباسل ، واقلتهم في اليوم التالي باخرة الى منفاهم في جزيرة مالطه .

ونشبت الثورة في اليوم التالي . ولم يستهدف أعيان مصر اثارة الشعب المصري او اشراكه في النضال وانما ارادوا إسماع صوت مصر في اوروبا واثارة الرأي العام الاوروبي وكسب عطفه . ولم يخطر ببال احد منهم ان الشعب سيكون له نصيب بالنضال وفي قطف النتائج .

بدأت المظاهرات عنيفة فور انتشار خبر اعتقال سعد ورفاقه فقام الطلاب بمظاهرات عنيفة صباح الاحد التاسع من آذار . واضرب المحامون والعمال وتوقفت اعمال المحاكم والحركة التجارية وقامت النساء بمظاهرة في السادس عشر من آذار . وقام الفنانون بمظاهرة بدأت من ميدان الاوبرا وتفرقت في شارع عدلي . وامتدت الثورة الى الارياف فقطعت خطوط السكك الحديدية ووسائل المواصلات الاخرى . وشملت الاضطرابات مدن بورسعيد ودمنهور ورشيد وطنطا واسيوط . واعلنت بعض القرى استقلالها وشكلت جمهوريات محلية . واخيراً جهز الانجليز حملات عسكرية انذرت القرى بالحرق وفرضت نظام منع التجول ليلاً في الارياف

واستطاع الجيش الانجليزي ان يعيد المواصلات في الثالث والعشرين من آذار وسيطر على البلاد في اوائل نيسان بعد أن كلفت الثورة مصر ثلاثة آلاف قتيل وخسائر مادية جسيمة .

وفوجيء الأعيان وزعماء الوفد بما حدث . فهم لم يتوقعوا اشتراك الشعب بالنضال . وهالهم الخطر الشعبي الجديد فغدا عبد العزيز فهمي تالف الاعصاب يصيح بالطلاب الثائرين : انكم تلعبون بالنار ، دعونا نعمل بهدوء ولا تزيدوا في غضب الانجليز . وسارع الاعيان الذين تزعموا الوفد بعد اعتقال سعد زغلول الى اصدار بيان شجبوا فيه الثورة الشعبية وتنصلوا من المسئولية واعلنوا ان « الاعتداء على الانفس والاملاك محرم بالشرائع الالهية والقوانين الوضعية .. ويضيع على المصريين ما ينتظرونه من العطف عليهم » كأنما الشرائع الالهية لا تحرم الاعتداء على حريات الشعوب . واعتقد الاعيان ان ثورة الشعب هي شغب عابر . وخيل اليهم ان حرية بلد من البلدان يمكن ان تحقق في نقاش حول الموائد وعن طريق استدرار عطف الاجنبي .

واشترك الشعب بكافة فئاته بالنضال . فقد تظاهر الرجال والنساء واهل الفن والفلاحون . وأضرب التجار والموظفون والعمال والمحامون والطلاب . وبدأ الموظفون اضرابهم في الثاني من نيسان واستمروا مضربين حتى الخامس والعشرين . واخيراً اضرب الوزراء والمستوزرون عن قبول مناصب وزارية ورفض الجميع التعاون مع سلطات الحماية . ودهش الانجليز كما دهش اعيان مصر ومناضلوها للصلابة وروح التضحية التي ابداها الشعب المصري . ولم يتمالك زعيم الحزب الوطني محمد فريد نفسه عن القول :

« .. من الحوادث المفاجئة .. والامور التي كانت غير منتظرة ما حصل بمصر في شهري مارس وابريل .. وهو قيام ثورة عامة اشتركت فيها الامة بجميع طبقاتها .. ان هذه الحركة لم تكن في الحسبان وان ما اظهره المصريون من التضامن والاتفاق ما كان احد ليحلم به » .

وعلق احد زعماء الحزب الوطني المحامي عبد الرحمن الرافعي على احداث الثورة بقوله « .. لم أكن اتوقع أن تقوم في البلاد ثورة في مثل هذه الظروف وبمثل هذا الاتساع » .

وادرك الانجليز خطورة ما حدث فقرروا اتباع سياسة جديدة . فاعفي ونجت من منصبه وعين اللورد اللنبي مندوبا ساميا خلفاً له في الحادي والعشرين من آذار واستلم عمله في الخامس والعشرين منه . وخشي الاعيان أن تفلت الامور من ايديهم فاصدروا باسم الوفد بيانا في الرابع والعشرين من آذار دعوا فيه الشعب الى الهدوء، ونشر السلطان بياناً مماثلا في السادس من نيسان . وافرجت السلطات البريطانية عن سعد زغلول ورفاقه في السابع من نيسان وقبل رشدي باشا ان يشكل وزارة جديدة في التاسع منه الا انه اضطر الى الاستقالة في الحادي والعشرين من الشهر بسبب اضراب الموظفين . ووجهت الولايات المتحدة الاميركية في اليوم التالي (٢٢ نيسان ١٩١٩) ضربة كبرى للحركة الوطنية المصرية حينما اعلن رئيسها ولسن اعترافه بالحماية البريطانية على مصر . وبادر الموظفون الى انهاء اضرابهم في الخامس والعشرين من الشهر . وبقيت البلاد بدون وزارة الى ان شكل محمد سعيد باشا وزارة ادارية في الحادي والعشرين من ايار .

واعلنت الحكومة البريطانية عن قرارين هامين . فقد انهت اعتقال سعد زغلول ورفاقه وسمحت لهم بالتوجه الى لندن وباريس، كما شكلت لجنة سداسية برئاسة وزير المستعمرات البريطاني اللورد ملنر وكلفتها بدراسة احوال مصر وتقديم توصيات حول مستقبل البلاد .

ابحر الوفد المصري الى باريس في منتصف نيسان بعد ان انضم اليه في مالطه سعد زغلول وزملاؤه . وساهم الشعب المصري بتمويل الوفد اذ جمع من التبرعات قرابة ربع مليون جنيه لتغطية نفقات الوفد . وصدم الوفد في باريس

بالاعتراف الامريكي بالحماية البريطانية في ٢٢ نيسان وبتضمين معاهدة فرساي، المفروضة على المانيا، شروطاً تنص على اعترافها بالحماية البريطانية (القسم الرابع المواد ١٤٧ - ١٥٤) . ووقعت المانيا ودول الحلفاء هذه المعاهدة اواخر حزيران. وقدم الوفد في الثاني عشر من ايار مذكرة الى المسيو جورج كليمنصو، رئيس مؤتمر الصلح ، احتج فيها على اعتراف المؤتمر بالحماية البريطانية « بدون أقل مراعاة لرأي الامة المصرية » واعتبار الشعب المصري « سلعة من السلع التي يتجر بها ». والمؤسف ان يندد سعد زغلول باستقلال الحجاز وتمثيله في مؤتمر الصلح « لانه كيف يستطيع العقل البشري ان يفسر نيل الحجاز استقلالها وهي ولاية صغيرة .. وعدد سكانها .. لا يذكر ، ومواردها ضيقة ولم تتحمل شيئا من اعباء الحرب . » وكذلك وقف وفد الحجاز موقفا غير ودي من وفد مصر فخدم الوفدان مصالح الاستعمار بهذا السلوك الاناني المستهجن. وبقي اعضاء الوفد في باريس الى منتصف عام ١٩٢٠ يحاولون عبثاً اسماع صوتهم . واخيرا قصد الوفد لندن بعد ان رأى استحالة كسب عطف اي بلد على قضيته التي غدت قضية مصرية بريطانية خالصة . ولم يخفف من صدمة هذا الفشل الذي اصاب القضية المصرية في الميدان الدولي غير قرار مجلس الشيوخ الامريكي في آب ١٩١٩ بأن مصر من الوجهة السياسية « ليست تابعة لتركيا ولا لبريطانيا العظمى ويجب ان تكون صاحبة الامر في تقرير مصيرها ». ولكن الولايات المتحدة قد جمدت في الوقت نفسه نشاطها في الميدان الدولي فلم تستفد مصر شيئا من هذا القرار .

وبينما كان زغلول يحاول عبثاً اسماع صوته في باريس ، وصل الى مصر في كانون الاول ١٩١٩ لجنة ملنر . وكانت مهمة اللجنة الاساسية هي « التحقيق في اسباب الاضطرابات التي حدثت اخيراً .. وتقديم تقرير عن الحالة الحاضرة في تلك البلاد ، وعن شكل القانون النظامي - اي الدستور - الذي يعد تحت الحماية خير دستور لترقية اسباب السلام واليسر والرخاء فيها ، ولتوسيع نطاق

الحكم الذاتي فيها توسيعاً دائم التقدم والترقي ولحماية المصالح الاجنبية . »

وشغلت دوائر الحكومة المصرية بجمع واعداد المعلومات اللازمة لعمل اللجنة . ورأى سعيد باشا انه لا يستطيع قبول المبدأ الذي تعمل بموجبه اللجنة وهو « المحافظة على حكومة مصر الذاتية تحت الحماية البريطانية وانشاء نظام حكومة ذاتية تحت حكم سلطان مصري » لا سيا بعدما قامت مظاهرات احتجاجات صاخبة على هذا البيان ، فقدم استقالته في ١٥ تشرين الثاني . وعلل سعيد باشا استقالته بان استمراره في الحكم غدا « عديم الفائدة بالمرة للبلاد » . وقبل السلطان الاستقالة في ١٩ منه ، وشكل يوسف وهبة باشا (وهو قبطي) وزارة جديدة بعد يومين ضمت اكثر اعضاء الوزارة المستقيلة . واحتج الاقباط على قبول يوسف وهبة باشا الوزارة واعتبروا عمله هذا قبولا « للحماية ولمناقشة لجنة ملنر وهذا ما يخالف ما اجمعت عليه الامة المصرية من طلب الاستقلال التام ومقاطعة اللجنة » .

وكانت جريدة « النظام » الصغيرة المحدودة الانتشار قد نشرت اقتراحاً لقارىء مجهول دعا فيه لمقاطعة لجنة ملنر . وغدا الاقتراح دستوراً للمصريين فنظموا اللجان لتنظيم المقاطعة وتفننوا فيها . ووصلت اللجنة في السابع من كانون الاول لتجد البلاد في حالة غير طبيعية من الهياج والاضطراب . فقد اضرب الطلاب وقاموا بمظاهرات عديدة . ووجد التجار صباح التاسع من كانون الاول اعلانات ملصقة على ابواب متاجرهم مكتوبا عليها «المحل مقفول احتجاجاً على مجيء لجنة ملنر لبسط الحماية » فاستجاب لذلك كثيرون . واضرب المحامون اسبوعاً واحداً (١٧-٢٤ كانون اول) . واجتمع يوم الجمعة في ١٢ كانون الاول عدد كبير من السيدات المسلمات والقبطيات في الكنيسة المرقسية القبطية للاحتجاج على وزارة وهبة باشا وقدوم لجنة ملنر ، وقام النساء بمظاهرة كبرى في ١٦ كانون الثاني ١٩٢٠ . وخرجت مظاهرة من الازهر في ١١ كانون الاول ١٩١٩ ففرقها الانجليز وتعقبوا المتظاهرين داخل الازهر وخرقوا حرمته فاثار

هذا العمل علماء الازهر والرأي العام . واصدر علماء الازهر بيانا اعلنوا فيه « ان الطريقة الوحيدة لتوطيد السلام .. هي ان تفي الدولة الانكليزية بوعودها وتعترف بالاستقلال التام لهذا البلد » .

ورأت اللجنة ضرورة تطمين افكار المصريين وتخفيف حدة عدائهم للجنة فاصدرت بيانا في ٢٩ كانون الاول جاء فيه مايلي :

« جاءت اللجنة البريطانية الى مصر فادهشها مارأته من الاعتقاد الشائع بين الجمهور بان الغرض من مجيئها هو سلب شيء من الحقوق التي كانت لمصر الى اليوم . فاللجنة تعلن فساد هذا الاعتقاد وانه لانصيب له من الصحة البتة فانها انما اوفدتها الحكومة البريطانية بموافقة مجلس نوابها ومجلس اعيانها لغرض واحد هو التوفيق بين اماني الامة المصرية وبين ما لبريطانيا العظمى من المصالح .. مع المحافظة على الحقوق المشروعة التي لجميع الاجانب القاطنين فيها .. واذا توافر حسن النية وصدق الاخلاص يصبح من الميسور تحقيق هذه الغاية . وانها لترغب رغبة اكيدة في ان تكون الصلة بين بريطانيا العظمى ومصر اساسها اتفاق ودي يستأصل كل سبب للتنافر فيتمكن المصريون من ان يصرفوا جهودهم في ترقية شئون بلادهم في ظل انظمة دستورية . وتود اللجنة ان تقف على آراء الهيئات المشخصة للامة المصرية وآراء الاشخاص . ويتمكن كل فرد من ابداء رأيه .. وهي تعلن ان الدخول في المناقشة لايعتبر اعترافاً بمبدأ او تنازلاً عن رأي . وان حرية المناقشة شرط اساسي للنجاح . »

ورد على هذا البيان حزب الوفد والحزب الوطني وخمسة من الامراء من اسرة محمد علي . واجمعت هذه الردود على ان طلب المصريين الوحيد هو الاستقلال التام . واضاف الحزب الوطني الى هذا الطلب بان « الامة المصرية لاتقبل غير استقلال مصر التام مع سودانها وملحقاتها استقلالا غير مشوب باية حماية او سيادة اجنبية او أي قيد يقيد هذا الاستقلال وانها لاترضى بالمخابرة مع اية هيئة بريطانية او غيرها الا اذا اعترفت بريطانيا بهذا الاستقلال التام واعلنت

اعترافها به رسمياً وايدته بجلاء.. عن وادي النيل وسحبت اعلان الحماية ».

واتمت لجنة ملنر دراساتها للاوضاع في مصر وعادت الى لندن اول آذار ١٩٢٠ . واصدرت في ١٨ آب تقريراً عن الاوضاع في مصر اتهمت فيه الادارة البريطانية في مصر بقصر النظر وعدم اطلاعها على حقيقة الوضع والشعور ، واقترحت تنظيم العلاقات بين مصر وبريطانيا على اساس معاهدة استقلال . وجاء في التقرير مايلي :

« ان كل حل تفرضه بريطانيا على مصر فرضاً لايرضي ولايفي بالغرض وان الحكمة تقضي بالتماس حل يتفق عليه الفريقان ، اي بعقد معاهدة بين البلدين ، ولم نر سبيلا غير.. الغاء الحماية التي يعترض عليها المصريون «وانه بامكان بريطانيا ان تحمي مصالحها « بعقد معاهدة ترضي فيها مصر بان تسترشد ببريطانيا العظمى في علاقاتها الخارجية وتعطيها الحق . في ابقاء قوة عسكرية لتحمي .. سلامة مواصلاتها الامبراطورية ، وان يكون لها رقابة على التشريع المصري والادارة فيما يختص بالاجانب .. وان لاتنفذ المعاهدة الا اذا وافقت عليها جمعية مصرية تنوب عن الامة » .

ولعل هذا اخطر تقرير في تاريخ العرب في القرن العشرين . فقد قيدت العلاقات بين العرب والغرب خلال الثلاثين سنة التالية بالاسس التي وضعها ملنر . واصبح هدف الغرب والساسة العرب في كل قطر عربي هو سن دستور جديد واجراء انتخابات لمجلس نيابي ممثل للامة ليصدق معاهدة مع الدولة الغربية الحامية او المنتدبة على غرار الاسس التي وضعتها لجنة ملنر . وكانت جميع الدساتير التي وضعت خلال هذه الفترة دساتير معاهدات . وكلما فشل برلمان في ابرام المعاهدة المقترحة عمد الاجنبي الى العمل على حل المجلس وتعطيل الدستور حتى اذا ما اعتقد الاجنبي ان الوطنيين اصبحوا على استعداد لإبرام معاهدة رضي عن اعادة الحياة الدستورية .

ذهب زغلول على رأس الوفد المصري الى لندن لمفاوضة ملنر ورفاقه . وتم في ١٧ حزيران ١٩٢٠ وضع مشروعين احدهما مصري والآخر بريطاني لتنظيم العلاقات بين مصر وبريطانيا ، ولكن رفض كل فريق مشروع الفريق الآخر. واخيراً وضع ملنر مشروعاً للتسوية أفضل قليلاً من مشروعه الأول . واقترح الوفد المصري وقف المباحثات ريثما يستطلع بعض أعضائه رأي الناس في مصر فقبل ملنر الفكرة . وتوجه محمد محمود باشا وعبد اللطيف المكباتي بك واحمد لطفي السيد بك وعلي ماهر بك الى مصر ليعرضوا على الامة النتائج التي توصلوا اليها على ان ينضم اليهم في مصر كل من مصطفى النحاس بك والدكتور حافظ عفيفي بك والاستاذ ويصا واصف . ووجه زغلول في ٢٢ آب ١٩٢٠ بياناً للشعب شرح فيه المشروع الجديد وبين المراحل التي قطعها في مفاوضاته مع الانجليز . ومع ان سعد زغلول قد أبدى اعتراضاته الشخصية على المشروع في خطاب خاص أرسله الى بعض أعضاء الوفد في مصر ، فإن مشروعه الذي قدمه لم يكن أفضل من مشروعي ملنر بكثير .

لقد نصت المشاريع الثلاث على مبادىء أساسية هامة . فقد حوت المشاريع اعترافاً بريطانياً بمصر مملكة دستورية مستقلة ترتبط ببريطانيا بمعاهدة صداقة وحلف . ووجب على مصر بموجب هذه المشاريع ان تسمح لبريطانيا بإقامة قواعد عسكرية على أرض مصر. الا ان المشروع المصري حصر هذه القواعد بالضفة الآسيوية من قناة السويس بينما لم يحددها الانجليز ارضاً معينة. وتعهدت مصر بألا تحالف دولة غير بريطانيا وأن تمثلها بريطانيا في البلاد التي ليس لمصر فيها ممثلون . واتفقت المشاريع على إرجاء بحث القضية السودانية . وحدث خلاف واضح في كيفية انهاء الامتيازات الاجنبية والمحاكم القنصلية وتنظيم المحاكم المختلطة . وطالب المشروع البريطاني بإبقاء مستشار مالي بريطاني وآخر قضائي وبنائب عام بريطاني لدى المحاكم المختلطة وبوضع ممتاز لممثل بريطانيا الدبلوماسي .

وانقسم الرأي العام في مصر حول هذه المشاريع . فقد رأى الحزب

الوطني وكثيرون غيره وجوب رفض المشروع . واستحسن آخرون قبول المشروع اذا امكن ادخال تعديلات عليه تنص على الغاء الحماية صراحة . وعاد اعضاء الوفد الى لندن حاملين رأي الناس في المشاريع . وتم الاتفاق على ارجاء البحث في التحفظات ليبت فيها بمفاوضات رسمية بين الحكومة المصرية والحكومة البريطانية . وغادر زغلول وزملاؤه لندن في ١١ تشرين الثاني ١٩٢٠ ، وقدم ملنر تقرير لجنته النهائي في ٩ كانون الاول .

وحدثت تغييرات اساسية في سياستي مصر وبريطانيا بعد ذلك . فقد استقال ملنر في كانون الثاني ١٩٢١ وخلفه في منصبه بعد شهر المستر ونستون تشرشل . وعاوض تشرشل والعسكريون اقتراحات ملنر وقالوا ان الفلاح المصري يفضل الانجليز على حكم وطني . واعلن تشرشل في خطاب له ان مصر جزء من الامبراطورية البريطانية ويجب ان تبقى كذلك . ولكن الوزارة البريطانية اخذت بوجهة نظر ملنر واقتنعت بضرورة ابدال نظام الحماية بمعاهدة وابلغت رغبتها هذه الى سلطان مصر في ٢٦ شباط ١٩٢١ . ورغبت الحكومة البريطانية في الشروع بمفاوضات مع وفد رسمي يمثل الحكومة المصرية لالغاء نظام الحماية واستبدالها بعلاقة تضمن مصالح بريطانية والدول الاجنبية وتطابق الاماني المشروعة لمصر .

وحدثت اثناء ذلك تغييرات هامة في السياسة المصرية الداخلية . فقد تزوج السلطان فؤاد من نازلي ابنة وزير الزراعة عبد الرحيم صبري باشا في ٢٤ شعبان ١٣٣٧/ ٢٤ ايار ١٩١٩ ورزق منها في ٢١ جمادى الاولى ١٣٣٨/١١ شباط ١٩٢٠ بابنه فاروق . واعترفت بريطانية في ١٥ نيسان ١٩٢٠ بفاروق ولياً للعهد ، فأرسل فؤاد برقية ولاء وشكر لملك بريطانيا على هذا الاعتراف . واعتبر الحزب الوطني والوفد المصري هذا العمل اهانة لمصر واحتجوا بأن تقرير نظام الوراثة حق من حقوق الامة المصرية وحدها .

وعملت السلطات العسكرية المصرية إبان هذه الفترة (١٩١٩ - ١٩٢٠)

على التخفيف من اجراءاتها . فقد افرجت عن عدد كبير من المعتقلين اواخر ايار ١٩١٩ وتوقفت المحاكم العسكرية عن العمل ابتداء من ١٥ تموز ١٩١٩ ، وأحيلت القضايا الى المحاكم العادية . والغيت الرقابة على البريد وعلى الصحف في تموز ١٩١٩ . وصدر وعد بالغاء الرقابة على المطبوعات فور توقيع معاهدة الصلح ، ولكن حذر الصحفيين من نشر ما يمس السلطات وسلطات الحماية والوزراء . وعادت السلطات في ١٨ كانون الاول ١٩١٩ الى انذار الصحف بعدم نشر البرقيات المعادية للانجليز او للجنة ملنر . ثم اعيد فرض الرقابة على الصحف في السادس من آذار ١٩٢٠ « نظراً لما تنشره من مقالات تخل بسلطة الحكومة ، (وتؤدي) الى احداث اضطرابات » فأضربت الصحف ثلاثة أيام متوالية احتجاجاً على هذا القرار .

وحدثت تغييرات وزارية عديدة . فقد قاوم الرأي العام وزارة يوسف وهبه باشا وحدثت اعتداءات كثيرة على أعضاء وزارته . وتعرض رئيس الوزراء وثلاثة من وزرائه لمحاولات اغتيال فاشلة . ورأى السلطان ان وزير الداخلية محمد توفيق نسيم باشا هو أقدر من يوسف وهبة باشا على احضار الاعيان والعمد الى السراي لتقديم التهاني وعروض الولاء للسلطان ، فأوعز الى وهبة باشا بالاستقالة في ١٩ ايار ١٩٢٠ وشكل محمد توفيق نسيم باشا وزارته الاولى في ٢٢ ايار التي كانت استمراراً لوزارة سلفه . وتعرض رئيس الوزارة الجديدة لمحاولة فاشلة لاغتياله بعد عشرين يوماً من استلامه منصبه . واضطر نسيم باشا الى تقديم استقالته في ١٥ آذار ١٩٢١ ليفسح الطريق امام عدلي يكن باشا الذي شكل وزارة مفاوضات في ١٧ آذار . وأعلن عدلي عن عزمه على الدخول في مفاوضات مع بريطانيا يدعى الوفد المصري الى الاشتراك فيها ، وان الامة سيكون لها على « لسان ممثليها في الجمعية الوطنية القول الفصل . . وان هذه الجمعية ستكون ايضاً بمثابة جمعية تأسيسية . . وستحاط الانتخابات لهذه الجمعية بكل الضمانات التي تكفل تمام حريتها . . وتحقق تمثيل

رأي الامة تمثيلا صحيحاً . » وقوبل تشكيل الوزارة بفرح شديد في مصر . وعاد سعد الى مصر فوصل القاهرة في الرابع من نيسان ١٩٢١ .

فشلت محاولات عدلي لاشراك سعد زغلول والوفد في وفد المفاوضات الرسمي . فقد أصر زغلول على ان يكون لحزبه الاغلبية والرئاسة واشترط الغاء الاحكام العرفية والرقابة على الصحف قبل المباشرة بالمفاوضات ، وطالب بأن يكون هدف الوفد من المفاوضة الغاء الحماية والاعتراف باستقلال مصر التام الداخلي والخارجي . ورد عدلي بان رئاسة الوفد المفاوض يجب ان تكون لرئيس الوزراء كما هو الحال في البلاد الدستورية . واجابه زغلول جوابا جارحا « ان الوزارة معينة من قبل عظمة السلطان الذي يمثل سلطة الحماية المضروبة عليكم رغم انوفكم . . ورئيس وزراء مصر ليس الا موظفاً من موظفي الحكومة الانجليزية يسقط ويرتفع باشارة من المندوب السامي . . وان مفاوضاً تعينه الحكومة المصرية لمفاوضة انجلترة يساوي جورج الخامس يفاوض جورج الخامس » .

وانقسم حزب الوفد على نفسه . وقامت مظاهرات واضطرابات قمعت احياناً بعنف . وانشق في ٢٨ نيسان عدد من الوفديين على سعد وتركوا الحزب وهم : حمد الباسل ، محمد محمود ، احمد لطفي السيد ، علي شعراوي ، عبد اللطيف المكباتي ، محمد علي علوبة . واصدر زغلول في اليوم التالي قراراً بفصلهم من الحزب فاستقال من الحزب كل من عبد العزيز فهمي وحافظ عفيفي وعبد الخالق مدكور وجورج خياط . ووقف الرأي العام المصري وراء سعد . واضطهدت الوزارة انصاره واحالت الى مجالس تأديبية موظفين اكرموا سعد كان من بينهم النقراشي ومكرم عبيد واحمد خشبه .

واصر عدلي على تشكيل وفد مفاوضة والاستمرار في عمله رغم معارضة الوفد . وشكل في ١٩ ايار وفد رسمي برئاسة عدلي وعضوية الوزراء حسين رشدي باشا واسماعيل صدقي باشا ومحمد شفيق باشا والوزير السابق يوسف سليمان

باشا ورئيس محكمة الاستئناف احمد طلعت باشا . وصحب الوفد عدد من المستشارين والخبراء امثال عبد الحميد بدوي وتوفيق دوس واحمد امين واحمد حسنين والدكتور يوسف نحاس . وغادر الوفد مصر اول تموز ١٩٢١ فوصل باريس في السادس منه حيث لقيه في المحطة طلبة مصريون يهتفون ضده. ووصل الوفد لندن في الحادي عشر منه فلقي في محطة لندن مظاهرة معادية اخرى نظمها الطلبة المصريون . وبدأ الوفد مفاوضاته مع اللورد كيرزون وزير الخارجية البريطانية التي استمرت حتى العاشر من تشرين الثاني وانتهت بالاخفاق. ولم يظهر أعضاء الوفد بمظهر لائق اذ أكثروا من الدس على بعضهم بعضا، وكان اكثرهم حذرا من صدقي وبدوي وشا كا ميولهما . ومال صدقي وبدوي الى التساهل في قبول المطالب البريطانية حتى ان رشدي باشا اصيب بشلل من تصرفات صدقي . وفي العاشر من تشرين الثاني سلم كرزن الى عدلي مطالب بريطانيا والتي تتلخص في عقد معاهدة تقر بقاء القوات البريطانية وخبراء انجليز ومندوب سام بريطاني وحرمان مصر من التمثيل الخارجي . ورفض عدلي هذا المشروع في الخامس عشر من تشرين الثاني. ولم ير الاسترسال بالمفاوضات بعد التاسع عشر منه وغادر لندن في اليوم التالي في طريق عودته الى مصر فوصل الاسكندرية في الخامس من كانون الاول. وقدم عدلي ، بعد ثلاثة ايام من وصوله ، استقالته الى السلطان حتى « لايكون هناك سبيل لتحميل الوزارة شيئا من التبعة عن اجراءات لا علم لها بها ولا دخل لها فيها» كان منها اعتقال سعد زغلول.

ونشطت بريطانيا للعمل • وسلم المندوب السامي الى السلطان تبليغا في الثالث من كانون الاول ١٩٢١ اي قبل وصول عدلي بيومين . واكد التبليغ تمسك بريطانيا بمقترحاتها وعزمها على ابقاء قوة بريطانية في مصر لحماية مصالحها ومواصلة العمل على الغاء الامتيازات ونقل السلطات التي يتولاها الحاكم العسكري الى الحكومة المصرية والغاء الاحكام العرفية فور اصدار قانون التضمينات . وجاء في البلاغ الانذار التالي للمصريين :

« واذا كان الشعب المصري يستسلم الى امانيه الوطنية مهما كانت هذه الاماني صحيحة ومشروعة في ذاتها دون ان يكترث اكتراثا كافيا للحقائق التي تتحكم في الحياة الدولية فان تقدمه في سبيل تحقيق مطمحه الاسمى لايصيبه التأخير فقط بل يتعرض للخطر تعرضاً تاما .. وان العالم يتألم الان في جهات عديدة من الاندفاع في نوع من الوطنية المتعصبة المضطربة ..

وسبيل التقدم الوحيد للشعب المصري يقوم على تآزره مع الامبراطورية البريطانية لاعلى تنافرهما .. وكلما زاد اعتراف شعبكم بوحدة المصالح البريطانية ومصالحه كلما قلت الحاجة الى هذه الضمانات ».

واصدر سعد زغلول في السابع من كانون اول نداء الى الامة دعاها فيه الى مواصلة الجهاد « وشعارنا الاستقلال التام او الموت الزؤام » . وانذرت السلطات البريطانية سعد زغلول وغيره بعدم القاء الخطب وعدم حضور المجتمعات العامة او الكتابة في الصحف وامرته وغيره بالاقامة في الريف . ورفض سعد زغلول الاستجابة الى الانذار ورد عليه بقوله : « اني موكل من قبل الامة .. فليس لغيرها سلطة تخليني من القيام بهذا الواجب المقدس لهذا سابقى في مركزي مخلصا لواجبي . وللقوة ان تفعل بنا ما تشاء ». وبادرت السلطات البريطانية الى اعتقال زغلول ورفاقه وتجميد اموالهم واموال الوفد . ونفي سعد زغلول وعاطف بركات ومصطفى النحاس ومكرم عبيد وسينوت حنا بك الى جزيرة سيشل فوصلوها في اذار ١٩٢٢ وبقوا فيها، باستثناء زغلول، حتى اول حزيران ١٩٢٣.

وكان سعد زغلول اذ ذاك في الثالثة والستين من عمره . فقد ولد سعد زغلول عام ١٢٧٣/١٨٥٧ في بلدة ابيانه (المديرية الغربية) وتتلمذ على الافغاني ومحمد عبده وعمل محرراً في الوقائع المصرية وانضم الى الحركة العرابية وسجن . ومارس سعد بعد ذلك المحاماة زمنا . ثم انضم الى الطبقة الارستقراطية وصاهرها بزواجه من صفية ابنة رئيس الوزراء الانجليزي الميول مصطفى باشا في شباط ١٨٩٦ . ولم ينضم زغلول الى اي حزب من

الاحزاب القائمة حينئذ ولكنه لم يعاد ايا منها بل صادق الجميع . واصبح وزيرا برأي كرومر فدافع عن تجديد امتياز قناة السويس وعن قوانين الصحافة . واعتزل الوزارة واصبح نائبا رغم معارضة الحكومة والانجليز وغدا الوكيل المنتخب للجمعية التشريعية . ثم حزم امره آخر عمره فقرر ان يناضل بجدوان يعرض نفسه للاذى في سبيل بلاده فاظهر ثباتا واخلاصا ادهش الجميع . وقرر سعد ان يسلك طريق النضال الى جانب الشعب . وكان الانجليز قد نفوه لاول مرة الى مالطة في الثامن من آذار ١٩١٩ فبقي فيها حتى اوائل نيسان ١٩١٩. وغادر مالطة الى اوروبا للعمل للقضية المصرية ولم يعد الى مصر إلا في الخامس من نيسان ١٩٢١. واعتقل للمرة الثانية في ٢٣ كانون اول ١٩٢١ ونفي الى سيشل حيث بقي فيها حتى آذار ١٩٢٢ ثم نقل الى جبل طارق، وبقي فيها معتقلا حتى ٣٠ اذار ١٩٢٣ حينما اخلي سراحه فقصد فرنسا للاستشفاء وعاد الى مصر في ايلول .

اعاد اعتقال سعد زغلول ورفاقه الوحدة الى صفوف الوفد . فقد انضم اليه ثانية كل من محمد محمود وعبد العزيز فهمي واحمد لطفي السيد وحافظ عفيفي وعبد اللطيف المكباتي ومحمد علي علوبة وجورج خياط . واصدر الوفد في ٢٨ كانون الاول بياناً الى الامة اعلنوا فيه استمرار العمل لنيل الاستقلال التام . وانضم الى الوفد اوائل عام ١٩٢٢ كل من علي الشمسي وعلوي الجزار ومراد الشريعي ومرقس حنا وعبد القادر الجمال . ولكن مالبث الفريق الاول ان انشق ثانية عن الوفد في كانون الثاني ١٩٢٢ .

وخطا الوفد خطوة جديدة في ميدان النضال ، فقد دعا الى المقاومة السلبية – الى عدم التعاون والمقاطعة . واعتقل الانجليز رجال الوفد الذين وقعوا الدعوة وعطلوا الصحف التي نشرت بيانهم ؛ ولكن الوفد شكل هيئة جديدة حلت محل الهيئة المعتقلة .

ورأى اللنبي ان على بريطانيا ان تجد لها مخرجاً من الازمة . فقد احجم المصريون عن قبول المناصب الوزارية وبقيت مصر بدون وزارة اكثر من

شهرين . ورفض محمد عبد الخالق ثروت باشا (١٨٧٣ – ١٩٢٨) ان يشكل وزارة الا بشروط تتضمن الغاء تبليغ ٣ كانون الاول ١٩٢١ واعلان الغاء الحماية والاعتراف باستقلال مصر وانشاء حياة نيابية صحيحة . واقتنع اللنبي بأن شروط ثروت معقولة فنصح حكومته بقبولها . وترددت الحكومة البريطانية واستدعته . وأصر اللنبي على رأيه مهدداً بالاستقالة واخيراً سلمت بمقترحاته . واعلن اللنبي بعد عودته من لندن التصريح المشهور بتصريح ٢٨ فبراير (شباط) ١٩٢٢ الذي اعترفت بريطانيا بموجبه بانهاء الحماية واعلان استقلال مصر والغاء الاحكام العرفية البريطانية فور اصدار قانون تضمينات مصري يقر الاجراءات التي اتخذتها من قبل السلطات البريطانية . واحتفظت بريطانيا لنفسها بصورة مطلقة ، الى أن يتم عقد معاهدة مع مصر ، بتولي أمور تأمين مواصلاتها الامبراطورية والدفاع عن مصر وحماية المصالح الأجنبية فيها وادارة السودان .

وقبل ثروت ان يشكل وزارة في اول آذار . وأعلن السلطان فؤاد في ١٥ آذار ان مصر دولة مستقلة ذات سيادة وانه اتخذ لنفسه لقب صاحب الجلالة ملك مصر . واعتقد اعيان مصر ان طريق النضال اصبح واضح المعالم فلم يبق عليهم الا أن يقنعوا بريطانيا أن ليس بها من حاجة الى التمسك بالضمانات . ولا سبيل الى ذلك ، في رأي الاعيان ، الا بالتعلق بأهداب السكينة والتزام الهدوء .

وكان تصريح ٢٨ فبراير نموذجا للاتجاه السياسي في العالم العربي . فقد التزمت الدولة الغربية صاحبة العلاقة في تصريح ٢٨ فبراير وفي البلاغ البريطاني الصادر في بغداد في ٢٠ حزيران ١٩٢٠ وفي تصريحات المندوب السامي الافرنسي في سورية في الاعوام ١٩٢٧ ، ١٩٢٨ ، ١٩٣٠ بالموافقة على اقامة حكومات دستورية في هذه البلاد العربية وبالاعتراف باستقلالها الشكلي . واصرت الدولة الغربية على الاحتفاظ لنفسها بحق الاشراف على امن البلاد الداخلي والخارجي وبحق حماية

مصالحها والمصالح الاجنبية على ان تنظم حقوق الدولة الغربية المعنية بموجب معاهدة تعقدها مع حكومة البلد العربي ويقرها برلمان منتخب .

ونكاد نلمح بعد الآن يد الدولة الغربية وراء كل وزارة تشكل أو تسقط ، ووراء كل مجلس نواب يحل او دستور يعطل او حزب يشكل . واصبح هدف كل حزب اقناع الشعب بانه احرص من غيره على حقوق الشعب واقدر من غيره على نيل المعاهدة المطلوبة . وسعى كل حزب الى اقناع الدولة الغربية بانه اقدر من غيره على اقناع الشعب بقبول المعاهدة . وبدلا من ان تتضافر جهود الساسة والاحزاب على تشكيل جبهة واحدة أمام المستعمر ، بدأ النزاع بينهم افراداً واحزابا وكلهم يدعي انه يمثل الشعب واماني الشعب أكثر من غيره .

بدأ ثروت باشا بنشاط عمله على سن دستور لمصر . فالف في الثالث من نيسان ١٩٢٢ لجنة لوضع مشروع الدستور وقانون الانتخاب ضمت ثلاثين عضواً من صفوة رجال القانون والعلماء ورجال الدين والاعيان برئاسة حسين رشدي باشا . ووضعت اللجنة دستوراً على نمط الدستور البلجيكي جعلت فيه الامة مصدر السلطات . ولم يرض الملك عن المشروع بل طالب بصلاحيات اوسع لنفسه . وقدمت اللجنة مشروعها الى ثروت باشا يوم السبت في ٢١ تشرين الاول ١٩٢٢ . وقدم ثروت استقالة وزارته في ٢٩ تشرين الثاني بعد ان طوح بها الخلاف على الدستور . وذكر ثروت في كتاب استقالته انه وفق في وضع اسس ادارة البلاد بواسطة حكومة وطنية وبالغاء وظائف المستشارين الاجانب في الوزارات باستثناء مستشاري وزارتي العدلية والمالية اللذين قصرت مهمتها على ابداء الرأي . وربط الموظفون الاجانب بالوزراء واوفد مصريون الى اوربا لتكوين الكفاءات اللازمة .

وألف محمد توفيق نسيم باشا وزارة جديدة (٣٠ تشرين الثاني ١٩٢٢ - ٥ شباط ١٩٢٣) . وسعى نسيم باشا الى ادخال تعديلات على الدستور ترضي

الملك والانجليز . فقد طلب الانجليز حذف المادة ٢٩ التي نصت على ان الملك يلقب بملك مصر والسودان . وادخلت وزارة نسيم تعديلات كثيرة على الدستور زادت من سلطات الملك على حساب الشعب .

وتم اصدار الدستور في شكله الاخير في عهد وزارة يحيى ابراهيم باشا (١٥ اذار ١٩٢٣ - ١٧ كانون الثاني ١٩٢٤) . وبدأت حملة قوية تطالب باصدار الدستور على الشكل الذي وضعته لجنة الدستور . واخيرا صدر الامر الملكي بالدستور في ١٩ نيسان ١٩٢٣ طبقاً للمشروع الاول مع ادخال التعديل الذي اصرت عليه بريطانيا حول السودان . وصدر في الخامس من تموز قانون التضمينات الذي يقضي باقرار جميع الاحكام العسكرية التي صدرت منذ الخامس من تشرين الثاني ١٩١٤ . وصدر في اليوم نفسه قرار من المندوب السامي القائد العام للقوات البريطانية بالغاء الاحكام العرفية . واذاعت الحكومة المصرية بياناً تسمح فيه لجميع المبعدين المصريين بالعودة . فعاد سعد زغلول من اوروبا وعاد زملاؤه من سيشل .

واشرفت وزارة يحيي ابراهيم باشا على الانتخابات البرلمانية بحياد تام . وجرت انتخابات الدرجة الاولى يوم ٢٧ كانون الاول ١٩٢٣ والثانية في ١٢ كانون الثاني ١٩٢٣ . وحاز الوفديون مائة وتسع وثمانين مقعداً من مجموع مائتين واربعة عشرة مقعداً . وقدم رئيس الوزراء استقالته في ١٧ كانون الثاني فقبلها الملك بعد عشرة ايام وعهد الى سعد زغلول بتشكيل اول وزارة برلمانية اشتهرت باسم وزارة الشعب . واجريت انتخابات مجلس الشيوخ في ٢٣ كانون الثاني وافتتح البرلمان يوم السبت في ١٥ آذار ١٩٢٤ .

وبينما كانت مصر مشغولة بتصريح ٢٨ فبراير وبصياغة دستورها انعقد مؤتمر لوزان لعقد تسوية نهائية بين تركيا والحلفاء . وكان مصير السيادة العثمانية على مصر من الامور المعروضة على المؤتمر فحق لمصر ان تسمع صوتها فيها . وحاولت وزارة ثروت باشا الحصول على حق تمثيل مصر في المؤتمر ولكنها

استقالت قبل ان تنجح في ذلك . ودعي الى عقد المؤتمر في ٢٧ تشرين الاول ١٩٢٢ وافتتح في ٢٠ تشرين الثاني وفضت جلساته في ٤ شباط ١٩٢٣ لرفض تركيا قبول الشروط المعروضة . وعاد المؤتمر الى الانعقاد في ٢٢ نيسان ١٩٢٣ لدراسة الشروط التركية الجديدة . واتفق المؤتمرون على صيغة نهائية وقعوها في ٢٤ تموز . وبموجب المواد ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٩٩ اعتبرت القضية المصرية قضية قائمة بذاتها . وتنازلت تركيا عن كل حقوقها في مصر والسودان ابتداء من ٥ تشرين الثاني ١٩١٤ وتحررت تركيا مقابل ذلك من القروض العثمانية المضمونة بالجزية المصرية .

واهملت الوزارات المصرية التي خلفت وزارة ثروت باشا امر اشتراك مصر في مؤتمر لوزان، ولكن حزب الوفد والحزب الوطني اهتما بالامر . وشكل كل من الحزبين وفدا خاصا ارسله الى لوزان للدفاع عن حقوق مصر . وانضم الوفدان الى بعضهما بعضا ليشكلا وفدا واحدا في ١٤ تشرين الثاني ١٩٢٢ ، وايد سعد زغلول هذا الاتفاق . واستطاع الوفد ان يكسب عطف مصطفى كمال باشا وعصمت اينونو على قضية مصر ولكنه فشل في دخول المؤتمر فاكتفى بتقديم المذكرات .

الحياة النيابية في مصر

عرفت مصر خلال الثلاثين سنة من تاريخها الدستوري عشر مجالس نيابية في ظل دستورين وملكين وما يزيد على خمس وثلاثين وزارة وعشرة احزاب . ولم يكمل ايّ من هذه المجالس النيابية مدته القانونية واستمر عمر احدها يوما واحدا . وعاشت مصر قرابة سبع سنوات بدون مجالس نيابية واحيانا بلا دستور .

١ – **مجلس النواب الاول** (٢١٤ نائباً ٩٠٪ منهم وفديون) بدأت انتخاباته (على درجتين) في ١٢ كانون الاول ١٩٢٤ وافتتح في ١٥ اذار ١٩٢٤ . اجلته وزارة زيور باشا في ٢٥ تشرين الثاني وحلته في ١٥ كانون الاول قبل ان يتم عامه الاول .

والف سعد زغلول اول وزارة دستورية بعد ان قدم يحيى ابراهيم باشا استقالة وزارته . وضمت وزارته لاول مرة في تاريخ مصر وزيرين قبطيين ووزراء لا يعرفهم الناس ولا يحملون القابا . وخرج زغلول على الناس بتقليد جديد محمـــود عندما اجاب على كتاب التكليف المؤرخ في ٢٨ كانون ثاني ١٩٢٤ بقوله :

ان الرعاية السامية التي قابلتم بها جلالتكم ثقة الامة ونوابها بشخصي الضعيف توجب علي والبلاد داخلة في نظام نيابي يقضي باحترام ارادتها وارتكاز حكومتها على ثقة وكلاتها الا اتنحى عن مسئولية الحكم .. [على ان لا] يعتبر قبولي .. اعترافاً بأية حالة او حق استنكره الوفـد المصري الذي لا ازال اتشرف برياسته .. [وسأعمل] على استبدال سـوء ظن [الشعب بالحكومة] بحسن الثقة من الحكومة واقناع الـكافة بانها [اي الحكومة] ليست الا قسما من الامة تخصص لقيادتها والدفاع عنها . . [وسنسعى لبث] الروح الدستورية في جميـع المصالح وتعويد الكل على احترام الدستور والخضوع لاحكامه .

كذلك ذكر زغلول ان من ضمن برامجه السعي لتحقيق الاستقلال والعفو عن السياسيين واعادة النظر بالقوانين التي صدرت بدون رأي الامـة والعناية بشئون الامة والصحة والتعليم والاقتصاد .

وكان مركز زغلول صعبا للغاية . فقد استلم في ظل وعد ٢٨ فبراير الذى اعتبره « نكبة كبرى » وبموجب دستور وضعه « الاشقياء » الذين اعطوا الملك صلاحيات واسعة . وكان عنيفا في تمسكه بنص الدستور وروحه حينما اجاب على كتاب التكليف ، وكان صائب الرأي عندما اراد معالجة موضوع تبادل الثقة بين الشعب والحكومة ، وكان محقا في تأكيده على وجوب تعويد الكل احترام الدستور والخضوع لاحكامه .

ولكن هل كان سعد دستوريا في حكمه . لقد شكل وزارة وفدية وهذا حق دستوري له . واعتمد على وزراء من الشباب لا خبرة لهم في الشئون العامة

ولكن الوزارة ثورية تحتاج الى دم الشباب الذي سيكتسب خبرة من الحكم. ولكنه سلط على المفكرين وعلى خصومه السياسيين ارهابا وطنيا وشجع جموع الشعب ، بالايعاز او بالسكوت ، على مهاجمة اعداء الوطن واعداء الوفد وتحطيم الصحف المعارضة . ودفع تطرفه في الخصومة الاحزاب المعارضة الى ان تتطرف بدورها وتساهم في تشويه الحياة الدستورية في مصر .

ووجد في مصر اذ ذاك ثلاثة احزاب هي الحزب الوطني وحزب الوفد وحزب الاحرار الدستوريين . اما **الحزب الوطني** فقد اسسه مصطفى كامل اواخر القرن التاسع عشر واصبح رسمياً في ٢٢ تشرين اول ١٩٠٧ وعقد اول جمعية عمومية له في ٢٧ كانون اول ١٩٠٧ ونادى ان لا مفاوضة الا بعد الجلاء. ونطق باسم الحزب جريدة **اللواء** التي صدر عددها الاول في كانون الثاني ١٩٠٠ وجريدة **العلم** ، فعطلت الاولى نهائياً في ٣١ آب ١٩١٢ وعطلت الثانية في ٧ تشرين الثاني ١٩١٣ . وترأس مصطفى كامل الحزب حتى وفاته في ١٠ شباط ١٩٠٨ فخلفه محمد فريد الذي شرد من بلده ومات في المنفى عام ١٩١٩ . واعيد تنظيم الحزب عام ١٩٢٢ وانتخب محمد حافظ رمضان بك رئيسا في ٩ ايار ١٩٢٣ . واقفلت جريدته اللواء المصري في ٢٢ تشرين الاول ١٩٢٣ فاصبحت جريدة الاخبار التي يصدرها امين الرفاعي هي الناطقة باسم الحزب .

وخاض الحزب الوطني الانتخابات الاولى فلم ينجح من مرشحيه غير اربعة. وقد توالى فشل مرشحي هذا الحزب في الانتخابات فمات عدد منهم حزنا، او كما سماهم عبد الرحمن الرافعي شهداء الانتخابات . وكان عبد الرحمن الرافعي نفسه احد هؤلاء الشهداء . ووصف نفسيته اذ قال « اثرت تلك المحنة في صحتي وما احق المجاهد بالالم اذا هو رأى من مواطنيه تنكراً لهحيث ينتظر منهم التقدير .. وتذكرت مصير اخوان لي في الجهاد برح بهم الالم .. فاودى بحياتهم .. »

وتألف الحزب الثاني ، **حزب الاحرار الدستوريين** ، بصورة رسمية في

٢٩ تشرين اول ١٩٢٢ برئاسة عدلي يكن ثم عبد العزيز فهمي فمحمد محمود باشا فحسين هيكل. وضم هذا الحزب اكثر اعضاء حزب الامة القديم الذين سبق لهم ان انضموا الى الوفد ثم انفصلوا عنه. وعقدت اول جمعية عمومية للحزب في ٣٠ تشرين اول ١٩٢٢ وصدر في اليوم نفسه العدد الاول من جريدة السياسة الناطقة بلسان الحزب. وكان ترخيص اصدار السياسة باسم الدكتور حافظ عفيفي باشا احد اعضاء الحزب بينما اسندت رئاسة التحرير الى الدكتور حسين هيكل. وكانت ركيزة هذا الحزب هم كبار الملاكين والمثقفين ثقافة غربية بينما وقف الشعب منه موقف ناقد لانه الف وسعد في المنفى فاتهم اعضاؤه بالتواطؤ مع الانجليز على ذلك. ونادى هذا الحزب بوجوب استكمال استقلال مصر وانهاء الاستعمار وتأييد النظام الدستوري والدفاع عن حقوق الفرد. وضم الحزب الى عضويته عدداً من كبار رجال السياسة في مصر امثال عدلي يكن ومحمد محمود وحسن عبد الرزاق وحسين هيكل وعبد العزيز فهمي ولطفي السيد وعلي علوبة وحافظ عفيفي. فشل هذا الحزب في الانتخابات الاولى وسقط كبار اعضائه امام منافسيهم من « النكرات »، ولم يحصل الا على ستة مقاعد. ولعل فشله هذا كان سبباً في تنكره لاسمه فيما بعد وصيرورته اداة لتعطيل الدستور او تشويهه.

ولعل الحزب الثالث، **حزب الوفد**، هو اقدم الاحزاب الحديثة في مصر وارسخها جذوراً واكثرها شعبية. وقد شكل كهيئة وفدية عامة عام ١٩١٩ ليتزعم جهاد الشعب. وظن المراقبون آنذاك ان الوفد هو صورة جديدة لحزب الامة. وتزعمه سعد زغلول والتف الشعب حوله. وتوالت انفصالات اعضاء حزب الامة عن الوفد والفوا حزب الاحرار الدستوريين. وتخلص الوفد بذلك من طبقة « اصحاب المصالح الحقيقية » وغدا حزبا شعبياً. واصبح الوفد حزبا رسمياً في ٢٦ نيسان ١٩٢٤. وترأسه سعد زغلول حتى وفاته في ٢٣ آب ١٩٢٧ فخلفه في زعامة الحزب مصطفى النحاس الى ان حلت جميع الاحزاب في مصر في ١٧ كانون الثاني ١٩٥٣.

استقل سعد بشئون الحكم طبقاً للدستور دون ان يتقيد برغبات الملك او المندوب السامي البريطاني. وبسبب الاغلبية الوفدية الساحقة التي ايدته في البرلمان لم يخش زغلول في حكمه اية معارضة دستورية . وغدت الصحافة واستجوابات وتعليقات حفنة قليلة من النواب المعارضين هي الوسائل الوحيدة للتعبير عن آراء معارضي زغلول. ولكن لم يتسع صدر زغلول حتى لهذه المعارضة البسيطة فكاد هؤلاء له وللدستور وللبلد . واصر زغلول على حقه الدستوري في تعيين الشيوخ وتعيينات القصر الملكي والسلك السياسي واجبر الملك على التمسك بنص وروح المادة ٤٨ من الدستور فيحكم بواسطة وزرائه ويصبح الملك دستوريا غير مسئول. وحد زغلول من سلطات الموظفين الانجليز ورفض تجديد عقد مستشار العدلية كما ابى الاشتراك بالعيد الخمسيني لتأسيس المحاكم المختلطة . ورفض زغلول تسليم اللاجئين السياسيين من طرابلس لايطاليا وحافظ على تراث البلد فلم يسمح للانجليز باخراج آثار مقبرة توت عنخ امون. واقر البرلمان الاول قوانين تقدمية اقترحتها حكومة زغلول كانشاء ديوان للمحاسبات وبيع اطيان الدولة لصغار الملاكين وقانون الانتخاب المباشر .

وتحطم البرلمان الاول على صخرة المفاوضات . فقد قبل زغلول دعوة رئيس الوزارة البريطانية لاجراء مفاوضات ووصل لندن في ٢٣ ايلول لهذه الغاية . وطالب زغلول بالجلاء البريطاني وعدم التدخل في شئون مصر الداخلية والخارجية وسحب المستشار المالي البريطاني وتخلي بريطانيا عن دعواها بحماية الاجانب وقناة السويس والاقليات واعترافها بأن السودان جزء من مصر . واصرت بريطانيا على اشتراكها مع مصر بحماية القنال وابقائها مفتوحة لبريطانيا في السلم والحرب وابقاء قوة بريطانية حولها . وتمسكت بريطانيا بالتزاماتها الادبية نحو شعب السودان . وفشلت المفاوضات في الثالث من تشرين الاول وبدأت بريطانيا مؤامراتها لاسقاط وزارة زغلول واجلاء المصريين عن السودان وضرب الحركة الوطنية في مصر .

عاد زغلول الى القاهرة ليفتتح الدورة العادية للبرلمان في الثاني عشر من تشرين الثاني ١٩٢٤ . ووجد ان المؤامرات ضده قد كثرت بتأييد من القصر فقدم استقالته احتجاجاً بعد ثلاثة ايام . وقامت مظاهرات في مصر نادت بالجمهورية ووقف النواب الى جانب زغلول فتراجع الملك وسحب زغلول استقالته . وتغيرت الحكومة في بريطانيا اذ فاز المحافظون في انتخابات تشرين الاول واصبح استن تشمبرلن وزيراً للخارجية . وارسل تشمبرلن في ١٩ تشرين الثاني مذكرة الى الامين العام لعصبة الامم حذر فيها من السماح لمصر بتوقيع بروتوكول تسوية الخلافات الدولية بالوسائل السلمية لان بريطانيا قد احتفظت بموجب تصريح ٢٨ فبراير بحق التصرف وحدها بامور معينة لا يحق لمصر ان تحيل الخلافات مع بريطانيا حولها الى مجلس العصبة .

وحدث في ذلك اليوم نفسه ما اعطى بريطانيا الحق بالتصرف والتدخل والحصول على ماتبغيه في مصر والسودان . فقد قتل ذلك اليوم السردار سرلي ستاك باشا ، حاكم السودان العام وسردار الجيش المصري ، في احد شوارع القاهرة . واعلن الملك والحكومة والاحزاب والصحافة في مصر استنكارها للحادث . وفي اليوم التالي بادر حكمدار بوليس القاهرة ورئيس قسم الاجانب في دائرة الامن العام (وهما انجليزيان) الى التنصل من تبعة الحادث وطلبا من المندوب السامي البريطاني اعفاءهما من مسئولياتهما . واجتمع مجلس الوزراء البريطاني في ٢٠ تشرين الثاني واصدر اوامره الى قطع الاسطول والامدادات بالتوجه الى مصر والسودان . وفي يوم السبت ٢٢ تشرين الثاني توجه اللورد اللنبي (المندوب السامي ١٩٢١ — ١٩٢٥) الى دار الرئاسة ليوجه انذاره البذيء تحرسه كتيبة عسكرية اصطفت امام البرلمان . وأقر اللنبي انذاره بصوت مرتفع وترك نسختين باللغة الافرنسية وانسحب . وطالب اللورد في انذاره (الذي حدد الساعة الثامنة من مساء اليوم التالي موعداً للاجابة عليه) تقديم اعتذار ودفع غرامة نصف مليون جنيه وتعقب الجناة ومعاقبتهم ومنع المظاهرات الشعبية السياسية . وقد قبلت الحكومة المصرية هذه الطلبات .

وطالب اللورد ايضاً بسحب القوات المصرية من السودان وعدم تحديد مساحة الاراضي المزروعة في الجزيرة في السودان وعدم معارضة مصر لبريطانيا في حماية المصالح الاجنبية ودفع تعويض كبير للموظفين الاجانب المسرحين والابقاء على سلطتي المستشارين المالي والقانوني البريطانيين . ورفض زغلول الشروط الاخيرة وقدم استقالته في ٢٣ تشرين الثاني وقبلت استقالته فقرر المجلس تقديم احتجاج الى برلمانات العالم والى عصبة الامم . وانتهت بذلك اجتماعات مجلس النواب الاول وانتهى امره .

وتسلم الحكم يوم ٢٤ تشرين الثاني وزارة ترأسها رئيس مجلس الشيوخ زيور باشا . وقبلت هذه الوزارة جميع شروط بريطانيا وسلمت تسليما مطلقاً للملك وتجاهلت رغبات الشعب ونوابه . واعتدت السلطات العسكرية البريطانية على مصر حينما اعتقلت النائبين مكرم عبيد وعبد الرحمن فهمي (رغم حصانتهما النيابية) وعلى وكيل وزارة الداخلية محمود فهمي النقراشي ، كما اعتقل البوليس المصري خمسة نواب آخرين . واخرج الجيش المصري من السودان وعين في كانون الاول السر جفري ارثر حاكما عاماً للسودان وسرداراً للجيش المصري .

ووقفت الوزارة موقفاً معادياً من النواب والدستور . فقد استصدرت مرسوماً في ٢٥ تشرين الثاني بتأجيله شهراً ثم حلته في ٢٤ كانون الاول وحددت السادس من آذار موعداً لانعقاد المجلس الجديد . وتجاهلت القانون رقم ٤ لسنة ١٩٢٤ القاضي بجعل الانتخاب على درجة واحدة ، وجعلته على درجتين . وسنت الوزارة سنة سيئة بحلها مجلس نواب لم تتقدم اليه ببرنامجها ولاحدث خلاف بينها وبينه ولا ثبت عدم وجود انسجام في الحكم بينهما . واكثرت الوزارات فيما بعد من استعمال هذا الحق وسعت كل وزارة الى حل مجلس النواب لتأتي بمجلس يلائمها .

٢ – **مجلس النواب الثاني** – (٢١٤ نائبا منهم ١١٦ وفدياً) بدأت انتخاباته (على درجتين) في ١٢ آذار ١٩٢٥ وافتتح صبيحة الاثنين في ٢٣ آذار برئاسة

محمد توفيق نسيم باشا رئيس الشيوخ . وحضر الملك فؤاد جلسة الافتتاح والقى زيور باشا خطاب العرش . وانتخب سعد زغلول باشا رئيساً له بأكثرية ١٢٣ صوتاً ضد ٨٥ صوتاً نالها مرشح الحكومة عبد الخالق ثروت باشا . وقدم زيور باشا استقالته بحجة ظهور روح عدائية من النواب للحكومة بانتخابهم زغلول رئيساً . ورفض الملك الاستقالة ووافق على حل المجلس واجراء انتخابات جديدة في ٢٣ ايار ١٩٢٥ على ان يجتمع المجلس الجديد في حزيران .

وارتكبت مخالفات دستورية وقانونية عديدة للقضاء على نفوذ الوفد . اذ كان من الواجب اجراء انتخابات بموجب قانون الانتخاب المباشر ولكنه أجري بموجب قانون الانتخاب القديم ذي الدرجتين . وحتى ذلك القانون الذي ساروا بموجبه خرقوه اكثر من مرة . فقد جددت انتخابات مندوبي الدرجة الثانية (المندوبين الثلاثينين) رغم ان مدتهم لاتنتهي الا عام ١٩٢٨ . واشرف وزير الداخلية اسماعيل صدقي باشا على الانتخابات بشكل اعتقد انه يضمن فشل الوفد . واشترك الاحرار الدستوريون في وزارة زيور في ١٣ آذار ورشحوا احدهم ، ثروت باشا ، لرئاسة النواب . ولكن خذل الجميع وفاز سعد وحل المجلس خلافاً لأحكام المادة ٨٨ من الدستور التي لاتبيح حل المجلس مرتين لنفس السبب . وبرر زعيم حزب الأحرار الدستوريين عبد العزيز فهمي هذا الاعتداء على الدستور حين قال بعد ثلاثة ايام « .. كنت اعتقد ان الدستور مناسب لبلادنا ولكن العمل أظهر انه ثوب فضفاض .. [وفيه] حق مقرر لجلالة الملك وهو حق حل المجلس في كل وقت متى أراد ، ومتى رأى في ذلك مصلحة للبلاد .. يستعمل حقه المطلق في حل المجلس » .

ونشأ في هذه الفترة حزب رابع في مصر هو **حزب الاتحاد الشعبي** . شكل هذا الحزب في العاشر من كانون الثاني ١٩٢٥ ، وانعقدت جمعيته العمومية في فندق سميراميس وساهم وكيل الديوان الملكي حسن نشأت باشا في تأسيسه وتوجيهه . ونادى هذا الحزب بأن الملك هو مرجع الحكم ومصدره وهو الذي يختار الحكومة

الصالحة لحكم البلد . وانتخب يحيى ابراهيم باشا رئيساً للحزب وعلي ماهر باشا وكيلاً له . وضم كأعضاء رئيس الوزراء السابق محمد سعيد باشا والوزير السابق حلمي عيسى باشا . واصدر الحزب جريدة الاتحاد التي أسند تحريرها الى المحامي الوفدي السابق عبد الحليم البيلي يساعده الدكتور طه حسين . واشترى الحزب جريدة الحرية (الليبرتيه) الافرنسية لتنطق باسمه . واشترك الحزب بوزارة زيور باشا في ١٣ آذار بأشخاص الوزراء يحيى ابراهيم باشا واللواء موسى فؤاد باشا وقطاوي باشا وعلي ماهر بك .

وتعاون الأحرار الدستوريون والاتحاديون مع الملك على تعطيل الحياة النيابية في البلد . فحلوا المجلس لأنه انتخب رئيساً وفدياً له واوقفوا الانتخابات وحكموا حكماً غير دستوري . واستقال المندوب السامي اللورد اللنبي إذ ذاك فخلفه اللورد لويد . ولم يكن لويد حريصاً على إعادة الحكم الدستوري فترك للملك حرية التصرف موقتاً . ولكن حدث في مصر ما غير التوازن السياسي وأدى الى تحطيم الائتلاف وانشقاق الدستوريين وتحالفهم مع الوفديين والوطنيين على إعادة الدستور .

فقد اصدر إذ ذاك الشيخ علي عبد الرازق كتابه الاسلام واصول الحكم . ولما تردد وزير العدل الدستوري في عزل الشيخ قرأ في اليوم التالي نبأ إقالته . واستقال تضامناً معه بقية وزراء الأحرار الدستوريين فملأ القصر الوزارة بأنصاره . وحدثت المعجزة حينما اصبح الوفد والاحرار الدستوريون حلفاء ضد العهد يطالبون بتطبيق الدستور . واجتمع المجلس المنحل من تلقاء نفسه ، بموجب المادة ٩٦ من الدستور . ولما حيل بين اعضائه والوصول الى قاعة المجلس ، اجتمعوا في فندق الكنتننتال الساعة التاسعة من صباح السبت في ٢١ تشرين الثاني ١٩٢٥ واعادوا انتخاب زغلول رئيساً وانتخبوا محمد محمود باشا من الاحرار وكيلاً . وقرر النواب سحب الثقة من الحكومة والاحتجاج على خرق الدستور . وأيد الامراء بعد يومين طلب النواب . وتجاهلت الوزارة هذه الأحداث فأصدرت

قانون انتخاب جديـد في ٨ كانون الأول فرفض العمد تطبيقه وايدت المحاكم موقفهم .

ورأى الانجليز ان الوقت قـد حان للتدخل دفاعاً عن الحكم الدستوري الذي سبق لهم ان ناصروا تعطيله . ورأوا أنهم قد أخذوا من زيور كل ما يريدون اخذه فلم تبق لهم به من حاجة . وضغط اللورد لويـد على الملك فأخرج نشأت باشا من القصر وأرسله وزيراً مفوضاً إلى اسبانيا وعين محمد نسيم باشا رئيساً للديوان الملكي . وصدر في ٢٢ شباط ١٩٢٦ مرسوم ملكي بإجراء الانتخابات على درجة واحدة يوم ٢٢ ايار . واستقالت وزارة زيور باشا في ٧ حزيران ١٩٢٦ فانتهى بذلك عهد غـير دستوري دام عاما وربع العام (٢٣ آذار ١٩٢٥ ـ ٧ حزيران ١٩٢٦) .

٣ ـ **مجلس النواب الثالث** : (٢١٤ ـ نائب منهم ١٦٥ وفديا و ٢٩ من الاحرار وخمسة من الوطنيين وخمسة من الاتحاديين وعشرة مستقلون) .

اجريت انتخاباته ، على درجة واحدة ، في ٢٣ ايار ١٩٢٦ وافتتحه الملك في ١٠ حزيران والقى رئيس الوزراء عدلي باشا خطاب العرش وانتخب سعـد زغلول رئيسا . وفضت الدورة في ٢٠ ايلول بعد ان عقد المجلس ٥٩ جلسـة . عقدت الدورة الثانية في ١٠ تشرين الثاني واعيد انتخاب سعد زغلول رئيسا . وفضت الدورة الثانية في ١٤ تموز ١٩٢٧ بعد ان عقد المجلس ٩٧ جلسة . وتوفي سعد زغلول في ٢٣ آب ١٩٢٧ ، اثناء ارفضاض المجلس ، فنعاه مجلس الوزراء وشيعت جنازته بصورة رسمية . وانتخب حزب الوفد مصطفى النحاس باشـا رئيسا له . وافتتحت الدورة الثالثة للمجلس في ١٧ تشرين الثاني فانتخب مصطفى النحاس رئيسا للمجلس . وشكل النحاس وزارة اثر استقالة وزارة ثروة فانتخب ويصا بك رئيسا للمجلس . واقيل النحاس في ٢٥ حزيران ١٩٢٨ وشكل محمد محمود باشا وزارة من الاحرار والاتحاديين فاستصدر في ٢٨ حزيران مرسوما بتأجيـل المجلس شهرا ، ثم صدر مرسوم في ١٩ تموز بحل مجلسي النواب والشيوخ

وتأجيل الانتخابات ثلاث سنوات وتعطيل المواد ١٥ ، ٨٩ ، ١٥٥ ، ١٥٧ ، من الدستور .

شكل عدلي باشا ، الرئيس السابق للاحرار الدستوريين ، وزارة ائتلافية في ٧ حزيران ١٩٢٦ ضمت وزراء وفديين ودستوريين ومستقلين . وافتتحت هذه الوزارة المجلس في دورتيه الاولى والثانية واستقالت في ١٩ نيسان ١٩٢٩. وشكل محمد عبد الخالق ثروت وزارة مماثلة لوزارة عدلي . وثروت من اصل تركي اناضولي ولد عام ١٨٧٣ ونال شهادة الحقوق عام ١٨٩٣ وتدرج في سلك القضاء فاصبح نائبا عاما . واختير عام ١٩١٤ وزيرا في وزارة عدلي في اذار ١٩٢٠ كوزير للداخلية . وشكل وزارة في اول آذار ١٩٩٢٢ على اساس تصريح ٢٨ فبراير والف لجنة وضع الدستور معتمدا على اصدقائه من حزب الاحرار الدستوريين . واستقال ثروت في ٣٠ تشرين الثاني . وتوفي ثروت في ٢٢ ايلول ١٩٢٩ .

وتحطم البرلمان ووزارتا ثروت والنحاس على صخرة المفاوضات . فقد ارادت بريطانيا ان تدفع مصر دفعا الى عقد معاهدة تسلم بها لبريطانيا بالمركز الممتاز ليتخذ صفة شرعية . وضغطت بريطانيا على وزارة ثروت وهددت وارسلت بوارجها الى الاسكندرية لتحملها على تقوية نفوذ الضباط البريطانيين في في الجيش المصري . ودخل ثروت باشا ، ابان وجوده مع الملك في زيارة الى لندن ، في مفاوضات وزير الخارجية البريطانية اوستن تشمبرلن . وقدم ثروت في ١٨ تموز ١٩٢٧ مشروع معاهدة يبيح لبريطانيا ابقاء قوات في مصر لا يكون في وجودها صفة الاحتلال مع اعادة الاوضاع في السودان الى ما كانت عليه قبل عام ١٩٢٤ . واعطى المشروع بريطانيا بعض الحقوق لحماية الاجانب واعطاء الرأي في تعيين مستشار قضائي ومالي . وكان المشروع معاهدة حلف زمن السلم والحرب . وقدم تشمبرلن مشروعا بريطانيا في اليوم التالي وناقشه مع ثروت . وتألف المشروع البريطاني من ١٦ مادة وملحق واحد . ولا يختلف

المشروع البريطاني في خطوطه العامة عن مشروع ثروت. فهو مشروع معاهدة تحالف وصداقة دائمين يبيح لبريطانيا ابقاء قوات في مصر للدفاع عنها وصيانة مصالح الطرفين. ويتعاون الجيش المصري مع الجيش البريطاني ويدرب على نفس الاسس وباشراف بريطاني. وتتعهد بريطانيا بمساعدة مصر على دخول العصبة وتعديل نظام الامتيازات وتتعهد مصر بان تسهل لبريطانيا حماية المصالح الاجنبية. وحفظت المعاهدة حقوق مصر في مياه النيل. وعاد ثروت الى لندن وواصل مباحثاته اوائل تشرين الثاني فعدلت بريطانيا مشروعها لتلافي بعض اعتراضات ثروت عليه وارسلته الى الحكومة المصرية في ٢٤ تشرين الثاني ١٩٢٧. وأصرت على الاحتلال وحماية الاجانب وابقاء المستشارين واستمرار الاوضاع القائمة في السودان. ورفضت الوزارة المصرية هذا المشروع الذي يجعل الاحتلال شرعياً. واستقال ثروت في الرابع من آذار ١٩٢٨ وتوفي بعد ذلك بستة اشهر.

ولم يكن حظ مصطفى النحاس ١٧ / ٣ — ٢٥ /٦/ ١٩٢٨ بأفضل من حظ ثروت. ورأت بريطانيا ان الفرصة مناسبة لتضغط على مصر فأرسلت في ٤ آذار (يوم استقالة ثروت) مذكرة اعترضت فيها على بعض مشاريع القوانين المعروضة على مجلس النواب المصري. واحتج النحاس على هذا التدخل في شئون البلاد الداخلية ومحاولة شل سلطة البرلمان التشريعية. وارسلت بريطانيا انذاراً ثانياً في آخر نيسان طلبت فيه سحب مشروع قانون الاجتماعات المعروض على النواب. واعترض محمد محمود باشا وغيره من الوزراء الدستوريين على اتباع النحاس سياسة اثارة نحو بريطانيا فاعتكف في بيته وايده اعضاء حزبه وتصدع الائتلاف. واقيلت وزارة النحاس في ٢٨ حزيران ١٩٢٨ لان « الائتلاف اصيب بتصدع شديد ». وشكل محمد محمود باشا وزارة جديدة بادرت الى تأجيل المجلس شهراً ثم الى حله وتعليق الدستور.

وادعت وزارة محمد محمود باشا انها جاءت لتنقذ البلاد من فئة الاكثرية..

وفي حرصها على الاستئثار بالامر « تسترسل في حزبية شديدة الخطر على المصالح العامة » . وانقسمت الامة بسبب هذا الاستئثار وامتد هذا الانقسام الى دوائر الحكومة وعرض مصالح الجمهور للخطر ونشر القلق والاضطراب بين الموظفين كما انقلب افراد الامة اعداء بعضهم لبعض . واصبحت الحياة النيابية نفسها اداة الطغيان والاستبداد . ورأت الوزارة ان البلاد بحاجة الى نظام ثابت يعيد اليها وحدتها واستقرارها ويحقق الاصلاحات الضرورية . وارادت الوزارة ان تقول بأنها قانعة من ان الشعب اذا ما استفتي فسيؤيد الوفد ويخذلها لانه « شعب مضلل لايمكنه ان يحكم على الاشياء حكماً سليماً » . وآمن رجال حزب الاحرار الدستوريين بصواب تعطيل الدستور الذي سنوه ودافع عن هذه الفكرة رجال آمنوا بالدستور امثال الدكتور حسين هيكل الذي حارب بشدة حتى فكرة ادخال تعديل على الدستور لانه « باب ان فتحه .. لمصلحة الحياة النيابية فتحه غيره لغرض آخر » ثم عاد وأيد بحماس تعطيل الدستور . وقد يكون صحيحاً مايراه الاستاذ شفيق غربال من ان تعطيل الدستور عام ١٩٢٨ لم يكن مؤامرة ملكية ولا بريطانية بل نزاع حزبي وامعان في الخصومة .

والغريب ان هذا العهد غير الدستوري انهار ايضاً وتحطم على صخرة المفاوضات . وسارت الامور على مايرام في مصر ابان انشغال الوزارة بالشئون الداخلية . وحاول الوفد والحزب الوطني حث الامة على الدفاع عن حقوقها واصدرا في ٢٢ و ٢٦ تموز ١٩٢٨ نداءات بذلك . ومنعت الحكومة اجتماع النواب في قاعة المجلس في ٢٨ تموز فاجتمع سراً في بيت احد النواب وقرر سحب الثقة من الوزارة . واجتمع المجلس ثانية في ١٧ تشرين الثاني في دار جريدة البلاغ . واصدرت الحكومة اوائل عام ١٩٢٩ قوانين لتحمي نظامها الجديد . وحققت الوزارة في الحقل الداخلي ، كأكثر العهود الدكتاتورية ، الكثير من الاصلاحات البراقة . ولكنها زادت الفتنة اشتعالا والانقسام حدة والخصومة مرارة .

وفشلت الوزارة في تنظيم علاقات جديدة مع بريطانيا . ولم يكن التحسن في العلاقات ممكناً في عهد اللورد لويد (ايار ١٩٢٥ - تموز ١٩٢٩) الذي كان يرى « ان منح مصر اي تساهل جدي حتى ولو كانت طلباتها في ذاتها معقولة ينطوي على خطر كبير مالم يكن التساهل جزءاً من تسوية عامة تعترف فيها مصر بمطالبنا الاساسية » . وجاءت وزارة العمال الى الحكم في بريطانيا في حزيران ١٩٢٩ فبادر وزير خارجيتها هندرسون الى اجبار لويد على الاستقالة التي اعلنت في ٢٤ تموز ١٩٢٩ وعين السر برسي لورين خلفاً له . وتم هذا التغيير ومحمد محمود في انجلترا لتلقي الدكتوراه الفخرية من جامعة اكسفورد . وكانت فرصة لتبادل الآراء بين هندرسون ومحمد محمود وانتهيا الى مشروع معاهدة تبادلا الرسائل حولها في ٣ آب ١٩٢٩ . وادرك محمد محمود وهو يجري هذه المفاوضات ان معناها القضاء على نظامه وعهده . وكان مشروع المعاهدة الجديد افضل من المشاريع السابقة في اعترافه بان الحكومة المصرية هي المسؤولة عن ارواح الاجانب واموالهم (مادة ٦) وفي تحديد المناطق التي يبقى فيها جيش بريطاني (مادة ٩) وفي تعهد بريطانيا بتأييد مصر في السعي لتخفيف وطأة الامتيازات الاجنبية (مادة ١١ ومذكرة تفسيرية لها) . واصرت بريطانيا على استمرار الوضع القائم في السودان وابقاء المستشارين المالي والعدلي وابقاء عنصر اوروبي في بوليس المدن وبقيادة بريطانية لمدة خمس سنوات ولكنها وافقت على سحب الضباط الانجليز من الجيش المصري واستبدالهم ببعثة بريطانية للتدريب . واعلنت بريطانيا ان هذا المشروع ليس الا اساساً لمفاوضة في معاهدة تعقد بين الدولتين وتتولاها في مصر حكومة دستورية ترتكز الى برلمان قائم . وكان هذا نعياً لوزارة محمد محمود وعهده فاستقالت في ٢ تشرين اول ١٩٢٩ .

وشكل عدلي باشا وزارة انتخابات في ٣ تشرين الاول ١٩٢٩ . وحدد عدلي برنامجه بانه اعادة الحياة الدستورية واجراء الانتخابات .. خالصة من كل ضغط . وصدر مرسوم ملكي في ٣١ تشرين الاول باعادة العمل بالدستور

والمواد الموقوفة منه وباجراء انتخابات ودعوة المجلسين الى الاجتماع في ١١ كانون الثاني ١٩٣٠ . وتمت الانتخابات وفاز الوفديون وشكل مصطفى النحاس وزارة وفدية . وهكذا عطل الدستور بسبب فشل مفاوضات واعيد العمل به املا بنجاح المفاوضات الجديدة .

٤ - **مجلس النواب الرابع** (٢٣٥ مقعدا منهم ٢١٢ وفديا وخمسة وطنيين وثلاث اتحاديين وخمسة عشر مستقلا) . اجريت الانتخابات على درجة واحدة في ٢١ كانون الاول ١٩٢٩ وافتتحه الملك في ١١ كانون الثاني ١٩٣٠ وانتخب ويصا واصف الوفدي رئيسا وعين عدلي باشا رئيسا للشيوخ . وقد اعتبر مجلس الشيوخ الذي حلته وزارة محمد محمود قائما والغي قرار حله . واستقال النحاس في ١٧ حزيران لفشل مفاوضاته مع بريطانيا ولخلافه مع الملك حول تعيينات الشيوخ واحاطة « الدستور بسياج من التشريع » وشكل صدقي باشا وزارة جديدة . وبادر صدقي الى تأجيل جلسات المجلس شهرا ثم فض الدورة . واخيراً استصدر صدقي مرسوما بالغاء الدستور وحل مجلسي النواب والشيوخ واستصدر دستورا وقانون انتخاب جديدين .

قبل زعيم الوفد مصطفى النحاس باشا ان يشكل وزارته الثانية في اول كانون الثاني ١٩٣٠ « مستنداً الى ثقة الامة التي لاتفتأ تسديها للوفد (مستهدفا) تثبيت قواعد الدستور وصون نصوصه واحكامه .. والسعي الى تحقيق استقلال البلاد والوصول الى اتفاق شريف وطيد مع بريطانيا » . ولم يفته ان يشير في كتابه الى الملك الى تعلق الامة بالحياة النيابية واستمساكها بالدستور . وكان النحاس قوي الامل بانه سينجح في معاهدة مع بريطانيا فاشار الى ذلك في خطبة العرش .

وقصد النحاس لندن على رأس وفد للمفاوضة . ودامت المفاوضات اكثر من شهر (٣١ اذار - ٨ ايار) وتقدمت تقدما ملحوظا . وتوصل الطرفان الى اتفاق شبيه بالاتفاق الذي قبلته مصر عام ١٩٣٦ . فقد اتفق الطرفان على انهاء

الاحتلال (مادة ١) وتنظيم علاقاتهما بموجب معاهدة (مادة ٥) يمكن تعديلها بعد عشرين سنة (مادة ١٤) ووعدت بريطانيا بمساعدة مصر على الانضمام الى عصبة الامم (مادة ٢) وعلى نقل اختصاص المحاكم القنصلية الى المحاكم المختلطة وتطبيق التشريع المصري على الاجانب (مادة ٤) . واعترفت بريطانيا بان مصر هي المسؤولة عن ارواح الاجانب واموالهم (مادة ٣) . كذلك اتفق الطرفان على الا يتخذ احدهما موقفا ضارا بالآخر (مادة ٦) وتسوية خلافاتهما بالمفاوضات او بمقتضى احكام عصبة الامم (مادة ١٣) وان يتبادلا التمثيل الدبلوماسي (بدرجة سفير مادة ١٢) وبالتعاون زمن السلم والحرب (مواد ٧، ٨) وافقت مصر على السماح لبريطانيا بوضع قوة بريطانية بجوار الاسماعيلية للمساهمة في الدفاع عن القناة الى أن يصبح الجيش المصري في حالة يستطيع معها أن يكفل وحده حرية الملاحة (مادة ٩) . وقبلت بريطانيا ، مبدئياً ، مذكرة مصرية نصت على سحب الموظفين البريطانيين من الجيش المصري ليحل محلها بعثة بريطانية لمدة محدودة . كذلك حددت المذكرة عدد القوات البريطانية والمكان الذي سترابط به . ولكن المفاوضات فشلت عند بحث مستقبل السودان .

لم يمض على فشل المفاوضات غير نصف شهر عندما بدأت المحاولات الجديدة لانهاء العهد الدستوري . فقد قدم الأحرار الدستوريون ، الذين قاطعوا الانتخابات ، عريضة الى الملك في ٢٧ ايار طلبوا فيها منه « ان يتلافى الامر بحكمته » وان يقيل الوزارة . ورفض الملك توقيع مرسوم باحالة مشروع قانون محاكمة الوزراء الى البرلمان واراد ان يستأثر بتعيينات الشيوخ . وقدم النحاس استقالة وزارته الى الملك في ١٧ حزيران « نظراً لعدم تمكننا من تنفيذ برنامجنا الذي قطعنا على انفسنا العهد بتنفيذه . . » وانبأ النحاس مجلس النواب باستقالته فاتخذ المجلس قراراً بتأييد النحاس « في موقفه المشرف الذي يعمل به للدفاع عن الحياة النيابية والنظام الدستوري للبلاد » وقرر باجماع الآراء الثقة

بالوزارة . ولكن الملك قبل الاستقالة وكلف اسماعيل صدقي باشا بتشكيل وزارة جديدة .

شكل اسماعيل صدقي وزارته في ٢٠ حزيران ١٩٣٠ واستمر في الحكم حتى ٢١ ايلول ١٩٣٣ . ووزارته هي ثالث وزارة تخرق الدستور وتعطله . ورفض الاحرار الدستوريون الاشتراك بالوزارة وقرر رئيسهم محمد محمود (وكان في المستشفى لاجراء عملية الزائدة) ان من اشترك منهم اعتبر متخلياً عن عضويته ، ولكنهم ايدوا الوزارة « في كل ما يتفق وسياسة الحزب » . واستصدرت وزارة صدقي في اليوم التالي لتشكيلها مرسوماً بتأجيل انعقاد البرلمان شهراً . واجتمع اعضاء المجلس بالقوة بعد ان حطموا السلاسل ودخلوا قاعات المجلس واقسموا بالمحافظة على الدستور . واحتج رئيس الشيوخ عدلي باشا على اعمال الجيش وقامت مظاهرات دامية في البلاد وجاب مصطفى النحاس الاقاليم داعياً الناس الى الدفاع عن الدستور . واغتنمت بريطانيا الفرصة لترسل تبليغاً الى مصر تحمل فيه الحكومة المصرية مسئولية حماية ارواح الاجانب وممتلكاتهم ، كما وصلت بارجتان بريطانيتان الى ميناء الاسكندرية . وتابع صدقي سياسته فاستصدر مرسوماً بفض الدورة في ١٢ تموز وبابطال الدستور واصدار دستور وقانون انتخاب جديدين في ٢٢ تشرين الاول .

٥ – **برلمان ودستور صدقي باشا** (١٥٠ مقعداً) . اجريت الانتخابات على درجتين وكانت دامية قاطعها الشعب بتحريض من الوفد والاحرار الدستوريين واشترك بها الحزب الوطني وحزب الاتحاد وحزب الشعب . وافتتح المجلس في ٢٠ حزيران ١٩٣١ . واخيراً استصدرت وزارة محمد توفيق نسيم باشا مرسوماً في ٣٠ تشرين الثاني ١٩٣٤ بالغاء دستور ١٩٣٠ وبحل مجلسي النواب والشيوخ القائمين على اساسه . وبقيت مصر بدون دستور الى ان اعيد العمل بدستور ١٩٢٣ بموجب المرسوم الصادر في ١٢ كانون الاول ١٩٣٥ .

ولم تعجز عبقرية صدقي عن ايجاد المبررات لسن دستور جديد بمرسوم

ملكي دون ان يتبع الطريق التقليدي لسن او تعديل الدساتير . واعتبر صدقي الحياة النيابية فاشلة وأن عدد النواب كبيراً كما عاب نظام الانتخاب المباشر . وجاء الدستور الجديد وفيه دعم للسلطة التنفيذية على حساب السلطة التشريعية وزيادة في صلاحيات الملك على حساب حقوق الشعب . واعطى الدستور الجديد الحكومة سلطات واسعة في حل المجلس واجراء انتخابات جديدة وفي تأجيل وتعليق الدورات مبيحاً لها في فترة الحل او التأجيل اوفض الدورة اصدار القوانين المالية وغير المالية . واعطى الملك حق نقض اي قانون يقره المجلس وحقا غير مقيد في دعوة البرلمان الى الانعقاد « عند الضرورة » وفي تعيين شيخ الازهر والرؤساء الدينيين . وحد الدستور من مقدرة المجلس على سحب الثقة بالوزارة .

والف صدقي حزبا لدعم سياسته سماه **حزب الشعب** . واجتمعت الجمعية التأسيسية للحزب يوم ١٩ تشرين الثاني ١٩٣٠ ، وانتخب صدقي باشا رئيساً للحزب . وصدرت جريدة **الشعب** لتنطق بلسانه . وروجت الادارة للحزب والجريدة كما فعلت من قبل لحزب الاتحاد . ونال هذا الحزب اكثرية المقاعد في المجلس النيابي الجديد .

وتحالف في ٣١ اذار ١٩٣١ حزبا الوفد والاحرار الدستوريين على مقاومة صدقي ودستور الحكومة واقسموا على الدفاع عن دستور الشعب . ولوح المندوب السامي البريطاني السر برسي لورين بفكرة وزارة ائتلافية برأسها عدلي لتعقد مع بريطانيا المعاهدة التي انتهت اليها مفاوضات ١٩٣٠ . وعارض مصطفى النحاس الفكرة وتضعضع الائتلاف وانشق حزب الوفد وفصل النحاس المنشقين ونوفي زعيمهم . وبطش صدقي بالمعارضة وعطل الصحف وكم الافواه وسلط نيران الجيش والبوليس على جموع الشعب الثائر واعتقل الزعماء حتى أن (صاحبي الدولة) مصطفى النحاس ومحمد محمود لم ينجوا من الاعتقال . وعانت مصر اذ ذاك من الازمة المالية التي شملت العالم فانخفضت اسعار القطن وساءت

احوال الملاكين المالية ، فاغتنمها صدقي ليضغط على الزعماء المديونين وينتقم منهم .

واشتدت ازمة التبشير اذ ذاك ، لاسيما البروتستانتي ، واصبحت الجامعة الامريكية مركزاً له . وبلغت الجرأة بالمبشر صموئيل زويمر انه قصد رحاب الازهر نفسه ليبشر فيه يوم ١٧ نيسان ١٩٢٨ . وكان رد الفعل عنيفا في مصر ضد هذه الحركة فاسس المسلمون **جمعية الشبان المسلمين** التي وضعوا قانونها الاساسي عام ١٩٢٧ ونادوا فيها بان الاسلام هو اساس الحركة القومية. وترأس الجمعية النائب الدكتور عبد الحميد سعيد من كبار شخصيات الحزب الوطني . وضمت الجمعية الكثيرين من الحزب الوطني وحزب الاحرار الدستوريين . وكان مصطفى المراغي حسين والدكتور حسين هيكل من المؤيدين لهذه الجمعية . ووقفت حكومة صدقي من نشاط المبشرين موقفا ضعيفا ، «مد هؤلاء نشاطهم الى بور سعيد وغيرها من القرى والاقاليم باذلين جهدهم لاضعاف معنويات الشعب باضعاف عقيدته وان لم يبلغ هذا الاضعاف حد ارتداده عن دينه الى دين آخر » . وشرع هيكل بنشر مقالات عن حياة محمد (صلعم) في السياسة الاسبوعية متأثراً بكتاب الكاتب الافرنسي اميل رونجم ومستعينا بسيرة ابن هشام . وكان نشر هذه المقالات ، التي صدرت فيما بعد ككتاب ، جزءاً من الحملة ضد المبشرين بل جزءاً من الحملة ضد صدقي باشا دفاعا عن دستور الشعب .

وحاول صدقي ان يدعم عهده بنصر خارجي فيحقق ماعجز عن تحقيقه حزبا الوفد والاحرار ويوقع معاهدة استقلال مع بريطانيا . وبدأ صدقي مفاوضاته مع وزير خارجية بريطانيا السر جون سيمون في جنيف في ايلول ١٩٣٢ . واصرت بريطانيا على اتخاذ مشروعي ١٩٢٩ و ١٩٣٠ اساساً للمفاوضات مبدية تحفظات حول المعسكرات البريطانية ومستقبل السودان . واعلن صدقي ان مصر لاتقبل ان ترجع القهقرى وان حكومته لايمكن ان تقبل اقل

مما عرض على غيرها من الحكومات . ولم يصل الطرفان الى اي حل وانتهت المفاوضات بخيبة امل لصدقي . ولم يصدر بلاغ رسمي عن هذه المفاوضات واعتبرت مجرد تبادل اراء بصفة غير رسمية . وفشل صدقي في تحقيق نصر خارجي يحمي به عهده الذي بدأ يتصدع .

حاول صدقي ان يصون العهد بالارهاب ولكن صحته والقضاء المصري خذلاه . فقد اصدرت محكمة النقض قراراً قالت فيه ان رجال الامن أتوا من المنكرات ماوصفته بانه « اجرام في اجرام ومن اشد المخازي اثارة للنفس واهتياجاً لها » . واضطر وزير العدل علي ماهر باشا الى التدخل فعهد الى النيابة بالتحقيق في مخازي رجال الامن . وكثر الكلام عن فساد اداة الحكم . وحاول صدقي انقاذ وزارته بالتعديل واقره الملك على ذلك فعدلت الوزارة في ٤ كانون الثاني ١٩٣٣ واخرج منها علي ماهر وعبد الفتاح يحيى . وبعد ثلاثة اسابيع اصيب صدقي بالشلل وسافر الى اوروبا في الربيع للعلاج . ولما عاد وجد ان الامور قد تغيرت وان المندوب السامي السير برسي لورين قد نقل في آب . وقدم صدقي باشا استقالته في ٢١ ايلول فقبلت وكلف عبد الفتاح يحيى باشا برئاسة وزارة شكلها لناظر الخاصة الملكية زكي الابراشي باشا في ٢٧ ايلول .

ولم تعمر وزارة يحيى باشا طويلا . جاء الى الحكم للدفاع عن العهد القائم الذي كان له « شرف الاشتراك في وضع اسسه والسهر على تنفيذه حتى استقر نهائياً » . واراد صدقي ان يحمل حزب الشعب على عدم تأييد وزارة يحيى باشا ولكنه فشل وقرر الحزب تأييد الوزارة في ٢ تشرين الاول . واضطر صدقي الى الاستقالة من رئاسة الحزب بعد شهر فانتخب يحيى باشا رئيساً . وتخاذل يحيى باشا أمام الانجليز الذين ازدادت طلباتهم . ومرض الملك فؤاد فازداد نفوذ زكي الابراشي . وتدخل القائم بأعمال المندوب السامي المستر بيترسون وطالب يحيى باشا « بقص جناحي الابراشي » وتعيين رئيس للديوان الملكي . وسارعت الوزارة الى اقناع الملك بتعيين احمد زيور باشا رئيساً

للديوان في ٢٧ تشرين الاول ١٩٣٤ . وكان هذا المنصب قد شغر منذ استقالة نسيم باشا في آب ١٩٣١ . وتوالت اعتداءات المندوب السامي على كرامة يحيى باشا وكرامة البلاد فاضطر الى الاستقالة في ٦ تشرين الثاني ١٩٣٤ .

شكل محمد توفيق نسيم باشا وزارة جديدة في ١٥ تشرين الثاني ١٩٣٤ . وكانت اولى اعمال نسيم باشا هي الغاء دستور ١٩٣٠ (القانون رقم ٧٠ لسنة ١٩٣٠) وحل مجلس الشيوخ والنواب القائمين على اساسه فاستصدرت مرسوما بذلك في ٣٠ تشرين الثاني « على ان يظل شكل الدولة ومميزاتها ومصدر السلطات وتوزيعها وحقوق المصريين وواجباتهم كما هي منذ ادخال النظام الدستوري في مصر ، كما يظل نظام وراثة العرش وحالة الخديوي السابق كما قررها الامر الملكي الصادر في ٣ ابريل ١٩٢٢ والقانون رقم ٢٨ لسنة ١٩٢٢ ، والى ان ينفذ الامر الملكي بوضع النظام الدستوري . . يتولى الملك السلطة التشريعية والسلطات الاخرى التي خص بها البرلمان .. كما يتولى السلطة التنفيذية .. بواسطة مجلس الوزراء . . . » . وعارض الشعب بكافة فئاته هذا الوضع الشاذ وطالب بعودة دستور ١٩٢٣ فوافق الملك على اعادة الدستور في ٢٠ نيسان ١٩٣٥ .

ولكن بريطانيا تدخلت ونصحت بعدم اعادته . واشتدت الاضطرابات وزادت الحملة على الوزارة وعلى بريطانيا عنفا وقويت الدعوة في مصر لتشكيل جبهة وطنية . واعلن وزير الخارجية البريطانية في الخامس من كانون الاول ان بريطانيا لا تمانع في عودة دستور ١٩٢٣ وانها ترغب في تسوية العلاقات مع مصر . وقامت مظاهرات عنيفة في القاهرة في الثامن منه واجبر الزعماء على تشكيل الجبهة الوطنية . وطالبت الجبهة الملك في ١٢ كانون الاول باعادة دستور ١٩٢٣ فوراً . وكان المندوب السامي قد ابلغ نسيم باشا في السابع منه عدم اعتراض بريطانيا على اعادة الدستور. وصدر مرسوم مساء الثاني عشر من كانون الاول ١٩٣٥ بإعادة العمل بدستور ١٩٢٣ وصدر قانون انتخابات

جديد بعد سبعة ايام . واشتدت الحملة على نسيم باشا مطالبة بوزارة حيادية للاشراف على الانتخابات فاضطر الى الاستقالة في ٢٢ كانون الثاني ١٩٣٦ . وشكل علي ماهر باشا [رئيس الديوان الملكي الذي خلف في هذا المنصب زيور باشا في ايار ١٩٣٥] وزارة محايدة في ٣٠ كانون الثاني .

٦ - **المجلس النيابي السادس** (٢٣٢ نائباً ١٦٦ وفدا) جرت الانتخابات على درجة واحدة في ٢ ايار ١٩٣٦ للنواب و ٧ ايار للشيوخ . واجتمع المجلس في ٨ ايار ليقر تأليف مجلس وصاية من الامير محمد علي رئيساً وعبد العزيز عزت ومحمد شريف صبري اعضاء . وافتتح المجلس في ٢٣ ايار وانتخب احمد ماهر رئيسا . وعين نسيم باشا رئيسا للشيوخ فاعتذر فخلفه محمود البسيوني . ووافق هذا المجلس على المعاهدة المصرية البريطانية يوم ١٤ تشرين الثاني ١٩٣٦ بأكثرية ٢٠٢ صوتا ومعارضة احدى عشر (اقرها مجلس الشيوخ في ١٨ تشرين الثاني بأكثرية ١٠٩ + ٧) . وامام هذا المجلس اقسم الملك فاروق يمين الاخلاص للدستور يوم ٢٩ تموز ١٩٣٧ بمناسبة توليه سلطته الدستورية . واقيلت وزارة النحاس في ٣٠ كانون الاول وعهد الى زعيم الاحرار الدستوريين محمد محمود باشا بتشكيل وزارة جديدة . واجلت الوزارة الجديدة المجلس شهرا في ٣ كانون الثاني ١٩٣٨ ثم استصدرت في الثاني من شباط مرسوماً بحله على ان يجتمع المجلس الجديد في الثاني عشر من نيسان .

كانت **وزارة علي ماهر باشا** وزارة ادارية مهمتها الاشراف على نزاهة الانتخابات . ولكن جد حادثان هامان في عهده . فقد توفي الملك فؤاد في ٢٨ نيسان ١٩٣٦ فنودي بابنه القاصر فاروق ملكا وتولى مجلس الوزراء سلطات الملك الدستورية باسم الامة المصرية الى ان يسلم مقاليدها لمجلس الوصاية . وعجلت الوزارة بالانتخابات لكي يتمكن المجلس من تعيين اعضاء مجلس الوصاية فتم ذلك في ٨ ايار .

وكان الحادث الثاني اعمق اثراً في تاريخ مصر . اذ كانت الجبهة الوطنية قد

اوسلت مذكرة الى بريطانيا في ١٢ كانون الاول ١٩٣٥ عارضة عليها التوقيع على معاهدة تشبه في نصوصها ماتم الاتفاق عليه عام ١٩٣٠ بعد الاتفاق على نص السودان. واستقال اثناء ذلك وزير الخارجية البريطانية المستر صموئيل هور فخلفه انتوني ايدن الذي رحب بالفكرة ولكن رأى تأجيل البحث بسبب انشغاله بالازمة الحبشية. وعاد ايدن فابلغ الجبهة الوطنية في العشرين من كانون الثاني ١٩٣٦ استعداده للمفاوضة فوراً دون التقيد بشروع ١٩٣٠ لان الحوادث الدولية توجب اعادة النظر بالمواد العسكرية. واكدت بريطانيا هذا المبدأ في مذكرة سلمتها الى علي ماهر باشا في السابع من شباط. وصدر في ١٣ شباط مرسوم بتعيين الهيئة الرسمية المصرية للمفاوضة برئاسة مصطفى النحاس وعضوية محمد محمود واسماعيل صدقي وعبد الفتاح يحيى وغيرهم من الوزراء السابقين من اعضاء الجبهة الوطنية. وتألف الوفد البريطاني من المندوب السامي السير مايلز لامبسون وعدد من القادة العسكريين.

بدأت المفاوضات في مصر في الثاني من آذار واستمرت بشكل متقطع حتى ٢٤ تموز. وتوقفت المفاوضات وتأجلت اكثر من اربع مرات لاسباب مختلفة. وذهب السر مايلز لامبسون الى لندن اوائل حزيران وعاد اواخره بعد ان ابدت بريطانيا بعض التساهل. واستؤنفت المفاوضات في اول تموز وتم في العاشرة منه صياغة المشروع. ووقع على مشروع المعاهدة بالاحرف الاولى في ٢٤ تموز ١٩٣٦، ووقعت في لندن في ٢٦ آب.

وكان النحاس رئيس وفد المفاوضات قد اصبح، اثناء المفاوضات، رئيساً للوزارة وفدية (١٠ ايار ١٩٣٦ — ٣١ تموز ١٩٣٧). **وجعل النحاس هدف وزارته « ابرام معاهدة تحالف.. وصيانة دستور الامة بتثبيت قواعده وتوطيد تقاليده»** واظهر النحاس وحزبه والساسة الذين اشتركوا معه في وفد المفاوضات تلهفاً شديداً على المفاوضة لعقد معاهدة على طراز مشروع ١٩٣٠. وقابلت بريطانيا هذه اللهفة بكثير من الدلال ورفضت التقيد بالمشاريع السابقة. فلا عجب اذا

جاءت المعاهدة ، في نصوصها العسكرية ، اسوأ من مشروع ١٩٣٠ . ومع ذلك فقد اقر مجلس النواب (٢٠٢ ضد ١١) والشيوخ (١٠٩ ضد ٧) المعاهدة بسرعة فلم يعارضها الا ٥ ٪ من النواب ٦ ٪ من الشيوخ واكثرهم من ممثلي الحزب الوطني .

حصلت بريطانيا بموجب المعاهدة الجديدة على اكثر مما سمح لها به مشروع معاهدة ١٩٣٠ من تسهيلات عسكرية . فقد وافقت مصر على زيادة القوة العسكرية البريطانية المرابطة في زمن السلم بنسبة ٢٥٪ على ان ترابط في مساحة اكثر من المساحة المحدد في المشروع السابق . ونالت بريطانيا حق استعمال ميناء الاسكندرية ثماني سنوات واباحة جميع اجواء مصر لسلاح الجو البريطاني .

ولم تكسب مصر كثيراً من النصوص الجديدة حول السودان . فقد سلمت مصر بشرعية اتفاقيتي ١٨٩٩ مقابل اعادة الجيش المصري الى السودان والمساواة بين المصريين والبريطانيين في التعيين في الوظائف وفي حرية التجارة والملكية مع الغاء القيود على هجرة المصريين الى السودان . وكانت النصوص حول السودان في رأي الدكتور هيكل « قابلة للتمدد الى حيث تجعله عند الضرورة بريطانيا محضاً او سودانياً محضاً ولكنها لا تجعله قط مصرياً محضاً » .

وكسبت مصر من المعاهدة ثلاثة اشياء وخسرت شيئاً هاماً . اما الخسارة فكان اعترافها بشرعية وجود قوات بريطانية على ارض مصر زمناً غير محدود لم ينهه بصورة قانونية غير فشل بريطانيا في معركة السويس عام ١٩٥٦ . ولكن مصر كسبت تنازلاً بريطانياً عن تحفظات ٢٨ فبراير كما كسبت فيما بعد دخول عصبة الامم كدولة مستقلة والغاء الامتيازات الاجنبية بعد المرور بمرحلة انتقالية .

دخلت مصر عصبة الامم بناء على طلب من حكومتي العراق وبريطانيا . فقد قدمت العراق مذكرة الى العصبة في ٧ شباط ١٩٣٧ ذكرت فيها انها دعت مصر للانضمام الى العضوية ، وفعلت بريطانيا مثل ذلك تنفيذاً لاحكام المادة الثالثة

من معاهدتها مع مصر . وبلغ عدد الدول الداعية لمصر اربعا وعشرين دولة في اواسط آذار ، وهو اكثر من الثلثين . وتقدم وزير خارجية مصر بطلب في الثامن من آذار . وعقد مجلس العصبة جلسة عامة في السادس والعشرين من ايار برئاسة وزير خارجية تركيا فأقر بالاجماع قبول طلب مصر التي اصبحت بذلك عضواً مستقلا .

اما امتيازات الاجانب فلم يتم الغاؤها بسهولة وسرعة . وكانت الدولة العثمانية قد الغت الامتيازات عام ١٩١٤ ولكن المادة ٢٨ من معاهدة لوزان استثنت ، بصورة عملية ، مصر من هذا الالغاء لانها اصبحت محمية بريطانية قبل ذلك التاريخ . لذا بقيت في مصر امتيازات لكل من النمسا ، المجر ، تشيكوسلوفاكيا ، اسبانيا ، هولندا ، بلجيكا ، ايطاليا ، السويد ، الدانمرك النروج ، المانيا ، البرتغال ، بريطانيا الاتحاد السوفييتي ، اليونان ، الولايات المتحدة الامريكية .. ونصت المادة ١٣ من المعاهدة البريطانية المصرية على ان بريطانيا ستساعد مصر على الغاء الامتيازات . ودعت حكومة مصر الدول ذات العلاقة الى عقد مؤتمر في مونترو (سويسرا) . وقبلت الدول الدعوة وبدأت جلسات المؤتمر في ١٢ نيسان ١٩٣٧ ، وتم التوقيع على الاتفاقية التي توصل اليها الاعضاء في الثامن من ايار . وقبلت الدول المعنية الغاء الامتيازات في مصر الغاءاً تاماً (مادة ١) واخضاع الاجانب في مصر الى التشريع المصري (مادة ٢) وتعهدت الدول بألا تقبل محاكمها القنصلية بعد تاريخ ١٥ تشرين الاول ١٩٣٧ اي دعوى مدنية او تجارية او جنائية (مادة ٨) والغاء محاكمها القنصلية كلياً بعد تاريخ ١٤ تشرين اول ١٩٤٩ (مادة ٩) . واتفق على الغاء المحاكم المختلطة المختلفة في ١٤ تشرين اول ١٩٤٩ (مادة ٣) على ان تمارس هذه المحاكم اعمالها خلال فترة الانتقال الممتدة حتى ذلك التاريخ .

وكان هذا كسباً كبيراً لمصر التي لعب الاجانب فيها دوراً هاماً وسيطروا على حياتها الاقتصادية . فقد بلغ عدد الاجانب في مصر عام ١٩٠٧ قرابة مائة

وخمسين الف شخص ثلثاهم من اليونانيين والايطاليين . واحتل (الاجانب الانجليز) قرابة ثلثي الوظائف الرئيسية في مصر عام ١٩٢٠. وكان عدد الاجانب عند عقد المعاهدة قد زاد قليلا وكاد عدد الايطاليين ان يتضاعف واستثمر الاجانب في مصر عام ١٩٣٧ حوالى اربعمائة مليون جنيه استرليني (ثلاثة اخماسه لافرنسيين) وهو مبلغ يساوي ثلثي قيمة الاراضي المصرية في ذلك العهد . وعمل في مصر ثلاثون شركة بريطانية واحدى عشر شركة بلجيكية وثلاث شركات افرنسية بالاضافة الى مساهمة الاجانب بالمائة والخمسين شركة مصرية . وامتدت سيطرة الاجانب الى سلك الثقافة فوجد للافرنسيين وحدهم ١٢٠ مدرسة تضم ٤٢ الف طالب وطالبة . واصبح يوم الاحد يوم العطلة الاقتصادية في مصر وكادت اللغة العربية ان تختفي من السجلات التجارية.

ولم يبدأ المصريون بتعريب اقتصادهم والحد من السيطرة الاجنبية عليه الا عام ١٩٤٢. وكان بنك مصر ، الذي اسسه طلعت حرب في ايار ١٩٢٠ برأسمال ٨٠٠٠٠ جنيه ، اول شركة مصرية ذات نفوذ اقتصادي. وسنت حكومة الوفد في آب ١٩٤٢ قانون جعل اللغة العربية اجبارية في حساب الشركات . ورفضت مصر في ايلول من ذلك العام طلبا امريكيا بالسماح للاجانب بالتقاضي باللغة الافرنسية بعد ١٤ تشرين اول ١٩٤٩ . وتكلم اثناء ذلك فكري اباظة بمرارة عن اختبارات مصر مع الاجانب في قضيتي السويس والديون وطالب الدكتور هيكل باتباع سياسة حياد كسويسرا . وازداد الضغط البريطاني على مصر لابقاء النفوذ الاقتصادي الاجنبي فيها قويا . وقدمت غرفة التجارة البريطانية في كانون الثاني ١٩٤٥ مذكرة بريطانية في وقاحتها احتجت فيها على قانون اللغة العربية ووجوب الاكثار من استخدام الموظفين المصريين وابدت قلقها من ازدياد الشعور القومي في مصر وخطره على الاجانب . وطالبت الغرفة بالسماح ببقاء الاجانب في مصر باعداد لاتقل عن عددهم عام ١٩٣٦ وبان يكون منح تأشيرات الدخول الى مصر من صلاحية موظف كبير في وزارة الداخلية على ان يكون

للاجانب حق الاعتراض على قراراته للوزير المصري بواسطة سفرائهم. ونصحت الغرفة المصريين بالتخلي عن تطرفهم والانصراف عن التصنيع الى الاصلاح الاجتماعي والترحيب بالتدخل الاجنبي. ورأت الغرفة ان على مصر ان تسمح للشركات الاجنبية العاملة في مصر بان تستخدم اجانب بنسبة لاتقل عن ٥٠٪ وان ليس من حقها منع الاجانب من المساهمة بالشركات المصرية. واخيراً وصلت فيها الوقاحة الى درجة القول بان من حق بريطانيا ان تتدخل في شئون مصر اذا ارادت مصر ان تصنع نفسها او تفرض ضرائب تسيء الى الصناعة البريطانية.

نهاية عهد

هكذا انتهى عهد الحماية وعهد الاستقلال المقيد بتحفظات وبدأ عهد الاستقلال المقيد بمعاهدة. ومرت مصر خلال هذه الفترة التي دامت اثنين وعشرين سنة بتجارب كثيرة. فقد ترأس الدولة ثلاثة اشخاص ومجلس وصاية (سلطانان وملكان) وتقلب على حكمها اربع وعشرون وزارة وخمس عشرة رئيس وزارة وستة مجالس نيابية ومائة وزير وستة مندوبين سامين من الانجليز.

وكان **حسين كامل** هو اول رئيس دولة في عهد الحماية واول من لقب بسلطان مصر. وخلفه **السلطان فؤاد** (٢٦ اذار ١٨٦٨ — ٢٨ نيسان ١٩٣٧) سادس انجال الخديوي اسماعيل. وتلقى فؤاد علومه في سويسرا وايطاليا وصحب والده اسماعيل الى منفاه في ايطاليا حيث التحق بالجيش الايطالي ثلاث سنوات. وعين ملحقا عسكريا عثمانيا في فينا (١٨٩٠–١٨٩٢) ثم رئيسا لمرافقي الخديوي عباس برتبة لواء (١٨٩٢–١٨٩٥)، وتزوج عام ١٨٩٣ الاميرة شويكار حفيدة ابراهيم باشا الكبير ولكن طلقها بعد خمس سنوات. واصبح فؤاد سلطانا على مصر في ٩ تشرين الاول ١٩١٧. وتزوج فؤاد في ايار ١٩١٩ من نازلي ابنة عبد الرحيم صبري فرزق منها بفاروق في ١١ شباط ١٩٢٠ (٢١جم و١٣٣٨). واصبح فؤاد ملكا في ١٠ تشرين اول ١٩١٧ وتوفي في ٢٨ نيسان ١٩٣٦

بعد ان حكم مصر قرابة عشرين سنة . وخلفه ابنه فاروق وهو قاصر فناب عنه مجلس وصاية . وابرمت المعاهدة مع بريطانيا قبل ان يستلم فاروق سلطاته الدستورية .

ومثل بريطانيا في عهد هؤلاء السلاطين والملوك ستة مندوبين سامين . وشغل المندوبان الاولان (هنري مكماهون وريجنلد ونجت) بالحرب . ولما انتهت الحرب جوبه الثاني بحركة الوفد المطالبة بالاستقلال المقيد فرأى ونجت عدم الاستجابة لمطالب المصريين وفشل في ادراك عمق الحركة الوطنية . ولما بان فشله السياسي في مصر اعفي من مركزه في كانون الثاني ١٩١٩ وعين الجنرال اللنبي خلفا له في اواخر اذار ١٩٢٠ . ونجح اللنبي في ارضاء بعض المصريين بتصريح ٢٨ فبراير وبالهائهم بالدستور والحياة النيابية . ولكنه على مايبدو كان حاقدا على سعد زغلول والوفد فاغتنم فرصة مقتل السردار ليضرب زغلول والوفد والمجلس النيابي ضربة تجلى فيها الحقد واللؤم . ورأت بريطانيا ان تستبدله اواخر عام ١٩٢٥ باللورد لويد الذي لم يكن اقل تطرفا من سلفه . واجبرته حكومة العمال البريطانية على الاستقالة في ٢٣ تموز ١٩٢٩ وعينت السر برسي لورين خلفا له في الثامن من آب . وايد برسي لورين سياسة صدقي باشا في الغاء دستور ١٩٢٣ واخراج تمثيلية دستورية جديدة . فلما فشلت الرواية اعفي برسي لورين بعد استقالة صدقي وعين السر مايلز لامبسون مندوبا في الثامن من كانون الثاني ١٩٣٤ . وقدر للامبسون ان يوقع المعاهدة ويصبح اول سفير لبريطانيا في مصر .

وحكم مصر في عهد الحماية سبع وزارات . فقد ترأس حسين رشدي باشا الوزارة اواخر عهد الخديوي عباس وشكل وزارة اخرى عاشت طوال عهد السلطان حسين كامل ، واعاد تشكيلها في عهد السلطان فؤاد . ولما استقال احتجاجا على رفض طلب زغلول ورفاقه اواخر ١٩١٧ ، اقنع بتشكيل وزارة رابعة عاشت ثلاثة عشر يوما . هكذا ترأس حسين رشدي في هذا العهد ثلاث وزارات وحكم عمليا من يوم اعلان الحماية حتى ٢٢ نيسان ١٩١٩ (اربع

سنوات ونصف) اي ٦٠ ٪ من عهد الحماية . وخلفه كرئيس وزراء كل من محمد سعيد باشا (١٩١٩/٥/٢١—١٩١٩/١١/١٥) ويوسف وهبه باشا (٢١ / ١٩١٩/١١ – ١٩٢٠/٥/١٩) ومحمد توفيق نسيم باشا (١٩٢٠/٥/٢٢ - ١٩٢١/٣/١٥) وعدلي يكن باشا (١٩٢٠/٣/١٧ – ١٩٢١/١٢/٨) الذين تراوح عمر وزاراتهم بين سنة وعشرة اشهر . واشترك في هذه الوزارات تسعة عشر وزيرا . وعاشت مصر خلال هذه الفترة قرابة خمسة اشهر بدون وزارة مسئولة .

أما في عهد الاستقلال المقيد بتحفظات فقد حكم مصر خلالها سبعة عشر وزارة ترأسها احد عشر رئيساً. ولم تتم أي من هذه الوزارات عامها باستثناء الوزارات التي عطلت الدستور . فقد حكمت وزارات زيور ومحمد محمود واسماعيل صدقي وعبد الفتاح يحيى اكثر من ثمانية سنوات ونصف اي اكثر من ٦٠ ٪ من هذا العهد . واستطاعت هذه الوزارات ان تعمر طويلا في ظل حكم ارهابي بعد أن عطلت او علقت الدستور وتخلصت من انتقادات المجالس النيابية . ولم تنل ثقة نواب الأمة من الوزارات السبعة عشر غير ستة وزارات حكمت اقل من ثلاث سنوات ونصف . وكان مصير جميع هذه الوزارات الاقالة او الاستقالة في ظروف غير طبيعية وغير دستورية . وكان ضغط الملك او المندوب البريطاني هو السبب في اكثر الاستقالات باستثناء استقالة وزارتي عدلي الثانية والثالثة ووزارة علي ماهر الاولى فانها كانت دستورية .

وجرت في مصر خلال هذه الفترة انتخابات لست مجالس نيابية بموجب دستورين . وحل المجلس النيابي الاول قبل ان يتم عامه وحل الثاني مساء يوم افتتاحه وعاش الثالث سنتين والرابع نصف عام ودخل السادس في عداد مجالس عهد الاستقلال المقيد بمعاهدة. اما الخامس، مجلس صدقي المنتخب بموجب دستور صدقي ، فقد عمر ثلاث سنوات ـ اي عاش قرابة مجموع عمر المجالس الأربعة التي سبقته . وكان مصير جميع هذه المجالس التعليق والحل مع تعطيل

الدستور . ولعل من أسباب قصر عمر المجالس النيابية هو وجود اغلبية ساحقة في هذه المجالس لحزب كبير متطرف في حزبيته معادٍ عداوة لا هوادة فيها للملك وللاحزاب الاخرى . **ورأى كثيرون أن الارهاب اللادستوري اهون من الارهاب الحزبي فى ظل الدستور وباسم الوطنية.**

وأعلنت الحماية وفي مصر حزبان كبيران هما حزب الامة والحزب الوطني. وانتهى امر حزب الامة وتوقف نشاط الحزب الوطني خلال الحرب . وعاد حزب الأمة الى الظهور بشكل هيئة وفدية ثم تبلور في حزب الاحرار الدستوريين وغدت الهيئة الوفدية حزباً شعبياً باسم الوفد المصري الذي انقطعت صلاته بحزب الأمة . وتأسس حزب الاتحاد وحزب الشعب وجمعية الشبان المسلمين كما عاد الحزب الوطني الى العمل . وظهر الاخوان المسلمون آخر هذا العهد فبلغ بذلك عدد الاحزاب والهيئات السياسية العاملة ستة هيئات . **وتميزت هذه الهيئات السياسية بتطرفها في الحملة بعضها على بعض ومبالغتها في ذلك بينما لم تصل الى مثل هذه المرحلة من التطرف في مقاومتها للاحتلال. ولعبت هذه الاحزاب الدور الاول في تشويه الحياة النيابية وتعطيل الدستور.**

وحاولت سبع وزارات عقد معاهدة مع بريطانيا . فقد فاوض عدلي في وزارته الاولى (١٧/٣/١٩٢١ - ٨/١٢/١٩٢١) وسعد زغلول (٢٨/١/١٩٢٤ - ٢٤/١١/١٩٢٤) وثروت في وزارته الثانية (٢٦/٤/١٩٢٧ - ٤/٣/١٩٢٨) ومصطفى النحاس في وزارتيه الاولى (١٧/٣/١٩٢٨ - ٢٥/٦/١٩٢٨) والثانية (١/١/١٩٣٠ - ١٧/٦/١٩٣٠) ومحمد محمود (٢٧/٦/٩٢٨ - ٢/١٠/١٩٢٩) واسماعيل صدقي (٢٠/٦/١٩٣٠ - ٤/١/١٩٣٣) ، وفاوض سعد زغلول قبل ذلك كما تألفت وزارة ثروت الاولى (١/٣/١٩٢٢ - ٢٩/١١/١٩٢٢) اثر مفاوضات انتهت بتصريح ٢٨ فبراير . **وسقطت جميع هذه الوزارات بسبب تعثر المفاوضات، وأدى سقوط كل منها الى زوال العهد الذي كانت تمثله سواء أكان عهداً نيابياً او قائماً على تعطيل الدستور . لقد وجد الدستور والمجالس**

النيابية الست الاولى وهذه الوزارات لغرض اساسي واحد هو عقد معاهدة مع بريطانيا ، وانهارت كلها تعطيلاً وتعليقاً وحلاً وعزلاً واستقالة كنتيجة لفشل هذه المفاوضات .

مصر في عهد الاستقلال المقيد بمعاهدة

عاشت مصر في ظل المعاهدة ودستور ١٩٢٣ قرابة سبعة عشر عاماً حكمها خلالها ملكان ومجلسا وصاية واحدى وعشرون وزارة وخمسة مجالس نيابية . ومارس النشاط السياسي فيها عشرة أحزاب او هيئات سياسية او شبه سياسية . وحُرم الساسة خلال السنوات الثمانية الاولى من هذا العهد من التحدث عن عقد معاهدة وتحقيق الاستقلال بعد أن أجمعوا عام ١٩٣٠ على ان المعاهدة كانت معاهدة الشرف والكرامة ، ولكنهم عادوا بعد عام ١٩٤٥ الى التحدث عن تعديل المعاهدة واجراء مفاوضات طوح فشلها بعدد من الوزارات وبأكثر من مجلس نيابي وأخيراً بالعهد كله .

دخلت مصر هذا العهد وفاروق ملك قاصر ينوب عنه مجلس وصاية انتخبه المجلس النيابي السادس . وباشر فاروق سلطاته الدستورية في ٢٩ تموز ١٩٣٧ . ولم يمض زمن قصير حتى بدأ الاحتكاك مع وزارة الاكثرية ، فتحداها اولاً بتعيين علي ماهر رئيساً للديوان الملكي (تشرين اول ١٩٣٧ - آب ١٩٣٨) بدون علمها . وسبق لعلي ماهر أن شغل هذا المنصب خلفاً لزيور باشا (ايار ١٩٣٥ - ٣٠ كانون الثاني ١٩٣٦) فزاد من قوة القصر على حساب الحكومة . وازدادت مضايقات القصر للحكومة الوفدية حتى انتهت باقالة وزارة النحاس في ١٩ كانون الثاني ١٩٣٨ وتشكيل وزارة محمد محمود باشا . **ووضع علي ماهر للملك خطة جديدة لمقاومة الوفد . فلم يعطل الدستور ولم يقض على الحياة النيابية بل شوهها باجراء انتخابات يضمن فيها فشل الوفد وقيام حكومات ضعيفة تستمد قوتها من القصر .**

واستطاع علي ماهر أن يعود الى رئاسة الوزارة مرة ثانية فشغر منصب رئيس الديوان لمدة عامين . واسند المنصب في ٢٧ تموز ١٩٤٠ الى ، رائد الملك سابقاً أحمد حسنين الذي شغله حتى مقتله في شباط ١٩٤٦ . ولعب حسنين (الذي أصبح زوج ام الملك) دوراً رئيسياً في أزمة ٤ فبراير وفي اقالة النحاس . ورغم ميول حسنين الانجليزية فان سياسة الملك لم تكن كذلك بل اتهم بميوله الايطالية وقيل انه كان على اتصال مع المحور . وساءت العلاقات بين الملك والسفير البريطاني اللورد كيلرن (سابقاً السر مايلز لامبسون١٩٣٧ـ شباط١٩٤٦) واعتبره مسئولا عن الاهانة التي لحقت به في ٤ فبراير . ونجح عام ١٩٤٦ في حمل بريطانيا على استبداله بالسير رونالد كامبل (١٩٤٦ـ نيسان ١٩٥٠) الذي خلفه رالف ستيفنسن . ولم يلعب ابراهيم عبد الهادي ، الذي عينه فاروق رئيساً لديوانه خلفاً لحسنين ، دوراً كبيراً خلال الفترة الدقيقة التي تولى فيها منصبه (شباط ١٩٤٦ ـ كانون اول ١٩٤٨) . وتزوج فاروق من فريدة كريمة يوسف ذو الفقار في ١٩ كانون الثاني ١٩٣٨ وطلقها في ١٩ تشرين الثاني ١٩٤٨ . وتزوج للمرة الثانية من ناريمان صادق في ٦ ايار ١٩٥١ وطلقها في المنفى بعد تنازله عن العرش . واجبرته ثورة الضباط على التنازل لابنه الطفل فؤاد في ٢٦ تموز ١٩٥٢ . وشكل مجلس وصاية برئاسة الامير عبد المنعم وعضوية بهي الدين بركات والقائمقام رشاد مهنا . واقيل مهنا في ١٣ تشرين الاول واستقال بهي الدين في اليوم التالي فأصبح عبد المنعم الوصي الوحيد . واخيراً الغيت الملكية في مصر واعلنت الجمهورية في ١٧ حزيران ١٩٥٣ واصبح اللواء محمد نجيب اول رئيس للجمهورية في مصر .

وتشكلت في مصر خلال هذا العهد احدى وعشرون وزارة الفها عشرة اشخاص . وترأس النحاس وحده خمس وزارات (بما في ذلك الوزارات التي اعاد تأليفها) وحسين سري وعلي ماهر ثلاثة . وعمرت اكثر الوزارات اقل من عام باستثناء وزارات النحاس الاولى والثالثة والرابعة ووزارة محمد محمود باشا ووزارة حسين سري

الاولى ووزارة النقراشي الثانية اذ دامت كل واحدة منها قرابة العامين بحيث حكم هؤلاء الاربعة اكثر من ٧٥ ٪ من هذه الفترة . وكانت جميع هذه الوزارات وزارات قصر باستثناء وزارات النحاس الاولى والثانية والخامسة التي كانت دستورية ، ووزارتي النحاس الثالثة والرابعة اللتين اعتمدتا على القوة العسكرية البريطانية التي أتت بهما الى الحكم . وانتهى أمر هذه الوزارات جميعاً اما باقالة ملكية كما حدث لوزارات النحاس ، او باستقالة موعز بها من الملك او بضغط من بريطانيا . وتوفي حسن صبري باشا وهو يلقي خطبة العرش وقتل احمد ماهر في المجلس .

وتضاعف عدد الهيئات والاحزاب السياسية العاملة في مصر خلال هـذا العهد بينما ازداد نشاط القديم منها . فقد انشق احمد ماهر والنقراشي عن الوفد وانضم اليهما عدد من الوفديين فألفوا **الحزب السعدي** اوائل ١٩٣٨ . واشترك الحزب في وزارة محمد محمود وفي انتخابات المجلسين السابع والتاسع فنال في الاول ٨٠ مقعدا ونال في الثاني ١٢٥ مقعدا . وترأس زعماء هذا الحزب احمد ماهر والنقراشي وابراهيم عبد الهادي الحكومات المصرية اكثر فترة الخمس سنوات التي تلت الحرب العالمية الثانية . وانشق عن الوفد عام ١٩٤٢ مكرم عبيد وشكل **الكتلة الوفدية** . وازداد نشاط **الاحرار الدستوريين** بزعامة محمد محمود ثم الدكتور هيكل ونالوا ١١٣ مقعدا في المجلس السابع و ٧٤ مقعدا في التاسع . وخاض **الحزب الوطني** المعارك الحزبية ضد الوفد واشترك في وزارة محمد محمود وفي عدد من الوزارات الاخرى .

وازدادت أهمية **الاخوان المسلمين** بزعامة حسن البنا الذي اسس الحركة في الاسماعيلية عام ١٩٣٠ ونقل المركز الى القاهرة بعد اربعة اعوام . واصدر أوائل ١٩٤٦ جريدة : الاخوان المسلمون «لسان حال دعوة الحق والقوة والحرية» وبلغ عدد اتباعه اذ ذاك قرابة نصف مليون . وبدأت الحركة باسم **جماعة الحضارة الاسلامية** ثم تسمت بالاخوان المسلمين . وانشق عن الحركة **الرواد المسلمون** و **المجاهدون المسلمون**

وادعى حسن البنا بان حركتة ليست حزبا ولا جمعية دينية وانما هي هيئة اسلامية جامعة تعمل لتحقيق الاغراض التي جاء من اجلها الاسلام وترجو أن تفتح امامها ابواب الاحزاب والهيئات وقلوب الناس جميعاً . وتعاون الوفد مع الاخوان الذين اصطدموا مع السعديين . واصدر رئيس الوزراء السعدي محمود فهمي النقراشي امرا بحل الجماعة في ٨ كانون الاول ١٩٤٨ ، فانتقم احد الاخوان من النقراشي بقتله . وثار رئيس الوزراء ابراهيم عبد الهادي لسلفه عندما اغتيل حسن البنا في ١٢ شباط ١٩٤٩ . وتزعمهم الهضيبي الذي اعلن في ٣٠ تموز ١٩٥٢ تأييد الاخوان لثورة الضباط وتعاون معهم. وانقلب الاخوان على الثورة اواخر ١٩٥٤ وحاول احدهم اغتيال جمال عبد الناصر في ٢٦ تشرين اول ، فصدر بعد يومين مرسوم بحلهم . واعتقل زعماؤهم وحكم بالاعدام على ستة منهم ونفذ الحكم في السابع من كانون الاول ١٩٥٤ .

وعرفت مصر في هذا العهد خمسة مجالس نيابية طعن بانتخابات ثلاث منها . وعاش اكثر هذه المجالس مدة طويلة فكاد السابع والتاسع ان يتما مدتهما القانونية بينما اتم السادس والثامن والعاشر اكثر من نصف مدته القانونية ، والطريف ان حياة هذه المجالس انهيت على يد وزارات مخالفة لها بالحزبية . ولم يحدث ان انهت هذه المجالس حياة وزارة بالطريقة النيابية المتعارف عليها .

ومن الاعمال البارزة التي قام بها المجلس السادس ، الذي عاش عهدين ، تعيينه اعضاء مجلس الوصاية وإبرامه المعاهدة وإقسام الملك فاروق اليمين على احترام الدستور أمامه. وترأس الوزارة في حياة هذا المجلس زعيم الاكثرية الوفدية مصطفى النحاس . وأعاد النحاس تشكيل الوزارة بعد تسلم فاروق سلطاته ، ولكن فاروق لم يتركه طويلاً . وتظاهر الطلبة ضد النحاس وازدادت شكاوى الاحزاب الى الملك عليه ، فتجرأ الملك وعين علي ماهر رئيساً للديوان بدون علم الوزارة وادعى حق تعيين الشيوخ وكبار الموظفين . وأخيراً اصدر الملك امراً بإقالة الوزارة لان الشعب لم يعد يؤيد طريقة الوزارة في الحكم وانه يأخذ عليها

مجافاتها لروح الدستور وبعدها عن احترام الحريات .. فلم يكن بد من اقالتها لاقامة حكم صالح يقوم على تعرف رأي الامة » . والف زعيم الاحرار الدستوريين محمد محمود في اليوم نفسه اكبر وزارة عرفتها مصر واول وزارة تضم وزيرا من الحزب الوطني . وجاء في بيان محمد محمود الوزاري ان وزارته تعتقد ان « خير البلاد معقود بأن يكون الدستور اساس الحكم »، الا انها في الواقع كانت وزارة قصر . واجلت الوزارة جلسات المجلس ثم حلته واجرت انتخابات جديدة للمجلس السابع .

٧ - **المجلس النيابي السابع** (٢٦٤ نائباً بينهم ١١٣ من الاحرار الدستوريين و ٨٠ من السعديين و ١٢ وفديا واربعة من الحزب الوطني وخمس وخمسون من المستقلين) . ويمتاز هذا المجلس بوجود نسبة عالية من المستقلين بين اعضائه . وعدلت الحكومة الدوائر الانتخابية وزادتها ٣٢ دائرة جديدة وتدخلت لمساعدة مرشحيها على النجاح ولاسقاط الوفديين الذين لم ينجح منهم غير اثني عشر نائباً . وافتتح المجلس في ١٢ نيسان ١٩٣٨ وانتخب بهي الدين بركات رئيساً .

وكان المجلس مرنا لايتردد في منح ثقته لاية وزارة . فبالرغم من ان عدداً كبيراً من اعضائه كانوا من الاحرار الدستوريين فان المجلس لم يعترض على اقالة وزارة محمد محمود (١٩٣٧/١٢/٣٠ - ١٩٣٩/٨/١٢) ومنح ثقته لعلي ماهر (١٨/ ١٩٣٩/٨-١٩٤٠/٦/٢٧) واكتفى الاحرار بعدم الاشتراك بالوزارة الاخيرة. ونشبت الحرب فوافق المجلس على اعلان الاحكام العرفية . ولم يحرك ساكناً عندما طالبت بريطانيا بانهاء عهد علي ماهر الذي استقال في ٢٣ حزيران «لاسباب قاهرة خارجة عن ارادتنا وارادة الشعب المصري» .

وكانت وزارتا حسن صبري (١٩٤٠/٦/١٧ - ١٩٤٠/١١/١٤)وحسين سري (١٩٤٠/١١/١٥-١٩٤٢/٢/٢) احداهما استمراراً للاخرى. واشترك الاحرار والسعديون والحزب الوطني بالوزارة الاولى ثم استقال السعديون لان مجلس الوزراء رفض في ٢١ آب ١٩٤٠ اعلان الحرب على المحور . واقر المجلس النيابي في ١٢

حزيران ١٩٤٠ سياسة تجنيب مصر ويلات الحرب مع التقيد بالمعاهدة ، وعاد فاكد هذا القرار في ٢١ آب مع اقرار مبدأ الحرب الدفاعيــة اذا ماهوجمت مصر . وتوفي حسن صبري وهو يلقي خطبة العرش مفتتحا الدورة العادية الثانية للمجلس فخلفه حسين سري باشا . ومضى عام ١٩٤١ هادئاً في مصر . ولكن العام التالي بدا مضطرباً يهدد مصر بالخطر . فقد بدأ روميل هجومه في ٢١ كانون الثاني ١٩٤٢ ووصل الى العلمين. وبدأت في مصر أزمة خبز بالاضافة الى الازمة السياسية القائمة بين القصر والحكومـة حول قطع العلاقات مع فيشي .

واشتدت حملة الحياد في مصر بشكل ازعج بريطانيا . وكان حزب الوفد قد قدم مذكرة الى بريطانيا في اول نيسان ١٩٤٠ . طالب فيها بوعد بريطاني بالجلاء عن مصر وتعديل المعاهدة واعطاء مصر حقوقها في السودان كشرط اساسي لدخول مصر الحرب الى جانب بريطانيا،والا فلا معنى لمقاومة الاحتلال الايطالي تثبيتا للاحتلال البريطاني. وايد الاحرار الدستوريون هذه السياسة وعارضها السعديون الذين طالبوا بدخول الحرب . وتحدث اسماعيل صدقي عن الحياد في مجلس الشيوخ في ١٧ نيسان ١٩٤١ . واشتدت دعوة الحياد في مجلس الشيوخ فنادى بها اواخر حزيران كل من فكري اباظة (حزب وطني) والدكتور هيكل (احرار) . وانتشرت الدعوة لاعلان القاهرة والاسكندرية مدناً مفتوحة وجلاء القوات البريطانية عنها . وقام رشيد عالي الكيلاني بحركته في العراق فأيده الرأي العام في مصر وحاول عزيز علي المصـــري الفرار الى العراق في طائرة حربية مصرية ، اما الحكومة فانها نصحت رشيد عالي بان يكون حكيما . واغتنمت المانيا الفرصة لتصدر في ١٧ نيسان ١٩٤١ تصريحاً يشجع مصر على اتباع سياسة الحياد . ولما وصل روميل الى العلمين بلغت الشماتة بالحلفاء اقصاها وقامت مظاهرات الطلاب ترحب به وتهتف ضد بريطانيا .

وتدخلت بريطانيا بلين ثم بعنف . واجبرت الحكومة المصرية على اغلاق

عدد من قنصليات الدول غير الصديقة لبريطانيا ومنع القنصلية اليابانية من استخدام جهازها اللاسلكي . كذلك حملت بريطانيا مصر على نفي حسن البنا الى الصعيد وعزل عبد الرحمن عزام من قيادة الجيش الاقليمي . ورفضت بريطانيا اعلان القاهرة والاسكندرية مدنا مفتوحة وامتنعت عن شراء قسم كبير من فائض القطن واصرت على وجوب تحديد زراعته وتخفيض اسعاره . واخيرا وجهت انذاراً الى الملك في ٤ شباط ١٩٤٢ بوجوب تكليف مصطفى النحاس بتشكيل وزارة . ورفض النحاس ان يشكل وزارة قومية (ائتلافية) فنصح الساسة المصريون الملك بوجوب رفض الانذار . ولكن الدبابات البريطانية حاصرت القصر واقتحم السفير بوابته واجبر الملك على تكليف النحاس .

شكل النحاس وزارة وفدية حكمت مصر اكثر من عامين ونصف وكانت اولى اعمالها حل مجلس النواب القائم واجراء انتخابات جديدة .

٨ - **مجلس النواب الثامن** (٢٦٤ نائبا اكثرهم وفديون) جرت الانتخابات في ظل الاحكام العرفية في اذار ١٩٤٢ وقاطعتها الاحزاب الاخرى . واستصدرت الوزارة مرسوما في ٢٢ شباط بابطال مرسوم ٢٤ اذار ١٩٤١ واعادة تعيين شيوخ وفديين لتصبح نسبتهم ٥٤٪ . وافتتح المجلس في ٣٠ اذار ١٩٤٢ وانتخب عبد السلام جمعة رئيسا . وعقد المجلس بعد ذلك دورتين اعتياديتين في ١٩ تشرين الثاني ١٩٤٢ وفي ١٨ تشرين الثاني ١٩٤٣ . وحل في ١٥ تشرين الثاني ١٩٤٤ .

ترأس مصطفى النحاس (٦ / ٢ / ١٩٤٢ - ٨ / ١٠ / ١٩٤٤) الوزارة طوال عهد هذا المجلس . واقر المجلس عدداً من القوانين التقدمية كقانون استقلال القضاء وقانون خفض الضرائب عن صغار الملاكين وقوانين العمل والبلديات والتعاون والمجموعة الصحية وقانون استعمال اللغة العربية في سجلات الشركات ومكاتباتها وقانون التعليم الابتدائي المجاني . وبدأ النحاس مباحثات الوحدة العربية مع الدول العربية التي انتهت بتوقيع

بروتوكول الاسكندرية في ٧ تشرين الاول ١٩٤٤ .

وفشل النحاس في تحسين علاقاته مع القصر والاحزاب ولم ينجح في كسب وعود من بريطانيا لتحقيق اماني مصر . ولم يعترض النحاس على انشاء المجلس الاستشاري لشمالي السودان في ايلول ١٩٤٣ . وكل ما استطاع عمله هو رسالة من السفير البريطاني وعد فيها بتمثيل مصر في مؤتمر الصلح . اما الجلاء ومستقبل السودان وتعديل المعاهدة فلم يعُد الوفد وهو في الحكم الى الحديث عنها و كتابة المذكرات حولها . وقام بهذا العمل الاحزاب المعارضة التي قدمت مذكرة الى مؤتمر الهرم (روزفلت ، تشرشل ، شان كاي شك) في ١٩ تشرين الثاني ١٩٤٣ فمنع النحاس نشر المذكرة .

واختلف النحاس مع وزير ماليته مكرم عبيد فاعاد في ٢٦ ايار ١٩٤٢ تشكيل وزارته بدون مكرم الذي فصله ايضاً عن الحزب في تموز . واصدر مكرم اواخر اذار ١٩٤٣ الكتاب الاسود عن « مخازي » حكومة النحاس ذاكراً « ما ارتكبته » تلك الحكومة من « محسوبيات واستثناءات » . وتدخل الانجليز اكثر من مرة لحماية النحاس من الاقالة فاشتدت حملة الاحزاب عليه وزادت نقمة القصر . وكان ان انتشرت الملاريا في مصر بشكل وباء وازداد التضخم النقدي زيادة كبيرة وبلغت الارصدة الاسترلينية رقماً خيالياً (٤٥٠ مليون جنيه) ، فاغتنم الملك اول فرصة مناسبة ضمن فيها عدم تدخل بريطانيا واصدر امراً الى النحاس (في اليوم التالي لتوقيع بروتوكول الاسكندرية)قال فيه : « لما كنت حريصاً على ان تحكم بلادي وزارة ديموقراطية تعمل للوطن وتطبق احكام الدستور وتسوي بين المصريين وتوفر الغذاء والكساء لطبقات الشعب .. فقد رأينا ان نقيلكم » . ولم يصدر رئيس دولة حكماً اقسى من هذا الحكم على وزارة حين اتهمها بأنها لا تعمل للوطن ولا تطبق احكام الدستور ولا تساوي بين المصريين ولا تحكم حكماً ديموقراطياً .

وشكل احمد ماهر (١٩٤٤/١٠/٨ - ق ١٩٤٥/٢/٢٤) الوزارة الائتلافية

الجديدة التي ضمت اربعة وزراء من كل من احزاب السعديين والاحرار والكتلة الوفدية ، بالاضافة الى وزير يمثل الحزب الوطني . وبادرت الوزارة الى حل مجلس النواب واجراء انتخابات لمجلس نيابي تاسع .

٩ - **المجلس النيابي التاسع** (٢٦٤ نائبا منهم ١٢٥ سعدي و ٧٤ من الاحرار و ٢٩ من الكتلة الوفدية و ٧ من الحزب الوطني و ٢٩ من المستقلين). جرت الانتخابات في ظل الاحكام العرفية في الثامن كانون الثاني ١٩٤٥ وتدخلت السلطات لانجاح مرشحي الوزارة بينما قاطع الوفد الانتخابات . واستصدرت الوزارة مرسوماً في ٢٠ كانون الاول ١٩٤٤ ابطلت فيه مرسوم ٢٢ شباط ١٩٤٢ وعينت شيوخا موالين لها . وافتتح المجلس في ١٨ كانون الثاني وانتخب حامد جودة رئيساً للنواب وعين الدكتور هيكل رئيساً للشيوخ . ووافق هذا المجلس على اعلان الحرب على المانيا في ٢٦ شباط ١٩٤٥ .وعاش هذا المجلس حتى اواخر ١٩٤٩ حينما حلته وزارة حسين سري باشا . ومنح المجلس ثقته لأربع وزارات سعدية ولوزارة صدقي باشا .

نفذت حكومة احمد ماهر السياسة التي طالما نادى بها رئيسها وهي اعلان الحرب الى جانب الحليفة بريطانيا. وقد كلفها هذا العمل حياة رئيسها الذي قتل في ٢٤ شباط ١٩٤٥ فخلفه في رئاسة الوزارة ورئاسة الحزب السعدي محمود فهمي النقراشي (١٩٤٥/٢/٢٤ - ١٩٤٦/٢/١٥) الذي تابع سياسة سلفه . وتم في عهد النقراشي التوقيع على ميثاق الجامعة العربية في ٢٢ اذار ١٩٤٥ وعلى ميثاق سان فرانسسكو في ٢٦ حزيران . والغيت الاحكام العرفية في الرابع من تشرين الاول ، ورفعت الرقابة عن الصحف . وبدأت مصر في خوض معركة سياسية مع بريطانيا بعد ان قرر مجلس الوزراء في ٢٣ ايلول مطالبة بريطانيا بالدخول في مفاوضات لتعديل المعاهدة وتحقيق الجلاء ووحدة وادي النيل (مصر والسودان) . وقام الطلاب بظاهرات دامية في التاسع من شباط

١٩٤٦ ادت الى استقالة النقراشي وتشكيل وزارة برئاسة اسماعيل صدقي (١٧/٢/١٩٤٦ – ٨/١٢/١٩٤٦). واعتذر السعديون عن الاشتراك بالوزارة «لاختلاف الخطة والاسلوب بينافي الاعمال العامة» ولكنهم عادوا فاشتركوا في ايلول دون ان يغير صدقي اسلوبه وخطته. واستمرت المظاهرات الدامية اوائل عهد صدقي وتصدى الانجليز لتفريقها فسقط عدد من الضحايا. واعلن مجلس النواب الحداد على الضحايا في ٢٥ شباط كما اعلنت الامة الحداد العام في الرابع من آذار.

وتراجعت بريطانيا عن اصرارها بخصوص المعاهدة وقبلت ان تدخل في مفاوضات مع مصر وارسلت الى مصر سفيراً جديداً هو رونالد كامبل ليحل محل اللورد كيلرن الذي غدا رمزاً للاحتلال البريطاني. وتشكلت في مصر هيئة سياسية للمفاوضة لم ينضم اليها الوفد. وحددت هذه الهيئة في ٢٢ ايلول مطالب مصر بانها «جلاء القوات البريطانية.. ووحدة مصر والسودان. ومفاوضة الحليفة للاتفاق على هذه الاسس. ليزيد مابين البلدين من علاقات الصداقة». ولم تطالب المعارضة الوفدية في مجلس الشيوخ باكثر من تعديل المعاهدة واتفقت مع الحكومة والهيئة السياسية على ان وجود حلف بين مصر وبريطانيا امر بديهي. وفشلت المفاوضات بين مصر وبريطانيا فحاول صدقي انقاذها بالتفاهم مباشرة مع المستر بيفن وزير الخارجية البريطانية. وتم الاتفاق على صيغة جديدة للتعديل، الا ان المحاولة انهارت بعد ان اعلن رئيس الوزارة البريطانية تفسيراً للنص الوارد عن السودان لاترضاه مصر. ورفضت الهيئة السياسية المعاهدة فحلت الهيئة في ٢٦ تشرين الثاني واستقال صدقي بعد ذلك بايام قليلة.

وشكل النقراشي وزارة جديدة (٩/١٢/١٩٤٦ – ٢٨/١٢/١٩٤٨). وقررت وزارة النقراشي في ٢٥ كانون الثاني ١٩٤٧ عرض قضية مصر والسودان على مجلس الامن. ودرس مجلس الامن القضية (١١/٧ – ١٠/٩/١٩٤٧) ولكنه لم يصدر توصيات مفيدة لمصر. وشغلت مصر بعد ذلك بالحرب الفلسطينية

فاعلنت الاحكام العرفية في ١٣ ايار ١٩٤٨ ودخل الجيش المصري فلسطين في ١٥ منه . وشغل النقراشي بعد ذلك بالنزاع مع الاخوان المسلمين فاصدر امراً بحل منظمتهم في ٨ كانون الاول ، فاغتاله احد الاخوان بعد عشرين يوماً . وترأس الوزارة بعده ابراهيم عبد الهادي (١٩٤٨/١٢/٢٨ – ١٩٤٩/٧/٢٥) الذي كان حكمه استمراراً لحكم النقراشي ، كما خلف النقراشي في زعامة الحزب السعدي . واستقال عبد الهادي بايعاز ليفسح المجال امام وزارة ائتلافية برئاسة حسين سري .

ترأس حسين سري (١٩٤٩/٧/٢٦ – ١٩٥٠/١/١٢) وزارة ائتلافية للاشراف على الانتخابات . وعدل سري وزارته في ٣ تشرين الثاني ١٩٤٩ لتصبح حيادية لا تضم احداً من الاحزاب . واجرى الانتخابات في ٣ كانون الثاني ١٩٥٠ فنجح حزب الوفد .

١٠ – **مجلس النواب العاشر** (٣١٩ نائباً منهم ٢٢٨ وفدياً و ٢٨ سعدياً و ٢٦ من الاحرار و ٦ من الوطني ؛ ٣١ مستقل) . جرت انتخابات حرة في ٣ كانون الثاني ١٩٥٠ وافتتح المجلس في كانون الثاني . واقر هذا المجلس قانون الغاء المعاهدة البريطانية في ٨ تشرين الاول ١٩٥١ وحل في آذار ١٩٥٢ .

شكل النحاس وزارته الاخيرة (١٩٥٠/١/١٢ – ١٩٥٢/١/٢٦) التي حاولت تعديل المعاهدة ثم الغتها . وازداد الميل في مصر للوقوف على الحياد في الصراع القائم بين الشرق والغرب حتى ان جريدة المصري الوفدية ولسان حال الحكومة نادت بذلك . وامتنعت مصر عن التصويت في مجلس الامن عندما بحث النزاع الكوري بحجة ان اعتداءات عديدة ضد الشعوب قد حدثت دون ان يهتم مجلس الامن بوقفها . وفشلت المفاوضات بين حكومتي مصر وبريطانيا لتعديل المعاهدة . واثارت بريطانيا في كل مناسبة قضية الحصار المفروض على السفن المتوجه الى اسرائيل عبر قناة السويس وخليج العقبة . ورفضت مصر في ١٧ تشرين اول ١٩٥١ دعوة بريطانيه تركية امريكية افرنسية للاشتراك في

حلف دفاعي مشترك وقدمت الى البرلمان المصري مشروع قانون لالغاء المعاهدة، واقر البرلمان المشروع وصدقه الملك في ١٥ تشرين الاول ، اي بعد يومين من تقديم اقتراح الدول الاربع .

وبدأت بعد ذلك معركة القنال بين القوات البريطانية والفدائيين المصريين ولم يشترك فيها الجيش المصري بصورة رسمية . وتوقف العمال المصريون عن العمل في المعسكرات البريطانية . وازدادت الاصطدامات بين الفدائيين المصريين والجنود البريطانيين . ونسفت القوات البريطانية قرية كفر عبده في ٦ كانون الاول ١٩٥٠ فاستدعت مصر سفيرها من لندن احتجاجاً واستغنت عن خدمات الموظفين الانجليز في مصر . وقصفت المدفعية البريطانية المدن المصرية واجبرت السكان على اخلاء مساكنهم . وفي صباح الجمعة الخامس والعشرين من كانون الثاني سلط الانجليز مدافعهم على مركز بوليس الاسماعيلية واحتلوه وقتلوا اكثر من اربعين شرطياً . وثار الرأي العام في القاهرة وقام السكان بظاهرات انتهت بمأساة حريق القاهرة السبت ٢٦ كانون الثاني ورفض البوليس التدخل بينما شغل قادة الجيش والبوليس بحفلة اقامها لهم الملك في القصر . واستطاع وزير الداخلية الساعة الواحدة والنصف الاتصال بقائد الجيش الموجود في القصر ، ولكن القائد خشي ان ينقلب الجيش ضد الملك . وذهب وزير الداخلية الى القصر ليحث الملك والقائد على اصدار الامر بتدخل الجيش ، فأصدر الملك امره بعد ساعة ونصف وتدخل الجيش الساعة الرابعة مساء واستتب الامن الساعة الخامسة بعد ان تم حرق بضع مئات من المؤسسات . وقدرت الخسائر بعشرين قتيلا وخمسين مليون جنيه واعلنت الاحكام العرفية واصدر الملك مرسوماً باقالة النحاس .

شكل علي ماهر وزارة جديدة رضي عنها القصر والوفد (٢٧/١-١/٣/ ١٩٥٢) . وتوقف نشاط الفدائيين في السويس أو كاد وقل تدخل السلطات البريطانية في حياة المواطنين في منطقة القنال . واستؤنفت المباحثات بين

الحكومتين المصرية والبريطانية وعاد السفير عبد الفتاح عمرو الى لندن ليشترك في تشييع جنازة جورج السادس . وحاول علي ماهر مهادنة الوفد ونال ثقة المجلس الوفدي ، ولكن رجال القصر ارادوا استخدام حادث حريق القاهرة حجة لحل المجلس وتحطيم الوفد . واضطر علي ماهر الى الاستقالة ليترك هذه المهمة لعدو النحاس الشخصي والحاقد عليه احمد نجيب الهلالي (١/٣ - ٦/٢٨ ١٩٥٢) . وصدر قرار الاتهام في حادث الحريق فحمّل وزير الداخلية الوفدي المسئولية الكبرى ففرض عليه اقامة اجبارية . واستصدر الهلالي في ٢٣ آذار مرسوماً بحل البرلمان العاشر . وحاول الهلالي تحسين العلاقات مع بريطانيا وحل عقدة السودان . وبادر الى دعوة الزعيم السوداني المهدي باشا الى ارسال وفد الى القاهرة . وجرت المباحثات بين الوفد السوداني والهلالي اواخر ايار واوائل حزيران وانتهت بتوجيه القضية السودانية وجهة جديدة ادت فيما بعد الى استقلالها عن مصر وبريطانيا . واخيراً اقيلت وزارة الهلالي لان وزير ماليته حاول القضاء على مفاسد بعض الاحتكارات المالية فتآمر عليه رجال المال ورجال القصر وابعدوه . وشكل حسين سري (٢٠/٧/١٩٥٠) وزارة ضمت رجل القصر كريم ثابت وزيراً للدولة وشئون القصر والدعاية . وشعر الملك ورجاله بازدياد قوة حركة الضباط الاحرار في الجيش وحاول سري ادخال محمد نجيب وزيراً للحربية في وزارته . ورفض الملك هذا الاقتراح كما رفض اقتراح مرتضى المراغي بتعيين محمد نجيب قائداً للجيش خلفاً لمحمد حيدر. ولما فشلت جهود سري لاقناع الملك بارضاء الضباط اضطر الى تقديم استقالته. وعهد الملك الى الهلالي مرة ثانية (٢٣ تموز) بتشكيل وزارة اسند فيها منصب وزير الدفاع الى زوج الاميرة فوزية. وفي ليلة ٢٣ تموز ١٩٥٢ قام الضباط بحركتهم في القاهرة فاحتلوا القاهرة واعتقلوا قائد الجيش . وجاء الهلالي الى القاهرة (وكانت الحكومة والملك في الاسكندرية) ليبحث الامر مع قادة الانقلاب ثم عاد الى الاسكندرية وقدم استقالته . وطالب الضباط باسناد الوزارة الى

علي ماهر فقبل الملك وشكل علي ماهر وزارته الاولى في عهد الانقلاب (١٩٥٢/٧/٢٤–١٩٥٢/٩/٨) ووافق الملك على عزل حيدر وتعيين محمد نجيب قائداً للجيش برتبة فريق وتطهير حاشيته . وفي ٢٦ تموز انذر الضباط الملك بوجوب تنازله لابنه فؤاد عن العرش ومغادرة البلاد فتم ذلك الساعة السادسة مساءاً وغادر مصر على ظهر اليخت المحروسة . وشكل مجلس وصاية برئاسة عبد المنعم وبهي الدين بركات ورشاد مهنا .

وبدأت مصر مرحلة جديدة من تاريخها . فقد اجبر الجيش علي ماهر على الاستقالة في ٨ ايلول لخلافه معهم حول الاصلاح الزراعي وشكل محمد نجيب وزارته الاولى واول وزارة عسكرية في مصر . وضغط الضباط على الاحزاب لتطهير نفسها واجبر الوفد والسعديين على التطهير . واجرى الضباط مفاوضات مع الاحزاب السودانية انتهت باتفاق معهم في ٢٩ تشرين الاول وافقوا فيه على اعطاء الشعب السوداني حق تقرير مصيره فكسبت مصر الجولة ضد بريطانيا . وبادرت حكومة محمد نجيب الى الغاء دستور ١٩٢٣ في ١٠ كانون الاول ١٩٥ واصدرت في ٧ كانون الثاني ١٩٥٣ دستورا موقتا . وحلت الاحزاب في ١٦ كانون الثاني ١٩٥٣ وعقدت مع بريطانيا اتفاقية السودان في ١٢ شباط ١٩٥٣ ، واخيراً اعلنت مصر جمهورية في ٢٤ ايار ١٩٥٣ .

فلماذا قامت هذه الثورة او الانقلاب ؟ وهل كان قيام انقلابات عسكرية في مصر والسودان وسورية والعراق امراً ضرورياً او امراً محتوماً ؟ وهل يعني نجاح هذه الحركات العسكرية التي ادت الى انتقال الحكم لايدي عسكريين ان الحياة النيابية والحزبية قد فشلت في البلاد العربية ؟ هل يستنتج من كل ماحدث حتى الآن ان الحكم النيابي لا يصلح للبلاد العربية .

لقد اوضح الرئيس عبد الناصر بتصريح له (نشرته الاهرام في ٢ تموز ١٩٥٩) ان انتقال الحكم للعسكريين ليس امراً طبيعياً في حياة الشعوب التي تنعم بحكم سليم ومجتمع سليم . وقال الرئيس في تصريحه المشار اليه :

« ان الثورة هي عمل ايجابي جذري لتغيير الاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في وطن من الاوطان من الحال الذي هي عليه فعلا الى الحال الذي يجب ان تكون عليه املا ».

ولكن متى يصبح الشعب بحاجة الى مثل هذا التغيير الجذري ؟ فمثل هذا التغيير لايعني ان الحالة العامة بحاجة الى اصلاح فحسب ، بل يعني ان البناء القائم فاسد لايرجى صلاحه ولا بد من القضاء على البناء ، لابد من هدمه ، لاقامة بنيان جديد على اسس صحيحة . ولا تلجأ الشعوب عادة الى مثل هذا الاجراء الشاذ ، الى مثل هذه العملية الجراحية الخطيرة ، لاتلجأ الى البتر ، الا كما يقول الرئيس « مضطرة حين تفشل جميع الوسائل العادية في تلبية مطالبها العميقة .. حينما تعوزها جميع اسباب العلاج التقليدي »

ولكن « **الجيوش ليست منظمات للعمل السياسي . والقيام بثورات ليس من طبيعة اعمالها** » . ولا تتحمل الجيوش مثل هذه المسئولية الخطيرة الا عندما تفشل المنظمات السياسية القائمة ويتسرب الفساد الى تنظيماتها فينتقل فسادها هذا الى صفوف الجيش . وعندئذ يصبح تدخل الجيش في السياسة امراً ضرورياً بل محتوما كاجراء اخير بل كرد فعل بائس هدفه القضاء على الاخطار الجاثمة على صدر الأمة . ولكن حركة عسكرية كهذه تؤدي الى اقحام قوة الجيش بالسياسة قد تصبح سابقة خطرة لان « الجيش ليس منظمة سياسية .. وتدخله في السياسة » حدث طارىء « ليس سابقة قابلة للتكرار » بل هو حدث جسيم يجب الأ يحدث وان حدث فيجب ألا يتكرر في حياة الشعب .

فلماذا فسدت الانظمة القائمة في البلاد العربية بشكل لايرجى صلاحه وبحيث اصبحت العملية الجراحية العسكرية امراً محتوماً . هل لأن الانظمة النيابية لا تصلح للبلاد العربية ؟ لا يمكن ان يكون هذا القول صحيحا لانه يعني ان الامة العربية امة شاذة لا تستطيع أن تحكم نفسها بنفسها وبالتالي فانها لا تستطيع ان تكون سيدة نفسها . فأين تكمن المأساة ؟

ان المأساة الحقيقية في حياة الامة العربية خلال نصف القرن الماضي كامنة في طبيعة الحزبية التي قامت في هذه البلاد . فقد اقتبسنا من الغرب نظاماً حزبياً يقوم على الكره والحقد واللؤم والانانية وينادي بالاضطهاد ويدعو الى الاحتكار . واخضع هؤلاء الحزبيون بلادهم لسوط من الاضطهاد باسم الوطنية وباسم الدستور . وحرفوا مفهوم كلمات الوطنية والتقدمية والحرية والخيانة تحريفاً عجيباً ونشروا الشك القاتل وغرسوا الحقد الاجرامي في نفوس الشباب فساهموا في بناء جيل مضلل . وتناسوا ان اي كيان سياسي في أي بلد من البلدان لا يمكن ان يقوم الا على اساس **التعايش السلمي داخل الوطن** .
ولقد اوضح الرئيس عبد الناصر مفهوم التعايش السلمي حين قال بانه ليس تسامحاً مع الرجعية ولا هدنة بين خصوم ولا تجميدا للاوضاع وانما هو « ان يتطور كل شيء ويتفاعل لصالح الحق والحرية والسلام » .

ولا يكفي لاصلاح الاوضاع ادخال انظمة جديدة بل ينبغي تطوير التفكير السياسي العربي . واذا لم تصبح المحبة وحب الخير والتسامح والتعايش السلمي اسسا لانظمتنا السياسية ، واذا لم نقتصد في الاتهام ولم يشكك بعضنا في البعض الآخر ، واذا لم تتعاون كافة طبقات الامة في سبيل الخير العام والحق والعدالة فلن ينجح اي نظام وسنبقى دوما معرضين لعمليات الجراحة والبتر . يجب ان نؤمن باننا كأمة لنا رسالة على ان تكون هذه الرسالة رسالة محبة وتعاون وتعايش لا رسالة حقد واضطهاد . يجب ان نؤمن باننا بحاجة الى جهد كل عربي ، وان نعتقد ان كل عربي مخلص لوطنه وليس عميلا للاستعمار . علينا أن نتيح الفرصة لمن مال به سوء حظه عن الطريق السوي لكي يعود الى الحظيرة .

المملكة الليبية المتحدة

ولاية طرابلس مساحتها ١١٠ الف ميل مربع وسكانها ٧٤٦ الف نسمة
« برقة « ٣٥٠ « « « « ٢٩١ « «
« فزان « ٢٢٠ « « « « ٤٥ « «

كانت ليبيا اولى البلدان العربية في افريقيا التي خضعت للحكم العثماني وآخر بلد خسره العثمانيون في افريقيا . فقد حرر العثمانيون طرابلس من الاسبان وفرسان مالطة في صيف ١٥٥١ وحكموها كغيرها من الولايات العثمانية في افريقيا . وخسر العثمانيون الولاية حينما استولى على الحكم فيها احمد القرمانلي في جمادي الاول ١١٢٣/ ١٧١١ . وحكمت عائلة القرمانلي طرابلس اكثر من قرن وربع ولم تبق للسلطان العثماني غير الولاء الرسمي . وازدادت المصاعب في وجه الامير القرمانلي الرابع يوسف باشا (١٧٩٥ - ١٨٣٢) ولم يستطع التغلب على مشاكله المالية ولا وفق في اخماد الثورات العديدة التي قامت ضده . ولسوء حظه اصبحت بلده محط انظار فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة ابان الحروب النابليونية . واشتدت ازمته المالية بعد ان توقفت الدول الاوروبية عن دفع « الهدايا » له . وفرضت عليه فرنسا في ١١ آب ١٨٣٠ معاهدة الغت « الهدايا » وحررت العبيد الاوربيين ومنعته من تقوية اسطوله او القيام باحتكارات تجارية وفرضت عليه دفع غرامة كبيرة . وكثرت الثورات ضده فاجبره اعضاء الديوان والاعيان على التنازل لابنه علي في ١٢ آب ١٨٣٢ .

ولم يطل عهد علي باشا اذ وصلت حملة عثمانية بقيادة نجيب باشا الى طرابلس في ايار ١٨٣٥ والقي القبض على علي باشا وانتهى بذلك العهد القرمانلي .

حكم ليبيا خلال العهد العثماني (١٨٣٥ — ١٩١١) ثلاثة وثلاثون واليا بينهم ثلاثة (عزة باشا ، نديم باشا ، علي رضا باشا) حكموا نحوا من ثلاثين سنة ، بينما كان معدل ولاية الواحد من الباقين اقل من عام واحد . وطبق العثمانيون عام ١٢٨١/١٨٦٣ نظام الولايات العثماني .

وشعرت ليبيا بالخطر الافرنسي المتزايد على حدودها الغربية منذ عودة الحكم العثماني المباشر . فقد احتل الافرنسيون الجزائر قبل مجيء الاسطول العثماني الى طرابلس بخمسة اعوام . واشتد الخطر الافرنسي بعد فرض الحماية الافرنسية على تونس عام ١٨٨١ ، فعززت الدولة العثمانية حاميتها على الحدود الغربية . وشارك الليبيون في دعم النضال العربي في الجزائر وتونس . وشرع الافرنسيون بتهديد طرابلس من الجنوب فاحتلوا تشاد بعد ابادة حاميتها العثمانية .

ولكن برزت قوة جديدة في البلاد ساهمت في حماية البلد ووقفت في وجه الاستعمار الغربي اكثر من ثلاثة ارباع القرن . هذه القوة الجديدة هي السنوسية التي بدأها كطريقة دينية السيد محمد بن علي السنوسي ١٧٩٧/١٨٥٩ تلميذ احمد ابن ادريس الفاسي (١٧٥٠-١٨٣٥) رئيس الطريقة الخضيرية الشاذلية واستاذ محمد صالح المرغني السوداني . واسس السنوسي اول زاوية له في جبل ابي قابوس بمكة عام ١٨٣٧ ثم نشر طريقته في الحجاز . وغادر السيد محمد السنوسي الحجاز عام ١٨٤٠ الى ليبيا واستقر في بنغازي واسس اول زاوية في الجبل الاخضر عام ١٨٤٣ ثم اسس زاوية اخرى في جغبوب عام ١٨٥٦ وتوفي بعد ثلاثة اعوام .

وجاء بعده ابنه **السيد المهدي** (١٨٤٢- ١٩٠٢) . وازداد نشاط الطريقة في عهده وانتشرت بحيث بلغ عدد الزوايا في عام ١٨٨٥ اكثر من ٣٨٠ زاوية

في برقه بالاضافه الى ثلاثين في فزان وقرابة ٢٠ في طرابلس ومثلها في تونس . وبلغت الدعوة في انتشارها بلاد تشاد وتمبكتو . ووقف السيد المهدي موقفا حياديا من العدوان الافرنسي على تونس والبريطاني على مصر عام ١٨٨٢ ولم يبد اهتماماً بتطورات الاحداث في السودان . ولكنه اضطر الى مواجهة الخطر الافرنسي فخاض معارك ضد الافرنسيين بعد سنة ١٩٠٠ ولكنهم هزموه واحتلوا تمبكتو سنة ١٨٩٤ وتشاد وهدموا الزوايا . وتوفي المهدي عام ١٩٠٢ والخطر الافرنسي على اشده .

وتولى الزعامة الدينية بعد السيد المهدي ابن اخيه السيد **احمد الشريف السنوسي** (١٨٧٥ - ١٩٣٣) . وشغل السيد الشريف بحرب الافرنسيين الى ان صرفه عن قتالهم الغزو الايطالي اواخر عام ١٩١١ . وقد تزعم احمد الشريف هذه المقاومة الى صيف عام ١٩١٨ حينما اضطر الى مغادرة بلاده الى استانبول . وساهم احمد الشريف في حركة المقاومة الوطنية التركية وايد مصطفى كمال ولكن حكومة انقرة مالبثت ان اخرجته فذهب الى دمشق . واخرجه الافرنسيون من دمشق عام ١٩٢٤ فذهب الى الحجاز وتوفي في المدينة المنورة عام ١٩٣٣ .

وجهت ايطاليا انذاراً شديد اللهجة في السابع والعشرين من ايلول ١٩١١ ادعت فيه ان الدولة العثمانية تجاهلت رغائب ايطاليا واهملت مصالحها الاقتصادية في طرابلس وحرضت الاهالي على رعاياها لذا فانها تطلب الموافقة على احتلال ايطاليا لطرابلس وتسهيل عملية الاحتلال . ونفت حكومة **ابراهيم حقي باشا** تهمة الاساءة الى المصالح الايطالية ووعدت بتقديم ضمانات كافية للمصالح الايطالية ولكن ايطاليا لم ترض بالجواب العثماني رغم ليونته وضعفه بل اعلنت الحرب بعد يومين من تقديم الانذار .

واستقالت وزارة حقي باشا وشكل سعيد باشا كوجك وزارة جديدة . وقامت حملة عنيفة ضد حقي باشا وطالب كثيرون بمحاكمته . فقد اتهموه بانه

استدعى والي طرابلس ابراهيم باشا ارضاء لايطاليا كما استدعى قائد الحامية العثمانية في ليبيا ونقل اكثرها الى اليمن ولم يبق على غير ثلاثة آلاف جندي.

وتبين الوثيقة التي قدمها مبعوثا طرابلس **محمود ناجي بك وصادق بك** الى رئاسة مجلس النواب العثماني مدى اهمال وخيانة الاتحاديين لهذه الولاية عشية الاحتلال الايطالي. وتنقسم العريضة الى قسمين:

آ - في القسم الاول بيان لما كان ينبغي ان تقوم به الدولة من تقوية البحرية ووضع سياسة خارجية قوية وجعل ادارة الولاية في ايدي ابنائها وحسن تدبير الشؤون المالية والمحافظة على قوة الجيش المرابط بدلا من نقله الى اليمن وانقاصه من عشرين الف الى ثلاثة آلاف، واهمال القرعة بالاضافة الى الرديف مع رغبة السكان في الانخراط في الجندية، وسحب الاسلحة (٤٠ الف بندقية) المخصصة لتسليح الاهالي. يضاف الى ذلك استدعاء الضباط الذين تعلموا اللسان المحلي وعرفوا طبيعة البلاد دون ان ترسل سواهم. وتضيف الوثيقة:

«وبناء على ذلك حرم الاهالي الذين تسلحوا للدفاع ضد الاعداء من القواد الذين يفهمونهم ابان الحرب. ولقد بات هؤلاء المنكودي الحظ في يأس وألم عظيمين. وهكذا ترك الاهالي في حالة لا تمكنهم من الدفاع بل تركوا عرضة للجوع المستحكم ولوجود عدو ظالم».

ب - وفي القسم الثاني تعدد الوثيقة مساوىء وزارة حقي باشا الادارية والسياسية قائلة:

١ - اضاع الاهلون الرجاء من وزارة حقي باشا الذي اهمل ارسال الموظفين الاكفاء الذين يفهمون حاجاتها.

٢ - ان اهمية هذه الولاية تتطلب عناية كبيرة ولكن الدولة العثمانية على العكس من ذلك اهملتها من جميع النواحي السياسية والعسكرية والادارية.

٣ - تكيل الوثيقة التهم الى الوزير حقي باشا لتقصيره مع انه يعلم رغبة الطليان في احتلال طرابلس منذ سنين عديدة بصفته سفيرا سابقا في روما، ثم

وزيرا اولا في استانبول مطلعا على رسائل والي طرابلس وسفيره في روما منذرين يحذرون من مطامع ايطاليا . ولكنه لم يبد حراكاً والاغرب من ذلك انه صرح لسفراء الدول باجازات في هذا الوقت بالذات حتى اذا تفاقم الخطر لم يكن الا القليلون في وظائفهم .

٤ – ظلت الدولة العثمانيـة رغم ذلك لاتحرك ساكنا ولا تصدر امراً . وتذيل الوثيقة بهذه العبارة المفجعة « أشَهِد تاريخ الامم عمى الى هـذا الحد اوأى اهمالا كهذا الاهمال ؟ اوجد ضعف محبة الوطن كهذا الضعف ؟ » .

والواقع ان الدولة العثمانية كانت منهمكة باخماد الفتن منصرفة الى مشاغلها في البلقان تحد من عزيمتها خزينة فارغة وشعوب ثائرة ناقمة ولكنها مـع ذلك لم تفقـد كل امل في ليبيا وان تركتها وحيدة ينهكها الجوع والفقر ويحصدها الرصاص والمرض .

وشرعت ايطاليا فورا بارتكاب الاعمال العدوانية . فقد قصفت درنة في آخر أيلول وطرابلس في الثالث من تشرين اول . وتمكنت من انزال قـوة كبيرة احتلت طرابلس ودرنة وبني غازي . ولم تزد القوة العثمانية في ليبيا على خمسة آلاف بقيادة نشأت بك في طرابلس واقل من الفين في برقة بقيادة شاكر بك ، ولكن سرعان ما تضخمت هذه القوة بانضمام عدد كبير من المتطوعين . واستنفر **سليمان باشا الباروني** نائب الجبل **وفرحات بك** نائب طرابلس السكان لمساعدة العثمانيين . واستطاعت هذه القوة ان تنزل هزيمة بالايطاليين في ١٩ كانون الاول في معركة بير طبراس .

وبادرت الدولة العثمانية الى ارسال بعض الامدادات . فوصل ليبيا عـدد من الضباط منهم **انور وعزيز المصري ومصطفى كمال** . وجعل انور قائداً عاما وعهد الى عزيز المصري بقيادة منطقة بني غازي والى مصطفى كمال بقيادة درنة والى **ناظم بك** بقيادة طبرق . وانضم السنوسيون الى المعركة واصدر السيد احمد الشريف السنوسي منشورا في السابع عشر من كانون الاول دعا فيه القادرين

على حمل السلاح الى الذهاب الى ميدان القتال » وان يخضعوا الى اوامر انور بك بصفته نائب السلطان وقائدا عاما » . وانضم الى المعسكر العثماني كبار السنوسيين امثال السيد ادريس **وعمر المختار ومحمد علي العابد**. والحق المجاهدون بالقوات الايطالية خسائر فادحة فلم تتمكن من التقدم في داخل البلاد .

ولجأت ايطاليا الى نقل الحرب الى الاراضي العثمانية الاخرى . فهاجم اسطولها موانىء بيروت والحديدة وايد الثوار في عسير وهاجم الدردنيل واحتل جزيرة رودس وباقي مجموعة جزر الدوديكانيز . ورأت الدولة العثمانية ان لاقبل لها بمتابعة الحرب ضد ايطاليا لا سيما وان بوادر الحرب البلقانية كانت ظاهرة ، ففاوضت من اجل الصلح . وعقدت معاهدة **اوشي** (**لوزان**) في ١٨ تشرين اول ١٩١٢ التي تعهد الباب العالي بموجبها بسحب قواته وموظفيه المدنيين في ليبيا . واعلن السلطان منح ليبيا استقلالها الداخلي التام المطلق . واعلنت ايطاليا عملا بالقانون الايطالي الصادر في ٢٥ شباط ١٩١٢ القاضي بجعل ليبيا خاضعة للسيادة الايطالية ، العفو العام في ليبيا ووعدت بالابقاء على الخطبة باسم الخليفة العثماني .

ولكن القتال لم يتوقف رغم الصلح بين العثمانيين والايطاليين . فقد انسحب انور بك ولكنه سلم القيادة للمقدم عزيز علي المصري قائد قطاع بنغازي . وقام انور بزيارة للسيد احمد الشريف في جغبوب وكانت رحلته في السيارة وهي اول سيارة تتوغل في صحراء ليبيا . وكان على خلفه ان يواجه القوات الايطالية التي حاولت احتلال الجبل الاخضر فاحتلت بدءاً من المراكز الهامة في نيسان ولكن المجاهدين الحقوا بها هزيمة في ١٦ ايار في الجبل الاخضر (واقعة يوم الجمعة) فارتد الايطاليون الى درنة . وحقق الايطاليون بعض المكاسب خلال عام ١٩١٣ . واخيراً صدرت الاوامر من الباب العالي الى عزيز المصري بالانسحاب . وحاول مجاهدو برقة ان يمنعوه من الانسحاب او يجبروه على تسليم اسلحة ، ولكنه قاومهم وانسحب بقواته في تموز . وتحمل السنوسيون بقيادة **عمر المختار** كامل

مسؤولية القتال حتى نشوب الحرب العالمية الاولى ولكن مركز المجاهدين العسكري ضعف بعد ان تخلى عنهم العثمانيون والمصريون. وشرع خديوي مصر بالتوسط بين السيد السنوسي والايطاليين. وفرضت السلطات الانجليزية شبه حصار على حدود برقة ومنعوا الضباط المصريين من التطوع كما سعى **الخديوي عباس** الى التفرقة بين السيد احمد الشريف والسيد ادريس وحرّض الثاني واغراه بالاتفاق مع ايطاليا مقابل اعتراف ايطاليا به اميراً بدلا من السيد احمد. واصبحت فزان مركزاً رئيسياً للنزاع بين السنوسيين والايطاليين. فقد تقدمت قوة ايطالية بقيادة الكولونيل **انطونيو مياني** وهزمت قوات السيد محمد عبد الله البوسيفي الذي استشهد، واحتلت مرزوق. فارسل السنوسي الى مرزوق السيد محمد علي الاشهب لاشعال الثورة فيها ضد الايطاليين فنجح في مهمته واضطر مياني الى الانسحاب خوف التطويق. وعندئذ نشب خلاف بين محمد عابد السنوسي اخي السيد ووكيله وبين زعماء المجاهدين.

وتطورت الامور تطوراً مختلفاً في طرابلس فقد عقد الزعماء اجتماعاً وقرروا فيه، استناداً الى فرمان ١٣٣٠، تكليف الشيخ **سليمان الباروني** باعلان الاستقلال وتبليغه للدول وتشكيل حكومة تقوم بحفظ الامن والدفاع عن الوطن. وارسل سليمان الباروني وفداً الى اوربا للسعي للحصول على اعتراف الدول بالدولة الجديدة وللدعاية لقضيتها. ولكن القوات الايطالية زحفت على الجبل واحتلت غريان وغدامس واجبرت الباروني على اللجوء الى تونس. وقبل الايطاليون مفاوضة الباروني على اساس الاعتراف باستقلال طرابلس الذاتي الاداري تحت سيطرة ايطاليا. ولكن بعد ان نالت هذه الموفقيات العسكرية رفضت ايطاليا ان تمنح المجاهدين في طرابلس اكثر من العفو. وقبل الباروني ورفاقه بذلك وغادر الباروني تونس الى الاستانة اواخر عام ١٩١٣.

ليبيا خلال الحرب العالمية الاولى ١٩١٤ — ١٩١٨

دخلت الدولة العثمانية الحرب الى جانب المانيا ضد كل من انجلترا وايطاليا وفرنسا التي تحيط بممتلكاتها بالاراضي الليبية . وارسلت نوري اخا انور يرافقه جعفر العسكري بمهمة لدى السيد احمد الشريف السنوسي لدعوته لحرب انجلترا. وتم اول اجتماع بين السيد احمد ونوري قرب السلوم واستلم السيد احمد فرمانا من السلطان بتعيينه نائباً للخليفة في افريقيا الشمالية ومنحه رتبة الوزارة الاولى. وبدأ العثمانيون يضغطون على السيد احمد للانصراف الى مهاجمة مصر بدلاً من حرب الايطاليين .

وتردد السيد احمد الشريف طويلا . فهو لا يريد معاداة الانجليز ويفضل الانصراف لحرب الايطاليين وسعى الانجليز من جانبهم بكافة الوسائل لحمله على عدم معاداتهم . وارسل سلطان مصر والسر هنري مكماهون المندوب السامي البريطاني والجنرال ماكسويل القائد العام رسائل الى السيد احمد يخطبان فيها وده ويحذرانه . كما ان الملازم محمد صالح حرب (باشا) قائد موقع مرسى مطروح سعى لمقابلة السيد احمد وتحذيره من مغبة دخول الحرب ضد الانجليز.

ولكن نوري استطاع ان يحرج السيد احمد ويدفعه الى قتال الانجليز . وهاجم الاتراك موقع السلوم فانسحب الانجليز منها الى مرسى مطروح فكان هذا العمل بداية العمليات الحربية ضد الانجليز في هذه الجبهة .وارسل السنوسي قوة احتلت واحة سيوه. وانضم القائد المصري صالح حرب بقواته الى السنوسي في ليلة ٢٦ تشرين الثاني ١٩١٥ . ولم يستطع السنوسيون والاتراك التقدم في الاراضي المصرية بل اضطروا للتراجع . واوقع الانجليز بقوات نوري هزيمة كبيرة شرقي سيدي براني في شباط ١٩١٦ واسروا جعفر العسكري واستعادوا السلوم في ٢٤ آذار وارتدت القوات العثمانية الى برقة وطرابلس . اما صالح

حرب فقد تمركز اول الامر في سيوه وشن حرب عصابات عنيفة على الانجليز ثم اضطر الى الانسحاب فوصل جغبوب في أوائل ١٩١٧ . ولكن السيد محمد ادريس طلب من صالح حرب مغادرة جغبوب فغادرها الى العقيلة بصحبة الشريف احمد . وفي آب ١٩١٨ غادر الشريف احمد ليبيا في غواصة المانية الى استانبول . وكانت الزعامة السنوسية في ليبيا قد انتقلت الى ابن عمه السيد محمد ادريس المهدي .

جبهة طرابلس ١٩١٥ — ١٩١٨

بعد أن فشل نوري في حملته ضد مصر ، وبعد ان تزعم السيد محمد ادريس السنوسيين وبدأ يفاوض الانجليز والايطاليين اتجه غرباً بصحبه عبد الرحمن عزام فنزل اولا في اجدابية ثم في مصراتة وبدأ بالتعاون مع رمضان الشتيوي السويحلي زعيم مصراتة . وسعى نوري والسويحلي لا لتنظيم القتال ضد الايطاليين فحسب بل ضد السنوسيين ايضاً . وكانت داخلية طرابلس موزعة بين عدد من الزعماء اهمهم :

رمضان السويحلي	في مصراتة	خليفة بن عسكر	في غرب الجبل
احمد المريض	في ترهونة	المهدي السني الزناتي	في شرق الجبل
عبد النبي بلخير	في ورفلة	اولاد يوسف	في شرق الجبل
علي بن تنتوش	في العزيزية	عمر سيف النصر بك	في قبائل العمامرة
الحاج محمد الفقيني	في فصاطو	اولاد عبد الجليل وسليمان سيف النصر	
مختار كعبار	في غربان		في سوكنة وودان وواحة الجفرة

وحاول العثمانيون في طرابلس اجبار السنوسيين على محاربة فرنسا في تونس. وقامت فعلا قوة عثمانية في ايلول ١٩١٥ بدخول الاراضي التونسية ، ولكن صفي الدين مندوب السنوسي اجبر القوة العثمانية على الانسحاب . وحاول العثمانيون قطع الطريق على صفي الدين بين ترهونة ورفلة بمساعدة السويحلي ولكن صفي الدين افلت منهم بمساعدة ابن سيف النصر ونزل بين سرت ومصراتة في شباط ١٩١٦ . ووصل سرت في آذار الضابط الالماني مانسمان الذي سبق له ان اشترك في حرب السلوم وطلب من صفي الدين مساعدته على الوصول الى جبهة طرابلس . ولكن صفي الدين اعتقله وارسله الى اجدابية مركز السيد ادريس السنوسي ثم لحق به بدعوة من السيد . وقصد صفي الدين بعد ذلك واحة الكفرة حيث بقي فيها الى شباط ١٩١٧ . وعاد حينذاك فساهم مع السيد ادريس وعمر المختار في إجلاء العثمانيين في اجدابية الى ولاية طرابلس . وقدم له الابطاليون السلاح والذخيرة ليقف امام رمضان السويحلي في ايلول واحتل سوكنة بمساعدة اولاد سليمان سيف النصر وشنق القائمقام التركي . وفي كانون الثاني ١٩١٨ تمكن صفي الدين من ان يهزم قوات السويحلي وغيره من الزعماء الطرابلسيين فعينه السيد السنوسي نائباً له في شرق الجبل الاخضر . ويمكن القول ان النفوذ السنوسي زال عن واحة فزان . فقد تمكن الضابط العثماني احسان ثاقب من احتلال مرزوق في العاشر من تموز ١٩١٧ واجبر السيد محمد عابد أخو السيد احمد الشريف على مغادرة فزان في ايلول بعد ان هزم في ٢٠ آب قوة سنوسية بقيادة محمد علي الاشهب . وسقط الاشهب اسيراً فعذب وقتل .

وعاد الى طرابلس سليمان الباروني الاباضي . والباروني ولد عام ١٨٧٠ وتلقى علومه في تونس ومصر والجزائر . واتهم في عهد السلطان عبد الحميد بمعارضة العهد فحوكم ثم عفي عنه ولجأ الى مصر حيث اصدر عام ١٩٠٧ ثلاثة اعداد من جريدته الاسد . وعاد الى طرابلس بعد الانقلاب العثماني فانتخب عضواً في المبعوثان . وانضم الى المجاهدين في حرب الطليان في ٢٣ تشرين اول

١٩١١ . واستمر يناضل الى ان اضطر الى اللجوء الى تونس ثم غادرها اواخر ١٩١٣ الى استانبول . وعاد الباروني اواخر ١٩١٥ يحمل فرماناً من السلطان بتعيينه والياً على طرابلس وقائداً عاماً فشرع في انشاء ادارة عربية . واصدر في ١٧ تشرين اول بياناً اعلن فيه الحاق ولاية طرابلس بالولايات العثمانية . وعمل الباروني على تسوية الخلافات بين الزعماء وحاول استرضاء السيد ادريس السنوسي ووفق الى حد بعيد ورحب السنوسي بمساعيه . ثم بدأ مناوشة الايطاليين حول طرابلس .

ولكن جهود الباروني ونوري للاصلاح بين الزعماء عادت فتبخرت . ونشب النزاع من جديد بين السويحلي والمريض وبين السويحلي والسيد احمد الشريف بل ان السويحلي استولى بعملية قرصنة على قافلتين ارسلها العثمانيون الى السيد احمد الشريف . وتلقى المريض اعانات مالية من ايطاليا . ووجد نوري ان لامفر له من مغادرة البلاد فقصد الاستانة يرافقه عبد الرحمن عزام في كانون الثاني ١٩١٨ .

وحاولت الدولة العثمانية اصلاح الوضع في طرابلس . فارسلت في ايار ١٩١٨ الامير فؤاد عثمان قائداً اعلى وحاكماً عاماً وارسلت معه عبد الرحمن عزام مستشاراً واسحق باشا حاكماً عسكرياً وعبد الرحمن نافذ رئيساً لاركان حرب الامير . واتخذ فؤاد مصراتة مركزاً له وبدأ بانشاء حكومة منظمة وسعى للاصلاح بين الزعماء . ورغم نجاحه في ادخال التنظيم على الادارة فانه فشل في ازالة الخلافات بين الزعماء . كذلك اساء اسحق باشا التصرف واستبد فنقم عليه الاهلون كثيراً . ولكن الدولة العثمانية كانت قد خسرت الحرب وعقدت هدنة مع الحلفاء فانسحب الامير فؤاد في تشرين الاول وترك البلاد لاهلها . وبذلك جلا النفوذ العثماني عن طرابلس .

الجمهورية الطرابلسية

ما ان قرر الامير فؤاد عثمان الانسحاب هو والادارة العثمانية حتى بدات المباحثات بين زعماء طرابلس لتقرير مصيرهم . واستقر قرارهم آخر الامر على اعلان تأسيس جمهورية طرابلس واعلن نبأ قيامها بالبلاغ التالي :

بسم الله الرحمن الرحيم

في الساعة الرابعة والنصف من يوم السبت المبارك الثالث عشر من صفر الخير عام ١٣٣٧ قررت الامة الطرابلسية تتويج استقلالها باعلان حكومتها الجمهورية باتفاق علمائها الاجلاء واشرافها واعيانها ورؤساء المجاهدين المحترمين الذين اجتمعوا من كل انحاء البلاد . وقد تم انتخاب مجلس الشورى الطرابلسي وانتخب اعضاء مجلس الجمهورية وافتتح اعماله باعلان الجمهورية الى الدول الكبرى والى الدولة الايطالية .

ان الامة الطرابلسية تعتبر نفسها حائزة لاستقلالها الذي اكتسبته بدماء ابنائها وقوتها منذ سبع سنين وسعيدة بالوصول الى هذه الغاية التي هي اشرف ما تصل اليه الامم وتهنيء ابناءها بتمام نجاحهم واتحادهم على الثبات التام في الدفاع عن وطنهم وحكومتهم الجمهورية الجديدة والتوفيق بيد الله واحد .

١٣ صفر ١٣٣٧ الموافق ١٦ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩١٨

سليمان الباروني احمد المريض رمضان الشتيوي السويحلي عبدالنبي بالخير

وناشد اعضاء حكومة الجمهورية الاربع دول اميركا وايطاليا وبريطانيا وفرنسا الاعتراف بالجمهورية الطرابلسية . وخاطبوا الرئيس الاميركي ولسن (ان قواعدكم المشهورة بالنسبة لمقررات الامم سواء كانت في اوربا او خارجها قد شجعتنا كثيراً على ان نضع آمالنا في مقاصدكم العظيمة ونواياكم العالية الانسانية) . ووجهت الجمهورية نداء مماثلا لفرنسا جاء فيه : « ليس بين

الامم من هو جدير بحريته واستقلاله اكثر من الامة الطرابلسية التي تقاتل الى الآن ثاني سنين ضد غاصب ارضها وحريتها ، واننا لانشك في ان احساساتكم العالية نحو حرية الامم والحكومات الصغيرة كما ان غيرتكم على حماية العرب تجبركم على العطف على جمهوريتنا الجديدة الحرة) .

وخاطبت الجمهورية رئيس الحكومة الايطالية بما يلي :

« تفخر الامة الطرابلسية بتتويج استقلالها باعلان الحكم الجمهوري وانتخاب نواب عنها من كافة انحائها لمجلس الحكومة والشورى ، ولا هدف لها الا وحدتها وحريتها داخل حدودها السياسية المعروفة ولا تقصد الا ان تعيش عيشة هنيئة مسالمة لجميع الامم التي لاتحاول غصب حقوقها .. لذلك تدعو الحكومة الايطالية الى الاعتراف بها وسد كل باب يضطر الحكومة الطرابلسية الى مداومة الحرب الى ان تحقق املها المشروع » .

وتألفت الجمهورية الطرابلسية من مجلس حكومة ومجلس شورى ورئيس مالية ومستشار . اما مجلس الحكومة فتألف من اربعة اعضاء هم :

١ – الشيخ سليمان الباروني (الجبل) ويقيم في جهة العزيزية قرب منطقة القتال
٢ – رمضان السويحلي (مصراته) ويقيم في مصراتة تجاه العدو في الخمس
٣ – احمد المريض (ترهونة) ويقيم في ترهونة
٤ – عبد النبي بلخير (اورفلة) وعهد اليه بجمع مجاهدي اورفلة والالحاق بالعزيزية .

ويتألف مجلس شورى الجمهورية من خمس وعشرين عضواً هم :

الرئيس الاول الشيخ محمد سوف بك (الجبل)

الرئيس الثاني الشيخ يحيى الباروني (الجبل) وهو شقيق سليمان الباروني .

وبالاضافة الى هذين الرئيسين مثل الجبل خمسة اعضاء آخرون هم :

الشيخ محمد بشير اولاد يوسف ، ابراهيم ابو الاحباس ، الحاج محمد فكيني ، الشيخ احمد البدوي ، سالم البرشوشي .

اما المقاطعات الاخرى فقد تمثلت كما يلي :

الحاج مفتي التريكي	ـ مسلاتة	الحاج علي النقوش	ـ مصراتة
عبد الصمد بك	ـ ترهونة	عبد الرحمن بركات	ـ مرزوق
الشيخ علي رحاب	ـ الجفارة	محمد بن احمد الفايدي	ـ الشاطيء
محمد بك المنتصر	ـ سرت	الشيخ الحبيب عز الدين	ـ غدامس
شطيبة بك	ـ غريان	علي بن تنتوش	ـ عزيزية
الشيخ مفتاح التايب	ـ اورفلة	عبد الرحمن شلابي	ـ النواحي الاربعة
محمد بن خليفة	ـ الساحل	عبيدة بك	ـ صرمان وعجيلات
عبد السلام الجرابي	ـ يزلتين		

واختير مختار كعبار بك (غريان) رئيساً لمالية الجمهورية وعبد الرحمن عزام (مصر) مستشاراً واللواء عبد القادر الغناي باشا قائداً عاماً . كذلك شكل مجلس شرعي للجمهورية من العلماء . واقسم الجميع في جامع مصراتة القسم التالي :

واقسم بالله العظيم قابضاً بيدي هذه على القرآن الكريم ان اجعل نفسي ومالي فداء لوطني وحكومتي الجمهورية الطرابلسية وان اكون لعدوها عدواً ولصديقها صديقاً ولقانونها الشرعي مطيعاً ».

وبدأت حكومة الجمهورية بمفاوضة السلطات الايطالية . ووصل مركز القيادة الايطالية في ١٩١٨/١١/١٤ وفد طرابلسي للمفاوضة. وبدأت المفاوضات فعلا في اليوم التالي ثم تأجلت اسبوعا . وألغى الايطاليون الحصار الاقتصادي المفروض على طرابلس . واستؤنفت المفاوضات في اذار بمحلة الزيتونة بين الجنرال تارديتي وافادي كعبار واستمرت المفاوضات طوال شهر اذار وحضرها عبد الرحمن عزام في الثامن من نيسان . وأوضح الطرابلسيون أن مطلبهم الرئيسي هو تأسيس أمارة حرة بطرابلس الغرب تحت اشراف الحكومة

الايطالية على أن تكون الشريعة الاسلامية قانونها الاساسي . وفي الرابع عشر من نيسان أعلن الوالي الايطالي غاريوني موافقة حكومته على منح الطرابلسيين الجنسية الايطالية وأقرت مبدأ المساواة التامة بين العرب والايطاليين أمام القانون . وسلم غاريوني للوفد الطرابلسي مذكرة مؤرخة في الرابع من اذار تحوي احد عشر مبدأ وتتضمن :

(١) منح الجنسية الايطالية للعرب في طرابلس .

(٢) المساواة المطلقة بين العرب والايطاليين أمام القانون مع استبقاء العرب لقوانينهم الخاصة بالاحوال الشخصية .

(٣) ضمان الحرية الشخصية وحرمة المساكن وحقوق الملكية وحرية التعليم والاجتماع والصحافة والانتقال والاقامة وتقديم العرائض .

(٤) احترام الشعائر الدينية والتقاليد والعادات .

(٥) حق المواطنين بالتقدم لمسابقات الوظائف المدنية والعسكرية في طرابلس وحق ممارسة المهن الحرة في طرابلس وايطاليا .

(٦) الخدمة العسكرية اجبارية .

(٧) ضرورة موافقة المجالس الوطنية على أية ضريبة تفرض على أن تحصل من المجتمع .

(٨) يشترك المواطنون في أعمال الادارة العامة عن طريق مجالس منتخبة .

(٩) اصلاح ادارة القضاء وفق الشريعة الاسلامية وايجاد محاكم مختلطة .

(١٠) تقوم الحكومة بأعباء التعليم وتجعل التعليم الابتدائي اجباريا .

(١١) تشكيل لجنة مختلطة نصفها عرب لوضع الانظمة اللازمة لتنفيذ هذه الشؤون واقتراح وتغيير الانظمة السارية .

ووافق العرب في الثامن عشر من نيسان على هذه الشروط وقبلوا ما يعرف بصلح بنيادم . وزار الزعماء مدينة طرابلس في الثلاثين من أيار وصدق ملك ايطاليا في اليوم التالي على دستور طرابلس ونشر في أول حزيران . وازداد نفوذ السويحلي بحيث استطاع أن يعين اثنين من مجموع الاعضاء العرب الثمانية في

مجلس الحكومة الذي يضم أيضا عضوين ايطاليين . وشكل السويحلي والمريض في آخر ايلول حزبا سمي حزب الاصلاح الوطني برئاسة عبد الرحمن عزام وعثمان الغرياني (مدير جريدة اللواء الطرابلسي) وخالد بك القرقني . ولاقى الحزب ترحيباً وتأييداً كبيرين . أما الجمهورية الطرابلسية فقد حلت في آب .

ونص دستورا طرابلس وبرقة على الامور التالية :

الفصل	المضمون
١،٢،٣	تحديد معنى الوطني الايطالي واعتبار عرب طرابلس ايطاليين
٤	المساواة أمام القانون .
٥،٦	الحقوق المدنية والسياسية : حرمة المنازل والملك وحق الالتحاق بالوظائف وحق ممارسة المهن الحرة وحق الانتخاب
٧	حرية الاجتماع والنشر والصحافة .
٨	الخدمة العسكرية .
٩	المساواة في فرض الضرائب .
١٠	اباحة التدريس الخاص باشراف الحكومة .
١١	التدريس في اللغة العربية في المرحلة الابتدائية والمتوسطة واللغة الايطالية اجبارية بعد الصف الثالث . (المادة ١٢ من دستور برقة جعلت التدريس بالايطالية الا ما يتصل بالتراث الاسلامي وكفلت الحرية الدينية للمسلمين)
١٣–١٥ (١٣ - ٢٦ دستور برقة)	تتألف الحكومة من وال يعينه ملك ايطاليا ومجلس نواب محلي منتخب أكثره لمدة أربعة أعوام ومجلس حكومة من عشرة أعضاء يعين النواب ثمانية منهم من اعضائه ويعين الوالي اثنين . ويكون النائب ممثلا لعشرين ألفا في طرابلس ولاربعة آلاف من أفراد

القبائل ببرقة . ولمجلس النواب أن ينظر في قضايا الضرائب وبضع القواعد المرشدة في الخدمات العامة .

٢٧-٢٨ تقسيم البلاد الى متصرفيات وأقضية ونواح وايجاد مجلس أعيان في كل وحدة ادارية ينتخب أعضاؤه لثلاثة أعوام .

٢٩-٣٠ الاحوال الشخصية حسب الشريعة الاسلامية .

(٣١-٣٣ برقة)

ولكن ايطاليا بدأت تماطل في تنفيذ الدستور . وبالرغم من اعلان حل الجمهورية الطرابلسية في آخر آب وصدور مرسوم بتعيين الاعضاء الثمانية العرب في مجلس الحكومة في الرابع من ايلول فان هذا المجلس لم يباشر عمله . بل بادرت ايطاليا الى اعفاء الحاكم الايطالي غاريوني في آب بعد أن قضى في طرابلس سنة واحدة (خلفا لاميليو) كما أعفت الجنرال تارديتي في أيلول . وجاء طرابلس حاكم جديد هو منتزنجر كان همه بث الفرقة بين الزعماء العرب . ولم يكن بحاجة الى بذل جهد كبير . ونشب قتال بين رمضان السويحلي وعبد النبي بلخير في ورفلة أدى الى مقتل السويحلي في الرابع والعشرين من آب ١٩٢٠ . وهكذا انتهت حياة حافلة بدأها السويحلي في ٢٩ نيسان ١٩١٥ حينما انقلب على الايطاليين في معركة القرضابية التي نكب فيها الايطاليين . وكذلك نشب قتال بين عبد الجليل سيف النصر وقائمقام سرت استطاع بشير السعداوي ، الذي كان قد عاد من بلاد الشام ، أن يسويه ، كما استطاع أن يسوي خلافات اخرى عديدة تمهيداً لعقد مؤتمر عام للزعماء .

وانعقد المؤتمر العام في غريان في تشرين الثاني ١٩٢٠ وحضره اكثر الزعماء وتغيب سليمان الباروني . وانتخب المجتمعون احمد المريض رئيسا وعبد الرحمن عزام مستشاراً . واتخذ المجتمعون قراراً بأن الحالة في البلاد لا يمكن اصلاحها الا باقامة حكومة بزعامة رجل مسلم منتخب من الامة لا يعزل الا بحجة

شرعية واقرار مجلس النواب تكون له السلطة الدينية والمدنية والعسكرية ، وانتخب المؤتمر حكومة وطنية سماها **هيئة الاصلاح المركزية** برئاسة احمد المريض وعضوية بشير السعداوي ومحمد بن عمر وحسين بن جابر وعبد الرحمن صادق بن الحاج ومحمد مختار كعبار ومحمد فكيني والصويعي الخيتوني ، وعين عبد الرحمن عزام مستشاراً . وقرر المؤتمر ارسال وفد الى روما لمفاوضة الحكومة الايطالية وارسال وفد آخر الى السيد السنوسي لتوحيد جهاد برقة وطرابلس والتمهيد لبيعة السنوسي اميراً على جميع ليبيا .

وذهب وفد الى روما برئاسة محمد فرحات الزاوي وعضوية محمد نوري السعداوي والصادق بن الحاج وخالد القرقني وعبد السلام البوصيري . وطالب الوفد الحكومة الايطالية بتنفيذ الدستور والموافقة على انتخاب امير مسلم ولكن الحكومة الايطالية رفضت مفاوضته ، واصرت على وجوب اطلاق الاسرى الايطاليين فوراً ، واحضرت الى روما وفداً طرابلسياً ثانياً معادياً للوفد الاول كان من اعضائه حسن باشا القرماني والمفتي الشيخ ابو الاسعاد العالم . وعاد الوفد الى بلاده فاشلا في مهمته ولكنه استطاع ان يكسب عطف الاحزاب الايطالية اليسارية على قضيته .

وذهب في آخر العام وفد الى سرت لمفاوضة السنوسيين مؤلف من نوري السعداوي والشتيوي بن سالم والصويعي الخيتوني والحاج صالح بن سلطان وعمر ابو دبوس واحمد السويحلي (اخو رمضان وخليفته في زعامة مصراته) وعبد الرحمن عزام . وضم الوفد السنوسي كلا من صالح الاطيوش وخالد القيصة والشيخ نصر الاعمى والشيخ صالح السنوسي . ووقع الوفدان في ٢٢ كانون الثاني ١٩٢٢ (٢٢ جمادى الاولى ١٣٤٠) ميثاق سرت الذي ايدوا فيه قرارات مؤتمر غريان . وتألفت اتفاقية سرت من اثنتي عشر مادة نصت على توحيد الزعامة برئاسة امير منتخب وتسوية الخلافات والتضامن ضد العدو المشترك وتأليف مجلس تأسيس منتخب واعدام كل خائن مع مصادرة امواله وتبادل الممثلين .

وبادر الطرفان الى تبادل الممثلين . فذهب بشير السعداوي مندوبا لحكومة طرابلس في برقة والسيد عبد العزيز العيساوي ممثلا لبرقة لدى حكومة طرابلس . وقررت هيئة الاصلاح المركزية الطرابلسية في تموز ١٩٢٢ مبايعة السنوسي اميراً على طرابلس . ووصل اجدابية في تشرين اول (ربيع اول ١٣٤١) وفد طرابلسي يحمل كتاب البيعة للامير السنوسي . واجاب السنوسي في ٢٢ تشرين الثاني (٢٢ ربيع اول) بقبول البيعة .

واستأنف الايطاليون اعمالهم العدوانية ضد طرابلس . وسقطت غريان في ايديهم في ١٧ تشرين الثاني . وبدأت القوات الايطالية هجوماً عاما في ٢٩ كانون الثاني ١٩٢٣ فاحتلت عدداً من المراكز العربية وسقطت مصراته في ٢٦ شباط . وحاول المجاهدون تنظيم صفوفهم في نفد ولكن الايطاليين تمكنوا في نهاية العام من القضاء على كل مراكز المقاومة العربية . ولم يتلق الطرابلسيين أي مدد من الامير السنوسي الذي بايعوه والذي بادر الى مغادرة برقة الى مصر للاستشفاء في الوقت الذي بدأ فيه الايطاليون هجومهم العام .

السيد محمد ادريس السنوسي ونضال برقة

السيد محمد هو ابن السيد المهدي . ولد في جغبوب في ١٢ آذار ١٨٩٠ (٢ رجب ١٣٠٧) ونشأ في الكفرة وتوفي والده عام ١٩٠٢ وكفله ابن عمه السيد احمد الشريف ودرس على عدد من كبار شيوخ الطريقة السنوسية . واقام السيد محمد في الكفرة ابان الغزو الايطالي عام ١٩١١ الى ان استدعاه السيد احمد الى جغبوب بعد عقد صلح اوشي .

وذهب ادريس اواخر ١٩١٣ (اوائل ١٣٣٢) الى الحج بطريق مصر فرحب به خديو مصر والسلطات العثمانية . وعاد بعد اعلان الحرب الى مصر فحل ضيفاً على السلطان حسين كامل ثم غادر القاهرة الى السلوم حيث بقي برفقة

ابن عمه السيد احمد الشريف من شباط الى تشرين الثاني ١٩١٥. وبذل جهوداً كبيرة لحمل ابن عمه على عدم معاداة الانكليز. ولما فشلت جهوده ترك ابن عمه وقصد الجبل الاخضر ثم اقامه احمد الشريف نائباً في برقة وجعل مركزه اجدابية. وكان السيد احمد قد قسم باقي البلاد بين اخوانه فجعل محمد صفي الدين في منطقة طرابلس ومحمد العابد في الفزان ومحمد هلال في دفنا بينما عين محمد الرضا أخا السيد محمد ادريس اميرا على الجبل الاخضر. ولما فشل السيد احمد في حملته على مصر استلم السيد ادريس سلطاته المدنية.

واتبع السيد ادريس سياسة التفاهم مع الانجليز والايطاليين. وكان مما دفعه الى اتباع هذه السياسة المجاعة التي كانت تهدد برقة عام ١٩١٥ والتي تلاها جراد عام ١٩١٦ وطاعون عام ١٩١٧. وبدأ ادريس بمفاوضة الانجليز ولكنهم أصروا على السيد بوجوب مفاوضة الايطاليين ايضاً فقبل ادريس بذلك وبدأت المفاوضات مع الوفدين الانجليزي والايطالي في ايار وحزيران ١٩١٦ في الزويتينة على شاطىء خليج سرت. وتقدم الايطاليون بمطالبهم وهي اعتراف السيد ادريس بالسيادة الايطالية وحل قواته المسلحة وتسليم الاسلحة مقابل اعتراف ايطاليا بالطريقة السنوسية واستقلال الكفرة اداريا واعفاء الاسرة السنوسية من الرسوم الجمركية وضمان قيام المحاكم الشرعية الاسلامية بأعمالها. اما ادريس فقد طالب الايطاليين بالاعتراف به اميراً على برقة المستقلة وتخطيط الحدود وفتح الطرق. وتصلب الوفد الايطالي في موقفه ثم اصدر الحاكم الايطالي جيوفاني اميليو (تشرين الثاني ١٩١٣ - آب ١٩١٨) امراً بقطع المفاوضات.

واستؤنفت المفاوضات ثانية في عكرمة في كانون الثاني ١٩١٧. وامكن الوصول الى اتفاق حول تبادل الاسرى وفتح الطرق (في آذار) وتم عقد اتفاق في ١٦ نيسان عرف باسم «شروط تمهيدية لتهدئة خواطر البلاد» من ثلاثة عشر مادة. ونصت الاتفاقية على وقف الاعمال العدائية والسماح بحرية التجارة. وتعهدت ايطاليا بابقاء المحاكم الشرعية واعادة الزوايا واعفائها من العشور ومنح

شيوخها مرتبات واعفاء متاجر السنوسيين من الجمارك . وتعهد السنوسي بنزع السلاح واعطائه للايطاليين والسماح بارسال موفدين الى الداخل بصحبة حرس ايطالي مسلح وبعدم قيامه بما يكدر العلاقات . وكذلك اتفق السنوسي مع الانجليز على فتح طريق التجارة بين برقة ومصر .

ودخلت العلاقات السنوسية الايطالية في دور جديد بعد انتهاء الحرب. فقد اصدرت ايطاليا في اول حزيران ١٩١٩ دستوراً لبرقة على غرار طرابلس . وقام عمر منصور الكخيا، النائب العثماني السابق، بمفاوضات مع الايطاليين نائباً عن السنوسي انتهت بتوقيع اتفاقية الرجمة في ٢٥ تشرين اول ١٩٢٠ المؤلفة من مقدمة وعشرين مادة وملحقين . وبموجب هذه الاتفاقية فوضت ايطاليا السيد السنوسي بادارة واحات اوجلة وجالو والكفرة وجغبوب على أن يتخذ اجدابية مركزاً له وجعلت الامارة وراثية في نسله وخولته حق اتخاذ علم خاص ومنحته راتباً سنوياً له ولافراد عائلته وأعطته حق منح العفو وتخفيض الجزاء وجعلت مرتبته تالية لمرتبة الوالي مباشرة . وتعهدت ايطاليا بتشكيل مجلس نواب لجميع برقة يشترك به ممثلو الواحات ، وبفتح مدارس وتعيين رواتب دائمة لشيوخ قبائل الواحات واعفاء السكان من الخدمة العسكرية . واثباتا لحسن نياتها نحو السنوسي دعي الى زيارة ايطاليا في تشرين الثاني ١٩٢٠ وعاد من زيارته في كانون ١٩٢١ . وتمت هذه الزيارة في الوقت الذي زار فيه روما وفد طرابلسي تجاهلته السلطات الايطالية .

وثارت صعوبات عكرت الجو بين ايطاليا والسيد . فلم يكن من السهل على السيد تنفيذ احكام المادة السادسة من اتفاقية الرجمة القاضية بتسليم الاسلحة لان القبائل رفضت التخلي عن سلاحها. وعقد اجتماع عام في ايلول ١٩٢١ (محرم ١٣٤٠ في ايار) قرر فيه المجتمعون التمسك بسلاحهم والولاء للسنوسيين . واعرب السيد للوالي الايطالي عدم استطاعته جمع السلاح رغم رغبته بذلك ، واقترح فترة تمهيدية فوافق الوالي الايطالي في ١٨ تشرين الاول على ذلك .

واقرت الحكومة الايطالية في ١٥ تشرين اول ما يعرف باتفاق بو مريم .

وبدأت اثناء ذلك المفاوضات السنوسية الطرابلسية في كانون الاول ١٩٢١ .
وجاء بني غازي وزير المستعمرات الايطالية الذي طلب مقابلة السنوسي وطالب باخراج الوفد الطرابلسي من برقة . ووافق الامير السنوسي على هذا الطلب فاخرج الوفد الطرابلسي وتم الاجتماع بينه وبين وزير المستعمرات الايطالية في ٢٢ حزيران ١٩٢٢ وحاول الامير في هذا الاجتماع التوسط بين الايطاليين والطرابلسيين . وبايع الطرابلسيون الامير في تشرين الاول ١٩٢٢ ، اي في الشهر الذي قام فيه زعيم الفاشست موسوليني بانقلابه ليصبح رئيساً للوزراء . وتغير موقف السلطات الايطالية من السنوسي وبدؤوا يخفونه . وعندما شعر الامير بالخطر غادر اجدابية في ٢١ كانون الاول (اي بعد قبوله البيعة بشهر واحد) فوصل جالو في اول ١٩٢٣ ثم قصد جغبوب فسيوه التي وصلها في ١٨ كانون الثاني ١٩٢٣ ودخل الاراضي المصرية فبلغ القاهرة في ٢٧ كانون الثاني .

وكان الايطاليون قد بدأوا نشاطهم العسكري في برقة . فقد هاجمت قوة ايطالية الابيار ودخلت بيت رئيس مجلس النواب السيد صفي الدين واعتقلت احد الاشخاص . فقدم صفي الدين استقالته احتجاجاً وغادر الابيار في اواخر تشرين الاول ١٩٢٢ . وارسل موسوليني والياً جديداً اسمه بونجيوفاني وامره باستعمال الشدة . وهذا ما دعا السنوسي الى مغادرة البلاد بعد ان عين الشيخ عمر المختار قائداً عاماً ومحمد الرضا السنوسي (اخا الامير) نائباً دينياً مركزه جالو ، واوفد السيد صفي الدين للاشراف على المقاومة في طرابلس . اما صفي الدين فقد انتهى عمله بانهيار المقاومة العربية في طرابلس فارتحل الى جغبوب ووصلها في ايلول ١٩٢٣ (صفر ١٣٤٢) .

قام الايطاليون بنشاط عسكري ناجح اوائل عام ١٩٢٣ في برقة . وعندما اجتمع مجلس نواب برقة في السادس من اذار اعلن بونجيوفاني الانتهاء من حل الادوار السنوسية (المعسكرات) في الابيار وعكرمة وتكنس وسلطنة

والمحيلي . وفي ٢١ نيسان احتلت القوات الايطالية العاصمة السنوسية اجدابية واعلن الوالي الايطالي بعد ثلاثة ايام الغاء جميع الاتفاقات المعقودة بين ايطاليا والسنوسي وان السنوسية اصبحت مجرد طريقة دينية . واكد الوالي هذا الامر في اول ايار وابلغه وزير ايطاليا المفوض في القاهرة للسنوسي في الثالث من الشهر نفسه .

وبرز في ميدان الجهاد السيد عمر المختار (١٢٧٩/١٨٦٢–١٣٥٠/١٩٣١). وبرزت مواهب عمر المختار منذ عام ١٣١٥/١٨٩٧ عندما عينه السيد المهدي شيخاً لزاوية القصور في الجبل الاخضر فاظهر مقدرة في تهدئة قبيلة العبيد المشاكسة. واشترك عمر المختار بنصيب وافر في النضال ضد الافرنسيين الى ان اعيد ثانية شيخاً على زاوية القصور عام ١٩٢٠ ومن هناك اشترك بالجهاد ضد الايطاليين. وبعد ان توترت العلاقات بين السنوسي والايطاليين وغادر الامير البلاد الى مصر اول عام ١٩٢٣ عهد بأمور الدفاع للسيد المختار . وذهب عمر الى القاهرة في منتصف عام ١٩٢٣ ولما عاد وجد ان القتال قد نشب على نطاق واسع بين المجاهدين والايطاليين وان المجاهدين قد اوقعوا بالقوات الايطالية هزائم كبيرة في تموز .

واستمر نضال اهل برقة بزعامة عمر المختار ثمانية سنوات . وانقطعت الامدادات عن المجاهدين لاسيما بعد ان تنازلت مصر عن واحة جغبوب لايطاليا في ٢ كانون اول ١٩٢٥ فدخلتها القوات الايطالية في الثامن من شهر شباط ١٩٢٦ . وتقدم الايطاليون في الداخل فاحتلوا العقيلة في ٢٩ ايلول ١٩٢٧ وهاجموا فزان فاحتلوا مرزوق في ٢٧ كانون الثاني ١٩٣٠ وغات في ٢٥ شباط فأتموا بذلك اخضاع فزان وجميع القسم الغربي من ليبيا . ثم شرعوا بالزحف على واحات القسم الشرقي فاحتلوا اوجلة في ٢٣ تشرين الثاني ١٩٢٧ وجالو بعد يومين والكفرة في التاسع عشر من كانون الثاني ١٩٣١ . فتم لهم بذلك عزل عمر المختار في الجبل الاخضر . وشرع الايطاليون بمفاوضة محمد الرضا وعمر المختار .

أما الرضا فقد استسلم في السابع من كانون الثاني ١٩٢٨ . واستمرت المفاوضات مع عمر المختار من آذار الى تشرين الاول ١٩٢٩ حينما اعلن المختار استئناف الجهاد . ولكن مصير النضال العسكري كان قد تقرر بعد ان تمكن المارشال بادوليو (الذي عين حاكماً عاماً في كانون الثاني ١٩٢٩) والجنرال غرازياني من عزل الجبل الاخضر . وسقط عمر المختار اسيراً في ١١ ايلول ١٩٣١ (الجمعة ٢٨ ربيع اول ١٣٥٠) واعدم في ١٦ ايلول .

وعاشت ليبيا مأساة محزنة في ظل الايطاليين حتى ١٩٤٣ . فقد اتبع الايطاليون في البلاد سياسة ابادة وافناء واجلاء وافقار . وقد قدر عدد قتلى الليبيين خلال العشر سنوات الاولى من الاحتلال (١٩١١ - ١٩٢١) قرابة سبعين الف قتيل . واستولت ايطاليا على مساحات واسعة من الارض اسكنت عليها مهاجرين من ايطاليا . فقد وضعت يدها حتى عام ١٩٣١ على ١٢٠ الف فدان في برقة لم تدفع ثمن اكثر من ثلثها ، وتضاعفت هذه المساحات بعد عامين . وعومل السكان معاملة سيئة فحرم عليهم الكثير . والقي الناس من الطائرات وهتكت الاعراض وديست المصاحف وسيق العمال والمجندون للخدمة مع الجيش في الحبشة والصحراء الغربية . وأعلنت ايطاليا في ٩ كانون الثاني ١٩٣٩ ضم طرابلس وبرقة الى ايطاليا كجزء من اراضيها وتطبيق نظام التمييز العنصري (ابارثيد Apartheid) واجبار القبائل على الاستقرار ومنح السكان الجنسية الايطالية .

وحاول الليبيون المهاجرون اثارة الرأي العام لنصرة قضية بلادهم . فأسس بشير السعداوي في دمشق جمعية الدفاع الليبي (الطرابلسي البرقاوي) عام ١٩٢٨ ، وضمت كامل عياد وعبد الغني الباجقني وبكري قدورة واعلنت هذه الجمعية مطالبها عام ١٩٢٩ وهي :

١ - تأسيس حكومة وطنية ذات سيادة قومية على رأسها زعيم مسلم تختاره الأمة .

٢ - تشكيل جمعية تأسيسية لوضع دستور للبلاد .

٣ - انتخاب مجلس نواب .

٤ – جعل العربية لغة رسمية .
٥ – المحافظة على شعائر الدين الاسلامي .
٦ – العنايه بالاوقاف بادارة اسلامية .
٧ – اصدار عفو عام .
٩ – عقد معاهدة مع ايطاليا يقرها البرلمان .

وفتحت الجمعية فرعا لها في تونس عام ١٩٣٠ برئاسة محمد عريقب الزايطني. ودخل رئيسها السعداوي عام ١٩٣٦ في خدمة الملك السعودي. واسست جمعية في مصر بزعامة احمد السويحلي وقامت بنشاط محمود وفتحت عام ١٩٤٣ نادي طرابلس الغرب الثقافي . ولم يقم السنوسي حتى عام ١٩٢٩ بنشاط هام .

وشكلت الجاليات الليبية التي تقطن مختلف ارجاء العالم الاسلامي لجنة للدفاع عن حقوق بلدها بزعامة بشير السعداوي . واتخذت هذه اللجنة ميثاقا وطنيا لها قدمته الى المؤتمر الاسلامي الذي انعقد في القدس عام ١٩٣١ . وطالبت اللجنة المسلمين في اقطار الارض تقديم المساعدة لاخوانهم المنكوبين في ليبيا . وجاء في الميثاق ما يلي :

١ – تأليف جمعية تأسيسية لسن دستور البلاد .
٢ – انتخاب الامة مجلسا حائزا على الصلاحية التي يخولها اياها الدستور .
٣ – اعتبار اللغة العربية اللغة الرسمية في دواوين الحكومة والتعليم .
٤ – المحافظة على شعائر الدين الاسلامي وتقاليد القطر في جميع ارجائه .
٥ – العناية بالاوقاف وادارتها من قبل لجنة اسلامية .
٦ – العفو العام عن جميع المشتغلين بالسياسة داخل القطر وخارجه .
٧ – تحسين العلاقات بين الامة الطرابلسية البرقاوية والدولة الايطالية بمعاهدة يعقدها الطرفان ويصدقها المجلس النيابي .
٨ – تأليف حكومة وطنية ذات سيادة قومية يرأسها زعيم مسلم تختاره الأمة .

واعلنت الحرب العالمية الثانية فدفع الانجليز الامير السنوسي للعمل . وعقد اجتماع في بيت السنوسي في الاسكندرية في ١٩ تشرين اول ١٩٣٩ وحضر

المؤتمر عن طرابلس احمد السويحلي واحمد المريض وعون سوف وتوفيق الغرياني ومحمد العيساوي. ومثل برقة عبد السلام الكزة وعبد الحميد العباد. وتم الاتفاق بعد اربعة ايام على تشكيل لجنة برئاسة الامير وعضوية السويحلي والمريض وغيرهم وجددت بيعة الامير على ليبيا.

ودخلت ايطاليا الحرب ضد بريطانيا فازدادت حاجة الانجليز لعون الليبيين ووسطوا احمد الباسل لحمل الليبيين على تقديم مساعدتهم. ورفض الانجليز ان يمنحوا اهل طرابلس اية وعود واكتفوا بعرض اجر زهيد على من يتطوع للحرب في صفوفهم، فرفض الطرابلسيون العرض بواسطة حمد الباسل ولكن السنوسي قبل وعهد الى السيد صفي الدين السنوسي بتجنيد المتطوعين. وافتتح في ١٢ آب مكتب تجنيد سنوسي استطاع ان يجند ١٤٠٠٠ جندي و ١٢٠ ضابطا. وشكل الامير ادريس في التاسع من آب الجمعية الوطنية الليبية التي قررت اعلان بيعة السنوسي وتفويضه بدون قيد او شرط وخوض الحرب الى جانب بريطانيا. ورفض زعماء طرابلس اقرار هذا الاعلان. وعاد الاهتمام بالبلاد العربية لقضية ليبيا.

وتمكن الانجليز في ٢٩ كانون الثاني من احتلال طبرق وشكلوا حكومة عسكرية في برقة عاصمتها بنغازي. ولكن الحكم الايطالي عاد في نيسان وخرج الانجليز ليعودوا ثانية في كانون الاول. وساهم المتطوعون الليبيون بزعامة السنوسي مساهمة فعالة. واعترف وزير الخارجية البريطانية في الثامن من كانون الثاني ١٩٤٢ بمساعدة الليبيين القيمة واعلن ان بريطانيا ومتى انتهت الحرب لن تسمح بوقوع السنوسيين في برقة تحت النير الايطالي مرة اخرى بأي حال من الاحوال، ولكن بعد ايام كان رومل يلاحق القوات الانجليزية فاخرجها من ليبيا ولحق بها الى العلمين.

وقلبت معركة العلمين الاوضاع بصورة نهائية. وحاربت القوات السنوسية مع الانجليز رافعة العلم السنوسي (ارض سوداء وهلال ونجمة بيض). ودخلت القوات البريطانية طرابلس في ٢٣ كانون الثاني ١٩٤٣ وتم لهم في السابع

من شباط تطهير ليبيا من القوات الايطالية . ورفض السنوسي ان يعود الى برقة على اساس غامض كما رفض الانجليز الاعتراف بامارته فبقي في مصر .

بقيت ليبيا في عرف القانون الدولي بلاد عدو يحتلها الانجليز ويديرونها ادارة عسكرية اكثر من سبع سنوات . واستقل الافرنسيون بحكم فزان فقسموها الى ثلاثة اقسام: غات وفزان وغدامس. اما غدامس فقد اتبعوها الى تونس والحقوا الباقي اداريا بالجزائر واحلوا الفرنك الجزائري محل الليرة الايطالية واعادوا منصب المتصرف التركي وعينوا احمد بك سيف النصر متصرفا على فزان. ووعد ديغول السكان ، وعددهم ٤٠٠٠٠ ، بأن يجدوا « الأمن والنظام في ظل فرنسا » . اما الانجليز فقد فصلوا برقة عن طرابلس فصلا يكاد يكون تاما وفرقوا بينهما في المعاملة. فقد اباحوا التعامل بالجنيه المصري في برقة ورفعوا القيود عن التجارة والرقابة عن المطبوعات واباحوا للسكان السفر ووظفوا الاهالي . ولم يفرضوا ضرائب مباشرة في برقة حتى عام ١٩٤٦ حينما فرضوا ضريبة الارباح . واختلفت سياسة الادارة البريطانية في طرابلس حيث استمرت الاحكام العسكرية شديدة واعتمدوا على الايطاليين وادخلوا الليرة العسكرية. وجعل الانجليز بنك باركليس بنكاً رسمياً في برقة وطرابلس. وقدموا مساعدات مالية لخزينة القطرين بلغت حتى ٣٠ حزيران ١٩٤٧ ثلاثة أرباع المليون لطرابلس وقرابة مليون وثلث لبرقة .

ولم يتقبل الليبيون هذا الوضع الشاذ بالرضا ، ولكن النضال في طرابلس اختلف عن نضال برقة . وتمسك أهل برقة بزعامة السنوسي الذي رأى ان أمارته أهم من الوحدة وكانت له آراء قديمة في الحكم . وتأسس في بني غازي في نيسان ١٩٤٣ نادي عمر المختار الذي دعا الى تأسيس دولة ليبية مستقلة ديموقراطية متحدة بأمارة السنوسي ، واصدر مجلة عمر المختار وجريدة الوطن . وأكد النادي على الديموقراطية للحد من طغيان السنوسي . واضطهد النادي وعطلت صحفه وغير اسمه فأصبح الجمعية الوطنية عام ١٩٤٧ . ولما جاء السنوسي الى برقة للاستقرار فيها ومنحته الحكومة البريطانية سلطات أمير بادر الى حل جميع الهيئات

والاحزاب في كانون الأول ١٩٤٧ وشكل في ١٨ كانون الثاني ١٩٤٨ المؤتمر الوطني البرقاوي العام وجعله الهيئة السياسية الوحيدة في البلاد . وعين الأمير اعضاء المؤتمر (كانوا ٦٧ ثم جعلهم ٧١) ، فكان رئيس المؤتمر ووكيله الاول من اقارب الأمير والوكيل الثاني سنوسيا واكثر اعضاء المؤتمر من الذين شغلوا وظائف هامة في خدمة الأتراك والايطاليين والانجليز . وتمسك المؤتمر بأمرين : ملكية السنوسي وعدم عودة الادارة الايطالية ، واعتبر الوحدة الليبية أمراً ثانوياً بالنسبة لملكية ادريس . لذا فإنها طالبت لجنة التحقيق الرباعية التي أرسلها وزراء خارجية الدول الكبرى عام ١٩٤٧ باستقلال برقة تحت التاج السنوسي الوراثي. واوضح السنوسي بأنه يفضل الاستقلال والتحالف مع بريطانيا .

بدأ السنوسي يسعى للاستقلال ببرقة وأعلن استياءه من الطرابلسيين . وأرسل عمر منصور الكخيا رئيس ديوانه الى لندن أواخر ١٩٤٨ لإجراء مباحثات مع الحكومة البريطانية حول استقلال برقة فقط (الكلمة كلمته) . وعقد المؤتمر البرقاوي الوطني العام جلسة في اول حزيران ١٩٤٩ في بني غازي خطب فيها الأمير السنوسي وقال :

« اعلن ان برقة أصبحت منذ الآن دولة مستقلة واني قد توليت السلطات التنفيذية والتشريعية والقضائية : وستجرى الانتخابات ... وتألف حكومة دستورية » وأعرب عن امله بأن تعترف الدول باستقلاله وان يحقق أهالي طرابلس استقلالهم .

وأعلن في اليوم نفسه رئيس الادارة البريطانية في برقة ما يلي :

« تعترف الحكومة البريطانية بالأمير . وتوافق على رياسته لحكومة برقة ... وتوافق على تأليف حكومة في برقة تكون مسؤولة عن الشؤون الداخلية وتدعو الأمير لزيارة لندن لبحث الموضوع . »

وكان هذا العمل من السنوسي مفاجأة غير سارة للعرب . فقامت مظاهرة صاخبة في بني غازي ضده وحاولت اقتحام قصره . واحتج سكرتير جمعية عمر

المختار وأخبر السنوسي بأن إعلان استقلال برقة هو موافقة كاملة على التجزئة وطالبته بإعلان البلاد كلها دولة مستقلة تحت أمارته ، وأبدى عبد الرحمن عزام باشا امين عام الجامعة العربية أسفه لما حدث .

وسافر السنوسي الى لندن ماراً بطرابلس . ومع انه استقبل استقبالاً حاراً في طرابلس ووعد بتبني أماني البلاد ، فإنه عاد إلى الحديث عن برقة وحدها في لندن ووضع اكليلا من الزهور على قبر الجندي المجهول باسم أمير برقة . وعاد السنوسي الى برقة فأعلنت الحكومة البريطانية في ايلول ١٩٤٩ نقل السلطات الداخلية اليه . ولكن بعد شهرين اتخذت هيئة الامم المتحدة قراراً بتوحيد واستقلال ليبيا وانتهت رواية أمارة برقة المستقلة .

واتجه النضال في طرابلس نحو الوحدة والاستقلال . فأنشيء **النادي السياسي** الاول عام ١٩٤٣ في مدينة طرابلس وافتتح فروعاً له في النواحي . وازداد نفوذ النادي حتى تمكن بعد عامين من تنظيم مظاهرة كبرى أزالت اللافتات الفاشية من الشوارع . وتقدم بعض الذين سبق لهم التعاون مع الايطاليين بعرائض طالبوا فيها بوصاية بريطانية . ونشأ كرد فعل لهذه الحركة **الحزب الوطني** عام ١٩٤٥ برئاسة علي بن حسن الفقيه وعضوية مصطفى مرزان وعون سوف ومحمد ابن حسن وعبد السلام المريض وسالم بن منتصف . ونشر الحزب الوطني ميثاقه في اول شعبان ١٣٦٤ دعا فيه الى مقاومة عودة إيطالية والعمل على إلغاء القوانين الايطالية ومنع هجرة الايطاليين الى طرابلس . وبالرغم من اهداف الحزب المعتدلة فإن الادارة العسكرية البريطانية لم تعترف به إلا في الثامن من نيسان ١٩٤٦ . وضاق بعض الأعضاء ، وعلى رأسهم رئيس الحزب ، باعتدال الحزب فانشقوا وشكلوا في ٣٠ ايار ١٩٤٦ **الكتلة الوطنية الحرة** بينما أصبح مصطفى مرزان رئيساً للحزب الوطني . وارادت الادارة العسكرية إضعاف هذين الحزبين فشكلت في العاشر من ايار حزباً من المتعاونين برئاسة السيد سالم المنتصف وعضوية الشيخ محمد ابو الاسعاد مفتي طرابلس في العهد الايطالي وسمي الحزب **بالجبهة الوطنية المتحدة** .

واعضاء الجبهة ينتمون الى أسر كبيرة عرفوا بتعاونهم مع السلطات الايطالية . وانشق عن الكتلة الوطنية الحرة ثلاثة اعضاء وشكلوا في ١٦ كانون الأول حزب **الاتحاد المصري الطرابلسي** برئاسة علي رجب الذي دعى الى الاتحاد مع مصر. وشكل صادق ابن زراع وكيل الحزب الوطني **حزب الاحرار** في ١١ آذار ١٩٤٨ . كذلك ألف العمال حزباً اوائل ايلول ١٩٤٧ .

وسعت الأحزاب الطرابلسية إلى محاولة الاتجاهات الانفصالية في برقة . فحاولت الاتفاق مع السنوسي والاعتراف بامارته على ليبيا المتحدة . وقصد بني غازي في ايار ١٩٤٦ كل من محمود المنتصف وبشير السعداوي وعرضا الامارة على السنوسي واقترحا عقد مؤتمر برقاوي طرابلسي للبت في هذا الموضوع . واجتمع الوفدان في ١٨ كانون الثاني ١٩٤٧ وحضر الاجتماع عن طرابلس عبد المجيد كعبار وسالم المريض ومفتي طرابلس كما حضره عن برقة عمر باشا كيخيا . واتفق اعضاء المؤتمر على وحدة البلاد واستقلالها واعترفوا بأمارة السنوسي وقالوا بضرورة الانضمام الى الجامعة العربية . ولكن الوفد البرقاوي أصر على الاعتراف بأمارة السيد **بدون قيد ولا شرط** . فرفض وفد طرابلس كما رفض قبول فكرة تجزئة النضال كخطة عملية .

وقررت الاحزاب الطرابلسية تشكيل **هيئة تحرير ليبيا** في ١٣ آذار ١٩٤٧ . وضمت الهيئة امثال بشير السعداوي واحمد السويحلي ومحمود المنتصر ومنصور قدارة وطاهر المريض . ولعب عبد الرحمن عزام الأمين العام للجامعة العربية دوراً هاماً في العمل على تشكيل هذه الهيئة . ثم وسعت الهيئة نفسها عام ١٩٤٩ فضمت مفتي طرابلس وغيره واصبح اسمها **المؤتمر الوطني الطرابلسي** . وارسل المؤتمر وفداً الى بني غازي اجتمع مع السيد السنوسي في حزيران واتفقا على قيام وحدة فدرالية برئاسة السنوسي .

ولم يتغير موقف السنوسي بعد صدور قرار الامم المتحدة في ٢١ تشرين الثاني ١٩٤٩ باعلان استقلال ليبيا . فقد اصدر بالاتفاق مع الانجليز قانون

الانتخاب البرقاوي في الخامس من نيسان ١٩٥٠ واجرى الانتخابات في الخامس من حزيران . وتألفت جمعية وطنية برقاوية من خمسين عضو منتخب وعشرة عينهم الامير واجتمعت في الثاني عشر من حزيران . واستمر الامير في اتباع سياسته الانفصالية فاصدر قانون الجنسية البرقاوية وأسس جيشاً يدربه الانكليز ومنح الانجليز قواعد عسكرية . وعارضت الجمعية الوطنية البرقاوية هذه السياسة وأجبرت وزارة عمر الكيخيا على الاستقالة . ولكن الامير ضاق ذرعاً بالمعارضة فحل الجمعية واجرى انتخابات رضي عن نتائجها . وانتقدت الجمعية الوطنية (نادي عمر المختار سابقاً) السياسة التي اتبعها الامير . وحل السنوسي آخر ١٩٤٧ جميع الهيئات والأحزاب في برقة .

الدول الكبرى وليبيا :

شرع وزراء خارجية الدول الكبرى عام ١٩٤٥ بدراسة مستقبل ليبيا . ورغم عدم اختلافهم ، من حيث المبدأ ، على اخضاع ليبيا لنوع من الوصاية فانهم اختلفوا على التنفيذ . فقد طالب الاتحاد السوفياتي بأن تكون الوصاية له وعارضت الولايات المتحدة واقترحت ان تكون ايطالية هي الدولة الوصية . وأيدت فرنسا موقف أمريكا ولكنها اشترطت تعديل الحدود لصالح امبراطوريتها . اما بريطانيا فلم تبد اكتراثاً بمصير طرابلس ولكنها اصرت على عدم عودة ايطالية الى برقة حسب وعدها السنوسي .

واستأنف وزراء الخارجية بحث مستقبل ليبيا في نيسان ١٩٤٦ . وعاد السوفييت واقترحوا منح الوصاية على طرابلس لايطاليا . اما بريطانيا فانها أيدت في آن واحد مطالب فرنسا الاقليمية ووحدة واستقلال ليبيا . واصرت بريطانيا في مؤتمر الصلح المنعقد في باريس في شهر آب على عدم عودة الايطاليين الى برقة . وايد ملوك ورؤساء الدول العربية المجتمعين في انشاص (٢٨ — ٢٩ ايار) استقلال ليبيا وكذلك أيدته بعد شهر الحكومات العربية في مؤتمر بلودان .

وتم عقد الصلح مع ايطاليا في منتصف ايلول عام ١٩٤٧ ، وتنازلت ايطاليا

نهائياً عن ممتلكاتها . واتفقت الدول الكبرى على البت بمصير ليبيا وغيرها خلال عام حسب رغبات السكان والا احيلت القضية الى هيئة الامم المتحدة . وارسل وزراء الخارجية لجنة تحقيق الى ليبيا انتهت من عملها في العشرين من أيار ١٩٤٨. ولكن لجنة التحقيق لم تستطع اتخاذ قرار وكذلك فشل وزراء الخارجية الاربع في ايلول في الوصول الى قرار . واعاد الاتحاد السوفياتي اقتراحه باعادة ليبيا الى ايطاليا ولكن الدول الغربية رفضت واقترحت اعادة تريستا الى ايطاليا. واخيراً قرروا في منتصف الشهر احالة القضية الى الجمعية العمومية للامم المتحدة. وبحثت الجمعية مستقبل ليبيا في نيسان ١٩٤٩ ثم اجلت البحث الى الدورة الرابعة في ايلول . واقترح السوفييت استقلال ليبيا الموحدة ويكون بذلك قد غير سياسته ثلاث مرات . فقد طالب بوصاية سوفياتية ثم بوصاية ايطالية والآن يقترح الاستقلال . ولم يفته ان يحمل على سياسة بريطانيا في برقة . وأيد مندوب بريطانيا الاستقلال ولكنه لم يبد تأييداً للوحدة وأيد مصالح فرنسا في فزان. أما فرنسا فلم تعترف بوجود شيء اسمه ليبيا وعارضت بالوحدة وقالت انه من المحال تحديد موعد الاستقلال. أما أمريكا فقد أيدت فكرة الاستقلال السريع وانشاء ليبيا مستقلة موحدة في ثلاث سنوات او اربع . وأيد وحدة ليبيا واستقلالها مندوبو سوريا ومصر والعراق والهند . وأخيراً رغم معارضة الدول الاستعمارية فان الجمعية العامة وافقت في ٢١ تشرين الثاني على استقلال ليبيا بأغلبية ٤٩ صوتاً ضد لاشيء وامتناع تسع دول من بينها انجلترا وفرنسا . وجاء في القرار مايلي :

قرار الامم المتحدة في ١٩٤٩/١١/٢١

١ ـ ان ليبيا التي تشمل برقة وطرابلس وفزان ستكون دولة مستقلة وذات سيادة .

٢ ـ يسري مفعول هذا الاستقلال . في فترة لاتتجاوز اول كانون الثاني ١٩٥٢ .

٣ – يقرر دستور ليبيا بواسطة ممثلي السكان .. في شكل جمعية وطنية .

٤ – سيكون للامم المتحدة مندوب في ليبيا لمساعدة السكان في وضع دستور وتأسيس حكومة مستقلة ويساعده ويرشده مجلس .

٥ – يقدم مندوب الامم المتحدة تقريراً سنوياً وتقارير اخرى الى السكرتير العام .

٦ – يتألف المجلس من عشرة اعضاء يمثلون كلا من مصر ، فرنسا ، ايطاليا ، الباكستان ، بريطانيا ، الولايات المتحدة ، فزان ، برقة ، وطرابلس وممثل عن الاقليات .

٧ – يعين مندوب الامم المتحدة مندوبي فزان وبرقة وطرابلس والاقليات بعد التشاور مع الهيئات السياسية والشخصيات البارزة في ليبيا .

٨ – يستشير المندوب أعضاء مجلسه .

٩ – للمندوب ان يقدم للامم المتحدة اقتراحات لتنفيذها اثناء فترة الانتقال .

١٠ – تتعاون الدول القائمة بالادارة مع المندوب في الشروع بنقل الحكم الى حكومة دستورية مستقلة وتساعد على اقامة وحدة ليبيا .

١١ – تقبل ليبيا بمجرد تكوينها عضواً في الامم المتحدة طبقاً للمادة الرابعة من الميثاق .

تنفيذ قرار الامم المتحدة :

عينت الامم المتحدة مسيو ادريان بلت Adrian pelt الهولندي مندوباً لها . وعينت الدول الاعضاء في اللجنة الاستشارية ممثليها على الشكل التالي :

١ – محمد كامل عبد الرحيم	مصر
٢ – الكولونيل عبد الرحيم خان	باكستان
٣ – جورج بالاى	فرنسا
٤ – لويس كلارك	الولايات المتحدة الاميركية

٥ - سير هيو ستونهيوبيرد		بريطانيا

٦ - الباورن كنفالونيري		ايطاليا

ووصل بلت الى طرابلس في ٢١ كانون الثاني ١٩٥٠ وبدأ اتصالاته بالسكان وبالدول المعنية . وتقرر في الرابع من نيسان انتخاب الاعضاء الاربع الباقين على الشكل التالي :

١ - مصطفى مرزان رئيس الحزب للوطني عن طرابلس

٢ - علي الجربي		عن برقة

٣ - احمد سوفو السنوسي		عن فزان

٤ - السنيور ماركينو		عن الاقلية الايطالية

واجتمع المجلس لاول مرة في طرابلس في ٢٥ نيسان ١٩٥٠ ، فعقد الى ايلول ١٩٥٠ اثنتين وخمسين جلسة . وكانت الرئاسة دورية بين الاعضاء. وجعل مقره الدائم مدينة طرابلس واعتمد اللغات العربية والانجليزية والافرنسية لغات رسمية له وجعل جلساته علنية . وقرر المجلس في اولى جلساته الطلب من ادارة طرابلس السماح باصدار صحف . وجرت محاولات عديدة من السلطات البريطانية ومن المستر بلت لابعاد اللجنة الاستشارية عن التدخل في شؤون الادارة . وبعد مناقشات ومناورات طويلة ومعقدة اتفق على تشكيل مجلس وطني ليبي من ٢١ عضواً على أن يمثل كل ولاية سبعة اعضاء واتفق على ان يعين السنوسي ممثلي برقة السبعة ويعين احمد بك سيف النصر ممثلي فزان ويكون احد ممثلي طرابلس من الايطاليين . واجتمعت لجنة الواحد والعشرين في ٢٧ تموز ١٩٥٠ فانتخبت المفتي الشيخ محمد ابو الاسعاد العالم رئيساً وقررت ان تكون قراراتها بأغلبية الثلثين .

وتابعت لجنة الواحد والعشرين ابحاثها لتقرير المصير . فقررت في السابع من آب جعل عدد اعضاء الجمعية الوطنية ستين عضوا على ان يكون لكل من فزان وبرقة وطرابلس عشرين عضوا . وقررت ان يكون لكل من الامير

السنوسي والمفتي محمد ابو الاسعاد واحمد سيف النصر حق اختيار ممثلي برقة وطرابلس وفزان على ان يتم ذلك قبل ٢٦ تشرين الاول لتتمكن الجمعية من عقد اجتماعها في طرابلس في الخامس والعشرين من تشرين الثاني. واتخذت أثناء ذلك الجمعية العمومية لهيئة الامم المتحدة قراراً في السابع عشر من تشرين الثاني بدعوة جمعية وطنية تمثل سكان ليبيا تمثيلا صحيحاً الى الانعقاد قبل اول كانون الثاني ١٩٥١ لتشكل حكومة مؤقتة قبل اول نيسان وان يتم نقل السلطات الى هذه الدولة قبل اول كانون الثاني ١٩٥٢ . ولكن لجنة الستين الليبية قررت في الخامس والعشرين من تشرين الثاني دعوة السنوسي ليصبح ملكاً على ليبيا فقبل على الفور . واتخذت في الثاني من كانون الاول قراراً بإعلان استقلال ليبيا دولة ملكية ديموقراطية فدرالية وان يكون ملكها ادريس السنوسي واعتبرت نفسها انها هي وحدها صاحبة الحق في وضع دستور ليبيا .

وشكلت اول حكومة طرابلسية موقتة في الثامن من آذار ١٩٥١ برئاسة محمود المنتصر وعضوية منصور قدارة ومحمود الميت وابراهيم بن شعبان وسليم النادي . وطار الى بنغازي في السابع والعشرين رئيس جمعية الستين المفتي محمد ابو الاسعاد العالم ليبحث مع السنوسي تشكيل حكومة مركزية . واصدرت الجمعية بعد يومين قرارا بتشكيل الوزارة الاتحادية برئاسة محمود المنتصر وعضوية وزيرين طرابلسيين ووزيرين برقاويين وواحد من فزان. ووصل اعضاء الوزارة المركزية الى بنغازي في ١٣ نيسان ودعوا السنوسي لزيارة طرابلس فلبى الدعوة في ١٩ ايار . والقى السنوسي في طرابلس خطابا دافع فيه عن النظام الفدرالي. وتم وضع دستور اتحادي لليبيا واقر في السابع من تشرين الاول. واعلن استقلال ليبيا في الرابع والعشرين من كانون اول واصبحت عضوا في الجامعة العربية في آذار ١٩٥٣ وفي هيئة الامم المتحدة في كانون الاول ١٩٥٥ .

ونص الدستور الليبي الجديد على ان المملكة الليبية المتحدة مملكة وراثية فدرالية ديموقراطية دينها الاسلام . ومنح المواطنون الحقوق الاساسية التقليدية

الواردة في اكثر دساتير العالم . وجاء في الدستور ان الوزارة التي يعينها ويعزلها ملك غير مسئول ، مسئولة امام البرلمان . ويتألف هذا البرلمان من مجلسي شيوخ ونواب . اما الشيوخ ، وعددهم ٢٤ بمعدل ثمانية لكل ولاية ، فيعين الملك نصفهم ويعين الباقون من قبل المجالس التشريعية المحلية . وينتخب النواب على أساس نائب لكل ٢٠٠٠٠ ناخب على ألا يقل عدد ممثلي الولاية الواحدة عن خمسة نواب . وهكذا نالت فزان خمسة نواب وبرقة خمسة عشر وطرابلس خمسة وثلاثون . وتم انتخاب اول مجلس وطني الحادي في التاسع عشر من شباط ١٩٥٢ .

ولم يرض الطرابلسيون عن الاوضاع الجديدة . فهم يمثلون اكثر من ثلثي سكان المملكة واكثر الليبيين ثقافة ووعيا ومع ذلك تساووا في مجلس الشيوخ مع فزان واضطروا لقبول تاج السنوسي . وحدثت اضطرابات في طرابلس بعد شهرين من الاستقلال ادت الى حل الحزب الوطني واخراج بشير السعداوي من البلاد وتشتيت اتباعه . وكان المجلس التشريعي الطرابلسي (الذي انتخب في اول ايلول ١٩٥٢ (٣٠ عضو منتخب وعشرة يعينهم الملك) قد ناصب الادارة الملكية العداء فبادر الملك الى حله . ونفذ الملك في ليبيا المصير الذي كان يريده لبرقة اذ ربط ليبيا كلها بمعاهدة مع بريطانيا في ايلول ١٩٥٣ مقابل اقل من ثلاثة ملايين جنيه سنويا ، وبالولايات المتحدة لقاء مليوني دولار في العام ه ارتفعت الى ١١ مليون سنة ١٩٥٧ » .

جمهورية تونس

تونس هي اكثر اقطار شمال افريقيا ، بعد مصر ، اتصالا بقلب العالم العربي واكثر البلدان العربية اتصالا باوربا . كذلك شابه نضال تونس في مراحله المختلفة نضال مصر .

ازداد اهتمام الدول الاوروبية بتونس وكثر تدخلهم في شؤونها الداخلية في القرن التاسع عشر . فقد اجبرت الدول الاوروبية الباي محمود (١٨١٤-١٨٢٤) على تجميد نشاطه البحري وحطموا اسطول تونس في عهد خلفه الباي حسين (١٨٢٤ - ١٨٣٥) في معركة نافارينو عام ١٨٢٧ ، واحتل الافرنسيون جارتها الجزائر بعد ثلاث سنوات . وحاول الباي احمد (١٨٣٥ - ١٨٥٥) انقاذ بلاده متبعاً طريقة محمد علي في مصر واسلوب التنظيمات العثمانية ، فانشأ جيشاً على الطريقة الاوروبية والغى العبودية وقام باصلاحات مختلفة اخرى كلفته اموالا طائلة .

الثورة الدستورية : وتم في تونس في عهد محمد (١٨٥٥ - ١٨٥٩) واخيه محمد الصادق (١٨٥٩ - ١٨٨٢) ثورة دستورية ضخمة . فقد اصدر الاول في ٩ /٩/ ١٨٥٧ ما يعرف **بعهد الامان** الذي اعلن فيه مساواة جميع التونسيين امام القانون وحرية العقيدة والعمل وسمح للاجانب بامتلاك الارض والعقار . وجاء عهد الامان تطبيقا للفرمان العثماني المعروف باسم خطي شريف كلخانه الصادر في استانبول في عام ١٨٣٩ . وجاء في هذا العهد قول الباي « عزمنا على ترتيب مجالس ذات اركان للنظر بما لا يصادم ان شاء الله القواعد

الشرعية » .. مسترشداً و .. بعلماء الملة والأركان والاعيان .. » معلناً الامان لكافة رعايانا « .. على اختلاف الاديان والالسنة والالوان في الابدان المكرمة والاموال المحرمة والاعراض المحرمة .. فلا يؤخذ التجنيد الا بترتيب وقرعة ولا يبقى العسكري في الخدمة الا زمنا محدوداً » . وحوى هذا المرسوم مقدمة واحدى عشرة مادة .

واصدر الباي محمد الصادق الدستور التونسي في ١٨٦١/٤/٢٦ الذي تألف من مبادىء عامة جاءت في ١٣ بابا مقسمة الى ١١٤ فصل . ونص هذا الدستور ما يلي :

١ - **الوراثة** في الاكبر من امراء العائلة الحسينية والباي هو رئيس الدولة ويقسم عند توليه الحكم بألا يخالف عهد الامان ولا القوانين ويحفظ حدود المملكة . ولا يبايع حاكم لا يقسم اليمين وتسقط البيعة اذا حنث الحاكم بقسمه .

٢ - **السلطة التشريعية** : يمارسها الباي والمجلس الكبير الذي يتألف من ٦٠ عضوا معينا ثلثهم على الاكثر من الوزراء وكبار رجال الدولة وثلثاهم من الاعيان . ومدة العضوية ثلاث سنوات والنصاب ٤٠ عضوا . وللمجلس صلاحية تفسير القوانين ومحاسبة الوزراء وتصديق الموازنة وتحديد مصاريف الباي .

٣ - **السلطة التنفيذية** : يمارسها مجلس وزراء يعينه الباي ويكون مسؤولا أمامه .

٤ - **السلطة القضائية** مستقلة عن السلطتين التشريعية والتنفيذية وتطبق في احكامها الجزائية والمدنية التونسية .

٥ - **الادارة العامة** يحكم المقاطعات قواد بمعاونة شيوخ منتخبين .

وواجهت تونس مصاعب عديدة بسبب تراكم الديون على الدولة تماماً كما حدث في مصر والدولة العثمانية . واضطر رئيس المجلس الكبير خيرالدين باشا الى الاستقالة ١٢٧٩/١٨٦٢ وعلق الدستور عام ١٨٦٤ . وشكلت عام ١٨٦٩ لجنة دولية مالية ضمت ممثلين عن تونس وفرنسا ومالطة وايطاليا

برئاسة ممثل تونس خير الدين . ولكن خير الدين لم يستطع الاستمرار في عمله فاستقال عام ١٨٧٧ وقصد استانبول (حيث عينه السلطان عبد الحميد صدرا اعظم في ٤/١٢/ ١٨٧٨) تاركا تونس تتخبط في مشاكلها السياسية والمالية. وازداد عزم فرنسا اذ ذاك على احتلالها .

المقدمات السياسية للحماية الافرنسية على تونس

ما ان قررت فرنسا الاحتفاظ بالجزائر حتى بدأت تهتم بمصير جاراتها تونس ومراكش . وتنازع السياسة الفرنسية عاملان هما الرغبة في منع قيام نظام في تونس يهدد الجزائر وكرهها لقيام حدود سياسية مشتركة مع الدول العثمانية التي كانت تحكم طرابلس ، لذا عمدت السياسة الافرنسية الى حماية استقلال تونس ومنع أي تدخل عثماني في شؤونها .

صممت فرنسا على ألا تسمح للباب العالي باسترجاع نفوذه في تونس وألا تعترف له بأي حقوق فيها. فكانت ترسل اسطولها للمياه التونسية لمنع العثمانيين من التدخل واحيانا تهدد بلغة دبلوماسية عنيفة . وادعى الباب العالي ان تونس ولاية تابعة له تسك فيها النقود باسم السلطان وتلقى الخطب في الجوامع باسمه وتقدم مساعدة عسكرية للباب العالي كلما اشترك في الحرب . كما ان المعاهدة العثمانية الفرنسية المؤرخة ١٠٨٤/١٦٦٨ ذكرت تونس ضمن ولايات الدولة العثمانية . واستندت الدولة العثمانية الى عدة حوادث اظهر فيها الباي ولاءه للسلطان كتقديمه معونة عسكرية في حرب القرم واصدار فرمانات بتعيين الولاة الذين تعاقبوا على الحكم . اما فرنسا فقد استندت الى عدة حالات تثبت استقلال بايات تونس عن السلطان. فقد ارسلت الدول انذاراً الى باي تونس بازالة القرصنة في ٢٧ ايلول ١٨١٨ سلم الى الباي مباشرة ، كما ابرم الباي معاهدة مع ملوك سردينيا وصقلية عام ١٨٢٣ كذلك سلمت حكومة الباب العالي بتاريخ ٢٤ كانون ١٨٦٤ بضرورة ابقاء الحالة على ما هي عليه في تونس . ولم تعترف فرنسا بفرمان

٢٥ تشرين الثاني ١٨٧١ الصادر لباي تونس وسارعت الى اعتباره « لاغياً وليست له قيمة قانونية » .

وعملت فرنسا على دعم استقلال البايات عن الباب العالي ودعم نفوذها في تونس . فاستقبلت الباي احمد باشا استقبال الملوك وتبادلت واياه النياشين . وازداد النفوذ الافرنسي في تونس حتى ان الباي عرض دستوره على امبراطور فرنسا الموافقة عليه قبل اصداره . وشكا قناصل انجلترا دوما من ان نفوذ القنصل الافرنسي كان اكبر بكثير من نفوذهم . وارسلت فرنسا الى تونس عام ١٨٧٤ قنصلا قديرا اسمه وستان ليصلح ما فسد اثر نكبة فرنسا على يد الالمان عام ١٨٧٠ فنجح نجاحاً كبيرا .

وتدخل المستشار الالماني بسمارك في قضية تونس مشجعاً فرنسا على الانصراف الى افريقيا . فايد مطالب فرنسا في تونس وحمل انجلترا على تأييدها عام ١٨٧٨ . وصرح اوائل عام ١٨٧٩ للسفير الافرنسي « ان الكمثرى التونسية قد نضجت وقد حان وقت قطافها وان عناد الباي وعدم المجاملة هو العامل الاساسي في نضج المسألة . وستفسد هذه الفاكهة او تسرق اذا تركتموها على الشجر مدة طويلة » . وحمل بسمارك على مشاكسات الباي « ذاك الحاكم الصغير المتبربر » . واتصل بسمارك بانجلترا لاعادة الصفاء بينها وبين فرنسا وحملها على نقل قنصلها في تونس الذي كان يقاوم اطماع الافرنسيين .

وبدأت انجلترا بتأييد اطماع فرنسا في تونس . فقد اعلن وزير خارجية بريطانيا قبيل انعقاد مؤتمر برلين عام ١٨٧٨ ان تونس « امتداد لمنطقة النفوذ الافرنسي » واقر مبدأ ترك حرية التصرف لفرنسا فيها مقابل موافقة فرنسا على الاحتلال البريطاني لجزيرة قبرص . وتردد الوزير البريطاني في ابداء موافقته كتابياً ثم عاد فأعلن بصورة سرية ان « افعلوا في تونس ما ترونه ملائماً .. فمن المستحيل بقاء النظام الحالي في تونس .. وعلى فرنسا .. ان تقوم باصلاح هذه البلاد .. » .

وحذرت بريطانيا في السابع من آب بأن على فرنسا أن تعتمد على نفسها في

حالة اعتراض ايطاليا ولكن اظهرت في الوقت نفسه سرورها العظيم بنجاح التجربة التي قامت بها فرنسا في الجزائر والرسالة « الحضارية العظيمة التي تقوم بها .. » واقرت اعطاء فرنسا نفوذاً عظيما في تونس لأن « انجلترا ليست لها مصالح خاصة في البلاد » .

وبدأت فرنسا محاولتها للحصول على موافقة ايطاليا على مشاريع فرنسا في تونس . وحاولت ان تطمئن ايطاليا فأخبرتها بانها ستعترف مقابل ذلك بحق ايطاليا في الاستيلاء على بلاد أخرى وحذرتها في الوقت نفسه وانذرتها بانها على استعداد لدفع اي اعتداء ايطالي على تونس بالقوة . ولكن ايطاليا قاومت النفوذ الافرنسي بشدة في تونس وارسلت ممثلا بارعا الى تونس لاقناع الباي بقبول الحماية الايطالية أو بالتنازل عن بنزرت أو باعلان بنزرت ميناءا حرا ولكن الباي رفض كل ذلك . وارسلت ايطاليا في ايلول ١٨٧٨ قنصلا قديراً اصحبته بظاهرة عسكرية للتأثير على الباي . وتمكن هذا القنصل من حمل الباي على رفض مشروع حلف دفاعي عرضته عليه فرنسا في صيف عام ١٨٧٩ . وبدأت ايطاليا حملة دعاية قوية ضد فرنسا في شمال افريقيا .

ودب الذعر في تونس اثر انتشار هذه الاخبار والشائعات . فروت جريدة ان انجلترا اهدت تونس الى فرنسا فلجأ الباي الى القناصل مستفسراً فحاول القنصل البريطاني أن يؤكد للباي حرص بلاده على صيانة استقلال تونس . وشجع قنصلا ايطاليا وبريطانيا الباي على الوقوف في وجه مطامع فرنسا مدعيين ان فرنسا تريد ارهابه ولكن حالتها الداخلية لا تسمح لها بالقيام بمغامرات . إلا أن الحكومة البريطانية لم تؤيد سياسة قنصلها فأنهت خدماته بعد عام ارضاء لفرنسا .

وبدا لفرنسا أن الاسراع بالعمل هو اضمن طريقة قبل ازدياد المصاعب . فايطاليا تحاول مساعدة انجلترا في البحر المتوسط والسلطان عبد الحميد يخلق متاعب وفكرة الجامعة الاسلامية تنتشر بسرعة وتهدد مصالح فرنسا حتى في الجزائر . ووصلت قوة فرنسية في ايار ١٨٨١ الى قرب العاصمة التونسية ومنح الباي

مهلة اربع ساعات للتفكير فوقع مضطراً على معاهدة باردو في ١٢ ايار ١٨٨١.

ولكن قامت ثورة في جنوب تونس ضد الوضع الجديد اخمدها الافرنسيون بسهولة وفرضوا معاهدة المرسي في ١٨٨٣/٦/٨. وقد منحت فرنسا في المعاهدة الاولى حق الاشراف على الشؤون العسكرية والخارجية والمالية وحق تعيين وزير افرنسي مقيم في تونس يكون حلقة الوصل بين تونس وفرنسا. اما المعاهدة الثانية فقد تعهد الباي بموجبها بقبول الاصلاحات الادارية والقضائية والمالية التي تراها الحكومة الفرنسية ضرورية.. واحتجت الدولة العثمانية على اعتداء فرنسا على ولاية عثمانية الا أنها لم تستطع عمل شيء لاسيما وان انجلترا كانت في الوقت نفسه تعتدي على مصر وتثبت حكمها في قبرص. ولكن بينما اعترفت انجلترا باستمرار السيادة العثمانية الاسمية على كل من مصر وقبرص لم تعترف فرنسا للسلطان باي سلطة في تونس. واخيراً تنازل الاتراك عن تونس في معاهدة لوزان ١٩٢٤.

اما ايطاليا فانها غضبت لان فرنسا سبقتها الى تونس ولكنها اعترفت اخيرا بالحماية الافرنسية على تونس سنة ١٨٩٦ مقابل الامتيازات التالية:

١ – تتمتع ايطاليا بالامتيازات التي منحها اياها الباي سنة ١٨٦٨.

٢ – يحق للايطاليين الاحتفاظ بالجنسية الايطالية.

٣ – تضمن المساواة بين الافرنسيين والايطاليين في الحقوق في تونس لاسيما حق ممارسة المهن الحرة وتشكيل الجمعيات والمدارس.

٤ – للايطاليين الحق بالهجرة الى تونس بنفس الشروط التي تطبق على هجرة الفرنسيين. والطريف ان مجلس النواب الافرنسي رفض في ٢٠ تشرين الاول ١٨٨٢ تصديق معاهدة باردو.

تونس تحت الحماية الافرنسية ١٨٨١ – ١٩٥٦

لم يرد في معاهدة باردو ذكر الحماية بل نصت مادتها الثانية على ان الاحتلال العسكري اجراء موقت. إلا أن الوزير المقيم الذي ورد ذكره

في المادة الخامسة اصبح بنيابة وزير خارجية تونس بموجب مرسوم الباي (أمر علي) الصادر في ١٨٨١/٦/٩ وتخلي الباي عن سيادته في الشؤون الخارجية لفرنسا. وشرعت فرنسا بانتزاع سلطات الباي وحكومته وتركيزها في ايدي المقيم. فقد صدر مرسوم جمهوري افرنسي في ١٨٨٢/٩/٢٢ ربطت بموجبه المصالح الافرنسية في تونس بالمقيم والحقتها بفروع وزارات الجمهورية. كذلك فرض على رأس الادارة التونسية موظف افرنسي دعي بالسكرتير العام للحكومة التونسية (مرسوم ١٨٨٣/٣/٤) يعينه الباي بتنسيب من المقيم. ومنح سكرتير العام الصلاحيات التالية:

١ – ادارة شؤون الموظفين في الادارة المركزية والاشراف على محفوظات وسجلات الدولة.

٢ – عرض القضايا على الوزير الاول ثم توجيهها الى المراجع المختصة.

وزيدت صلاحياته فعهد اليه الاشراف على البوليس (١٨٩٧/٤/١٧) والاسعاف والسجون (١٩٠٨/١٢/٣١). واستمرت صلاحيات السكرتير العام بالازدياد الى أن نشب الخلاف بين السكرتير العام والمقيم فالغي المنصب في ١٩٣٢/٧/١٤ واحدث منصبا المدير العام للداخلية والمدير العام للعدل. واعيد انشاء المنصب في ١٠ تشرين الاول ١٩٣٣ وزيدت صلاحياته بحيث عهد اليه تنسيق كافة الاعمال في الادارة التونسية. وفي ايار سنة ١٩٤٣ اصدر الجنرال جيرو مرسوماً عين بموجبه السكرتير العام وبذلك انتزع من الباي سلطة تعيين السكرتير العام.

وبقي الباي، في ظل الحماية، صاحب السيادة في تونس يمارسها بواسطة وزرائه ومجلس شوري. وتمتع المقيم الفرنسي بموجب المعاهدة بحق تقديم النصائح للباي لتنفيذ الاصلاحات الضرورية كما غدا وزيراً لخارجية تونس وحلقة الوصل بين الباي والعالم الخارجي. وتمتع المقيم بموجب المرسوم الجمهوري الافرنسي الصادر في ١٠ تشرين ثاني ١٨٨٤ بسلطات تشريعية وتنفيذية واسعة، واعتبرت اوامر الباي غير نافذة اذا لم يصادق عليها المقيم.

الحكومة التونسية — السلطة الفرنسية

الباي — المقيم العام

ثلاثة وزراء — ٤ وزراء و٥ اداوات عامة

المجلس الكبير ١٩٢٢ – ١٩٥١ (مجلس الشورى ١٨٩٠ – ١٩٢٢)

قسمان : افرنسي من ٤٤ عضواً
تونسي من ١٨ تونسياً } يناقش بعض فصول الموازنة

خمسة مجالس اقليمية

(كل مجلس من قسمين : افرنسي يضم ١١ وتونسي من ١٠)

مجالس استشارية

مجالس القيادات — انتخابية استشارية تونسية العضوية .

وقد اسس **مجلس الشورى** سنة ١٨٩٠ ليحل محل **المجلس الكبير** (الذي حل عام ١٨٦٤) وينظر في شؤون الموازنة . وعين المقيم العام اعضاء هذا المجلس من بين اصحاب الشركات التجارية والمزارعين واعضاء المجالس البلدية . وعين المقيم العام في شباط ١٩٠٧ عدداً من التونسيين اعضاء في هذا المجلس بحيث اصبح عدد التونسيين في المجلس ثمانية عشر عضواً ، ومنح الافرنسيين حق انتخاب ممثليهم البالغ عددهم ست وثلاثين عضواً . وانقسم المجلس عام ١٩١٠ الى قسمين واحد افرنسي والآخر تونسي يجتمع كل منها وحده . والغي **مجلس الشورى** في ١٣

تموز ١٩٢٢ وشكل مجلس جديد دعي بالمجلس الكبير . وانقسم هذا المجلس بدوره الى قسمين : افرنسي وتونسي . وضم القسم الافرنسي ٤٤ عضواً تنتخب منهم الفرق التجارية والزراعية ٢١ وينتخب الباقون من قبل الجالية الافرنسية ، بينما ضم القسم التونسي ١٨ عضواً معيناً . وطرأت تغييرات على المجلس . فقد زيد عدد الاعضاء بموجب الامر العلي الصادر في ١٩٢٨/٣/٢٨ فأصبح عدد الافرنسيين ٥٢ وعدد التونسيين ٣٦ . وزيد عددالاعضاء ثانية عام ١٩٣٤ الى ٥٦ افرنسي و٤١ تونسي ، وتساوى الفريقان عام ١٩٤٥ . وتوترت العلاقات بين التونسيين والافرنسيين في المجلس فقدم الافرنسيون استقالاتهم عام ١٩٥٠ احتجاجاً على تساهل الحكومة الفرنسية نحو المطالب الوطنيةالتونسية . وتوقفت اعمال المجلس الكبير آخر ١٩٥١ .

واحدثت الادارة الفرنسية تغييرات في الوزرات التونسية . ولم يبق بعد الاحتلال والحماية من الوزرات القديمة غير منصبي الوزير الاكبر ووزير القلم والاستشارة. وقام المقيم العام بعد ١٨٨١/٦/٩ باعمال وزير الخارجية وكما قام قائد القوات الافرنسية بمهام وزير الحربية . واصبح لمجلس الوزراء بعد ١٨٨٣/٣/٤ سكرتير عام افرنسي يعينه الباي وينسبه المقيم ، ولكن بعد ايار ١٩٤٣ سلبت فرنسا من الباي حق تعيينه اذ عين بمرسوم افرنسي . وبعد ان اشتد التونسيون بالمطالبة بفصل السلطات وجعلوه مطلباً قومياً ووطنياً رئيسياً تساهل الافرنسيون وحققوا للتونسيين هذا المطلب فاحدثوا عام ١٩٢١ وزارة عدل تونسية . واغتنم الباي عام ١٩٤٢ فرصة ضعف فرنسا فشكل وزارة وطنية برئاسة محمد شنيق ضمت كلا من الدكتور الماطري رئيس الحزب الدستوري الجديد والصالح فرحات عضو اللجنة التنفيذية للحزب الحر الدستوري الا ان الوزارة لم تعمر طويلا وسقطت في ايار اثر دخول قواد الحلفاء الى تونس وبدأ عهد ازدياد النفوذ الافرنسي واضطهاد الوطنيين . ولكن فرنسا عادت فوافقت عام ١٩٤٥ على انشاء وزارة للشؤون الاجتماعية ، وشكلت بعد

عام وزارة مختلطة من ستة تونسيين وسبعة افرنسيين والغيت صلاحيات السكرتير العام الواسعة. وازداد الوزراء التونسيون جرأة فأقدم رئيس الوزراء محمد شنيق على توقيع شكوى الى مجلس الامن قدمها لهيئة الامم المتحدة الوزيران صالح بن يوسف ومحمد بدرة. وعرضت فرنسا كترضية للتونسيين زيادة عدد الوزراء التونسيين والغاء المستشارين الافرنسيين للوزراء التونسيين وجعل قرارات مجلس الوزراء نافذة. وما جاء عام ١٩٥٤ حتى كانت الوزارة التونسية قد اصبحت مؤلفة كلياً من تونسيين.

تطور النضال في تونس

تطور النضال في تونس تطوره في مصر. فقد كان كلاهما ولاية عثمانية مستقلة احتلها المستعمر الغربي في وقت واحد. ولكن بقيت مصر، رغم الاحتلال، ولاية عثمانية الى ان اعلن الانجليز الحماية عليها عام ١٩١٤، اما تونس فقد سارع الافرنسيون الى فرض حمايتهم عليها فور احتلالهم اراضيها ولم يعترفوا بصفتها العثمانية. وحمل الافرنسيون الباي على توقيع معاهدة باردو (قصر السعيد) في ١٨٨١/٥/١٢ وضع الباي نفسه بموجبها تحت حماية فرنسا التي ضمنت ذاته وعائلته وامن مملكته كما ضمنت تنفيذ المعاهدات التي عقدها مع الدول الاوروبية وتعهدت بحماية رعايا تونس في الخارج مقابل تعهد الباي بعدم عقد اتفاقيات دولية بدون موافقة فرنسا. كذلك فرضت فرنسا على الباي الجديد معاهدة المرسي في ١٨٨٣/٦/٩ تعهد بموجبها بادخال الاصلاحات الادارية والعدلية والمالية التي ترى فرنسا فائدة في ادخالها. وبذلك تكون فرنسا قد ثبتت مركزها القانوني في تونس بينما لم تستطع انجلترا ان تعقد مع الحكومة المصرية معاهدة الا عام ١٩٣٦.

بدأت الحركة الوطنية في تونس، كما بدأت في مصر، بشكل حركة اسلامية

قام بها الطلاب الذين درسوا في جامعات الغرب . وتزعم هذه الحركة في تونس علي ابو شوشة الذي اصدر جريدة **الحاضرة** فاجتمع حولها كتلة من الشباب المثقف تنادي بتقوية الروابط مع الجامعة الاسلامية. وهذا يشبه مافعله مصطفى كامل في مصر الذي اصدر جريدة اللواء . وبعد عامين الف علي باش حمبه **حزب المقاومة** واصدر **جريدة التونسي** الناطقة بالعربية والافرنسية ودعا الى مقاطعة اليهود لتعاونهم مع الافرنسيين. وبعد ان قامت سنة ١٩٠٨ ثورة تركيا الفتاة (حزب الاتحاد والترقي) غير الحزب التونسي اسمه فاصبح حزب **تونس الفتاة** . وعهد عام ١٩٠٨ الى الشيخ عبد العزيز الثعالبي برئاسة تحرير النسخة العربية من جريدة التونسي . وساهم هذا الحزب بكل قواه في تأييد نضال طرابلس والجزائر كما ايد ثورة قامت في تونس عام ١٩١١ فبادرت السلطة الفرنسية بنفي كل من علي باش حمبه واخيه محمد وبشير الاصفر والثعالبي وحلت حزب **تونس الفتاة**. وذهب علي وبشير والثعالبي الى استانبول حيث عمل الاول مستشارا لوزارة الخارجية التركية . اما محمد حمبه فقد قصد جنيف واصدر فيها عام ١٩١٦ **مجلة المغرب** للدفاع عن قضايا المغرب العربي والتي توقفت عن الصدور عام ١٩١٨ بسبب انقطاع المدد المالي من استانبول .

حاول الثعالبي بعد الحرب العالمية الاولى احياء حزب تونس الفتاة والدعوة للقضية التونسية في الاوساط الدولية .. فقصد باريس عام ١٩١٩ على رأس وفد تونس لعرض قضية بلاده على مؤتمر الصلح كما قدم مذكرة الى الرئيس الامريكي ولسن . وفي تونس استقبل المقيم العام في ايار ١٩١٩ وفدا من اعيان تونس قدم مذكرة شفوية بمطالب البلاد كما قدم هذا الوفد مذكرة مماثلة للباي في ١٣ حزيران. واسس هؤلاء الاعيان حزب الدستور الحر التونسي واصبحت مذكرتهم هي اهداف الحزب . وهذا يشبه ماحدث في مصر قبل ذلك بنصف عام عندما تقدم اعيان مصر بمطالب المندوب البريطاني ثم اسس هؤلاء حزب الوفد واصبحت مطالب الاعيان هي اهداف الوفد . وهكذا فان الشبه كبير في طريقة

تكوين وتطور حزب الوفد المصري وحزب الدستور التونسي .

ولكن الحركة الوطنية في تونس بدأت تتطور تطورا مختلفا عن تطور الحركة في مصر . فبينما مالت الحركة الوطنية في مصر الى التطرف والعنف فاصبحت تنشد الاستقلال التام ، بدأت الحركة الوطنية التونسية التي طالبت واسن بالاستقلال التام تدعو الى التعاون مع فرنسا وتنشد مساعدة وعطف الاحزاب اليسارية في فرنسا . وكان باي تونس اكثر تأييداً لنضال بلاده من ملك مصر . وقدم الوطنيون مطالبهم الوطنية المتواضعة التي طالبوا فيها فيما يلي :

١ ـ تشكيل جمعية تشريعية مختلطة (افرنسية وتونسية) لها صلاحيات واسعة لا سيما في القضايا المالية .

٢ ـ تأليف وزارة مسئولة امام المجلس .

٣ ـ الفصل بين السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية فصلا تاما .

٤ ـ منح التونسيين حق اشغال الوظائف حسب كفاءاتهم ومساواتهم بالافرنسيين .

٥ ـ المساواة بين الموظفين التونسيين والافرنسيين بالرواتب .

٦ ـ تشكيل مجالس محلية منتخبة .

٧ ـ جعل التعليم اجباريا .

٨ ـ منح التونسيين حق شراء اوض الدولة .

٩ ـ منح التونسيين حرية عقد الاجتماعات وتشكيل الاحزاب وضمان حرية الصحافة .

ويلاحظ ان هذه المطالب لا تتعرض لذكر الاستقلال بل تقر للافرنسيين بحق الاشتراك في حكم تونس . وكل ماطلبه الوطنيون هو مشاركة الافرنسيين بنصيب عادل من خيرات بلادهم .

ولم تستجب فرنسا لهذه المطالب المعتدلة . وقصد باريس في كانون الاول ١٩٢٠

وفد تونسي لم يستطع ان يحقق شيئاً كما فشل وفد الثعالبي في اسماع صوت تو
في مؤتمر الصلح فاكتفى باصدار كتاب بالافرنسية سماه **تونس الشهيدة** . و
الاعيان التونسيون (وفد الاربعين) فقدموا مطالبهم ثانية للباي وللمقيم الجد
المسيو لوسيان (الذي خلف فلاندان في حزيران) في منتصف عام ١٩٢١
وشجعهم الباي ورحب المقيم بأكثر هذه المطالب مع ابداء تحفظات بالنس
للطلبين الاوليين . وحقق المقيم المطلب الثالث حينما وافق في ٢٤/٤/١٩٢٤
على تأسيس وزارة عدل تونسية كما نفذ بعض المطلب التاسع فسمح للثعالبي بالعو
الى تونس والغى حالة الطوارىء التي اعلنت منذ ١٩١١ وسمح لاكثر من عشر
صحيفة وطنية بالصدور .

وظهر الحزب الحر الدستوري بصورة رسمية بقيادة الثعالبي وبشير الاصف
وضم هذا الحزب عدداً من المثقفين والبورجوازيين والمعممين من سكان العاص
وكلهم من انصار الوحدة العربية الاسلامية . واظهر الحزب بصورة خاصة عد
للصهيونيين تطور الى اضطرابات دامية ضد اليهود في صفاقس في ٢٥ و ٢٦ تمو
١٩٣٣ كما حدثت اصطدامات أخرى مع اليهود عام ١٩٣٦ . ولكن الحزب
ينجح في الحصول على مطالبه من الافرنسيين الذين عادوا فلجأوا الى القوة
قمع الحركة الوطنية . وقاد المقيم في ١٥/٤/١٩٢٢ مظاهرة عسكرية كبيرة شبي
بمظاهرة اللنبي في مصر بعد عام ، واجبر الباي على الرضوخ وعلى اقصاء الوطني
من قصره . وزار رئيس الجمهورية الافرنسية تونس في آخر شهر فلم يحدث
يعكر تلك الزيارة .

واعلنت الحكومة الافرنسية في ٢٩/٦/١٩٢٢ عزمها على ادخال اصلاحا
في تونس . ونوقش موضوع الاصلاح في البرلمان الافرنسي في الرابع والخام
من تموز وابدى النواب رغبتهم بالا تتعارض الاصلاحات مع بقاء مرك
فرنسا واستمرار تشجيع استيطان الافرنسيين في تونس . واصدر المقيم في ١٣
تموز كما اصدر الباي في ١٤ تموز قرارات بانشاء المجلس الكبير ليحل محل المجلس
الاستشاري ، وكذلك احدثت مجالس محلية للبلديات والمقاطعات . وتم انتخا

الاعضاء الافرنسيين في المجلس في تشرين الثاني واوائل كانون الأول وعقد المجلس اول اجتماعاته في الحادي عشر من كانون الاول ١٩٢٢ .

وخابت آمال الوطنيين ولم يقبلوا بهذه الاصلاحات . ولجأ الافرنسيون الى الشدة فعطلوا الصحف ومنعوا الاجتماعات واعتقلوا زعماء الحركة الوطنية وفر الثعالبي الى مصر حيث بقي منفيا الى عام ١٩٣٧ . وتزعم حركة الحزب التونسي في غيابه لجنة تنفيذية بزعامة الطاهر احمد الصافي والصالح فرحات ومحيي الدين البليبي ، وبدأ الحزب بالتقرب من اليساريين ولا سيما الشيوعيين.

وثارت مشكلة جديدة بدأت اواخر ١٩٢١ حينما شرع الافرنسيون بتطبيق قوانين جديدة للجنسية . فقد الحق الاجانب في تونس بالجنسية الافرنسية وجردوا من الرعوية التونسية اذا كان جدهم من مواليد تونس وذلك بموجب قانون ١٩٢١/١١/٨ . وعاد الافرنسيون فاصدروا قانوناً في ١٩٢٣/٢/٢٠ منحوا بموجبه الجنسية لكل من يطلبها ويظهر عواطف افرنسية . وقاوم المسلمون التونسيون الاتجاه الجديد وقاطعوا كل مسلم يحمل الجنسية الافرنسية واعتبروه مارقاً من الاسلام ولا يجوز دفنه في مقابر المسلمين. ولما شعر المسلمون التونسيون الذين حملوا الجنسية الافرنسية بحراجة وضعهم شكلوا اتحاداً في ١٩٢٤/١٢/١٥ اقسم اعضاؤه بالله والقرآن والرسول على السعي لاستعادة الجنسية التونسية . وقدم الاتحاد في ١٩٣٦/١٢/٢٧ مذكرة الى الباي رجوا فيها وساطته لاستعادة الجنسية التونسية . . ولكن المقيم العام الافرنسي والجالية والصحف الافرنسية حملوا حملات عنيفة على هذه الفئة واتهموها بالمروق . وغدت هذه الفئة محتقرة من الافرنسيين والتونسيين. واحبطت الجماهير في تونس ١٩٣٢/١٢/٣١ و ١٩٣٧/٥/٩ محاولات لدفن هؤلاء في مقابر المسلمين .

وانتعشت آمال الوطنيين في تونس عندما شكل المسيو هريو وزارة يسارية في فرنسا عام ١٩٢٤ . وارسل الحزب الدستوري في تشرين الثاني ١٩٢٤ وفداً الى باريس برئاسة الطاهر احمد الصافي لمفاوضة حكومة هريو وعرض مبادئه

التسع . ولكن المسيو هربو رفض مقابلة الوفد فاكتفى الطاهر بتقديم المذكرة بمطالب البلاد . واستقبل هربو في الشهر نفسه وفداً للحزب الاشتراكي قدم مطالب شبيهة بمطالب الحزب الدستوري ، فعين هربو آخر الشهر لجنة استشارية لبحث هذه المطالب . واجتمعت هذه اللجنة في ٢٦ شباط ١٩٢٥ وانهت اعمالها في ايار ١٩٢٦ وانحصرت مقترحاتها الاصلاحية في تحسين جهاز الخدمة المدنية ، فصدر مرسوم بذلك في العاشر من تشرين الثاني ١٩٣٦ . وكذلك كانت مطالب الوطنيين شكلية لا تمس جوهر استقلال وحرية الشعب التونسي . وعندما قدم الوطنيون مطالبهم الكبرى للمقيم في ٢٢ تموز ١٩٣٥ كادت ان تكون هذه المطالب اعترافاً لفرنسا بحقوق اساسية في تونس ولم يطالبوا الا بالمساواة مع الافرنسيين . وتتلخص هذه المطالب بما يلي :

١ – المساواة مع الافرنسيين في عدد النواب في مجلس الكبير والاشتراك معهم في انتخاب المجلس .

٢ – اعطاء المجلس حق الاقتراع على الموازنة ومراقبة المصروفات .

٣ – ان يتم انتخاب اعضاء المجلس بالاقتراع السري .

٤ – الفصل بين السلطات الثلاث : – التشريعية والتنفيذية والقضائية .

٥ – اشراك التونسيين في الوظائف العامة مع مساواتهم في الرواتب مع الافرنسيين .

٦ – حرية الصحافة والاجتماع .

لم تكن هذه المطالب مطالب الشعب التونسي الرئيسية . وهي لا تستهدف غير فتح المجال امام المثقفين دون ان تمنح الشعب حرياته الاساسية . وتمسك وطنيو تونس بهذه السياسة التي تحقق للبلاد شيئاً من آمالها الوطنية . وبذلك شابه جهاد هذا الحزب نضال حزب الامة المصري بحيث لم يعبر الحزب الا عن اماني المثقفين والاعيان من طلاب الوظائف والجاه والمال . واثبت نضال تونس ان لا امل لبلد عربي بالحصول على امانيه عن طريق المفاوضة والاقناع .

وانتقلت زعامة النضال في تونس الى يد فئة جديدة من الشباب اشد حماسة واندفاعاً من اعضاء حزب الدستور. فقد اصدر الشاذلي خير الله جريدة صوت التونسي عام ١٩٢٩ واشترك في تحريرها محامي شاب يدعى الحبيب بورقيبة. ولد ابو رقيبة عام ١٩٠٣ ودرس الحقوق في فرنسا وعاد للاشتغال بالمحاماة في تونس عام ١٩٢٧ ودخل معترك السياسة والصحافة عام ١٩٢٩. وعقد الشباب في ١٩٣٠/١٠/٣٠ مؤتمراً للحركة الوطنية وانتخبوا هيئة للكفاح برئاسة الدكتور الشاذلي وعضوية الدكتور ابو رقيبة واخيه والدكتور محمود الماطري والطاهر صفر. وتمكن هؤلاء من احباط محاولة افرنسية للاحتفال بذكرى مرور خمسين عاماً على الاحتلال. ونقل ابو رقيبة والطاهر قضية تونس الى المجال العالمي حينما عرضاها في مؤتمر حقوق الانسان الذي انعقد في فيشي في ايار ١٩٣١. وعاد ابو رقيبة فاصدر جريدة العمل التونسي عام ١٩٣٢ وبدأ نجمه بالبروز.

وحاول الحزب الحر التونسي ان يستعيد نشاطه، فدعا الى عقد مؤتمر عام في ١٢–١٣ ايار ١٩٣٣ ضم أعضاء الحزب والشباب الجديد وعرف الاجتماع باسم مؤتمر قسم الجبل. ودعا المؤتمر الى الجهاد من اجل الاستقلال وتحرير الشعب التونسي واعطاء البلاد نظاماً صالحاً وبرلماناً منتخباً ووزارة مسؤلة امام البرلمان. واعلن المؤتمرون ان سياسة التعاون التي اتبعها الحزب خلال الاعوام الماضية كانت غير مجدية لذا تبنى الاعداف التالية وسعى لتحقيقها:

١ – مجلس نواب منتخب انتخابا حراً.

٢ – حكومة مسؤولة امام المجلس.

٣ – فصل السلطات الثلاث.

٤ – قانون تونسي واحد يطبق على كافة المقيمين في تونس.

٥ – حريات عامة.

٦ – التعليم اجباري.

٧ – حماية الاقتصاد الوطني.

ولكن يلاحظ ان المبادىء الجديدة لا تختلف عن المبادىء والاهداف القديمة . فالمطلب الرئيسي بقي كما هو بدون تغيير : نظام حكم دستوري واقرار مبدأ فصل السلطات . وبمعنى آخر ماهو الا محاولة لتطبيق المبادىء التي درسوها في جامعات فرنسا مع تطبيقها باشتراكية خفيفة . ولكن الافرنسيين لم يتغيروا فقد آمنوا بهذه المبادىء في بلادهم على انها غير قابلة للتصدير الى المستعمرات . لذا فانهم بادروا الى اصدار مرسوم بحل حزب الدستور في ٣١ ايار ، ثم عطلوا جريدة العمل . وتلا ذلك اضطرابات ومظاهرات في عدد من المدن التونسية .

وقرر الشباب الانفصال نهائياً عن حزب الدستور بعدان يئسوا من امكان التعاون مع رجالاته من الرعيل الاول . وعقد الشباب مؤتمراً في بلدة قصر الهلال التونسية في الثاني من آذار عام ١٩٣٤ . وتبنى الاعضاء مبادىء مؤتمر الجبل ومبدأ الاستقلال على مراحل . واعلن عن تشكيل حزب جديد باسم **حزب الدستور الجديد** برئاسة الدكتور الماطري كما اصبح الحبيب ابو رقيبة اميناً عاماً للديوان السياسي للحزب . وضم الحزب شباباً مندفعاً امثال صالح ابن يوسف وطاهر صفر وعلي البهلوان ومنجي سليم ويوسف الرويسي وجلولي فارس . وسمح لهم المقيم العام باعادة اصدار جريدة العمل . ولكن فرنسا غيرت المقيم فاعتقل المقيم الجديد زعماء الحزب في الثاني من ايلول ، وتلا ذلك اضطرابات خطيرة في تونس بينما استمر اعتقال الزعماء حتى ١٩٣٦ . وبادر الزعماء بعد اخلاء سبيلهم الى عقد مؤتمر حزبي في الهواء الطلق في الثامن من آب ١٩٣٦ ، ثم قصد الحبيب ابو رقيبة باريس لمفاوضة حكومة الجبهة الشعبية التي ارسلت وزيرا الى تونس لدرس الأوضاع . فاقترح اصلاحات معينة ولكن عارض المستوطنون الافرنسيون في تنفيذها . وايدهم الباي واستقبل وفد الحزب اول تشرين الاول من العام نفسه . وشغل الحزب فترة بالخلاف الذي ازدادت حدته بين هذا الحزب والدستور القديم ولا سيما بعد عودة الثعالبي الى تونس في الثامن من تموز عام ١٩٣٧ ، وحدثت صدامات بين انصار الحزبين في الخامس والعشرين من ايلول فضاع عام ١٩٣٧ في خلافات بين الاحزاب . ولكن الدستور الجديد استأنف

نشاطه ضد المستعمرين في العام التالي ، فاعتقلت السلطات الافرنسية عدداً من زعماء الحزب في السابع من نيسان واعلنت الاحكام العرفية وحل الحزب في منتصف الشهر واعتقلت باقي الزعماء في الثالث عشر من آب .

وعندما نشبت الحرب العالمية الثانية كانت الاحزاب في تونس محلولة تعمل في السر وزعماؤها في المعتقلات . ولكن بعد ان استسلمت فرنسا في حزيران ١٩٤٠ نشطت الاحزاب مرة اخرى . فقدم حزب الدستور الجديد طلبا الى الباي في الثاني من تموز طالب فيه بانهاء المعاهدة واخلاء سبيل المعتقلين . فبادرت سلطات فيشي الى اعتقال الدكتور تامر ورجال المكتب السياسي وبذلك يكون الافرنسيون قد اعتقلوا اعضاء ستة مكاتب سياسية سرية للحزب خلال فترة العمل السري ١٩٣٨ - ١٩٤٢ .

ولكن اعتلاء الباي سيد المنصف العرش في ١٩ / ٦ / ١٩٤٢ والاحتلال الالماني في التاسع من تشرين الثاني غير الموقف . فقد قدم الباي الجديد الى المارشال بيتان في الثاني من آب مطالبه الستة عشر التي وضعها له حزب الدستور الجديد . واغتنم الباي فرصة احتلال الالمان لتونس وضعف النفوذ الافرنسي ليعهد الى محمد شنيق بتشكيل وزارة وطنية ضمت الماطري وصالح فرحات كممثلين للدستور الجديد والقديم . واصدر حزب الدستور الجديد جريدة افريقية الفتاة ، كما اشرف احد اعضائه ، يوسف الرويسي ، على فتح مكتب المغرب العربي في برلين واصدار جريدة المغرب العربي . واطلق الالمان الزعماء المعتقلين ومن بينهم الحبيب ابو رقيبة .

ولكن احتلال الحلفاء لتونس في اوائل ايار ١٩٤٣ قلب الاوضاع . فقد خلع الافرنسيون الباي ونفوه في منتصف الشهر وعينوا بمرسوم افرنسي سكرتيراً عاماً للحكومة التونسية يتمتع بأكثر صلاحيات الباي . وعانى التونسيون الكثير من الاضطهاد والاذى من الافرنسيين وغدا من السهل اتهام أي وطني بالتعاون مع المحور لاعدامه . وضعف نشاط الاحزاب

السياسية وفر الزعماء الذين نجوا من الاعتقال أو القتل الى القاهرة ودمشق . وجعل أبو رقيبة القاهرة مركزاً لنشاطه من آذار ١٩٤٥ الى ايلول ١٩٤٩ .

ولكن برز في ميدان النضال في هذا الوقت نقابات العمال . وكان العمال التونسيون من قبل قد انخرطوا في الاتحادات الافرنسية . وفي آذار ١٩٢٤ عاد الدكتور محمد علي بن المختار القابسي من المانيا بعد ان اختص بالاقتصاد واسس جمعية التعاون الاقتصادي التونسي ونقابة عملة الرصيف . وقررت لجنة عمالية في تشرين الاول من ذلك العام انشاء جامعة عموم عملة تونس كما انتخب محمد علي اميناً عاماً للجامعة . وبادر الافرنسيون الى حل الجامعة عام ١٩٢٥ . وبقيت منحلة الى أن اعيد تشكيل نقابات عام ١٩٣٧ ولكنها حلت بعد عام . واخيراً برز احد عمال النقل في صفاقس المدعو فرحات حشاد وتمكن من تأسيس الاتحاد العام التونسي للشغل سنه ١٩٤٤ .

(U.G.T.) Union général des travrillallistes Tunisiens

(U.G.A.T.) Union général des Agric. Tun .

كذلك تأسس الاتحاد العام الزراعي وانضم الاتحادان الى النقابات الحرة ICFTU لا الى اتحاد النقابات الشيوعي .W.F.T.U كما ايد سياسياً حزب الدستور الجديد .

واستعادت الاحزاب السياسية نشاطها بعد انتهاء الحرب بالتعاون مع النقابات . وعقدت الاحزاب والنقابات واتحاد الموظفين مؤتمراً وطنياً ليلة القدر في ٢٣ آب ١٩٤٦ ، وتبنوا ميثاقاً قومياً جاء فيه **ان نظام الحماية لا يتفق مع سيادة الشعب التونسي وانه نظام فاشل لذا وجب السعي لاسترجاع استقلال تونس لكي تنضم تونس المستقلة الى الجامعة العربية وهيئة الامم المتحدة .** وبادرت السلطات الافرنسية الى اعتقال زعماء المجتمعين فاعلن فرحات حشاد الاضراب العام . واضطرت الحكومة الافرنسية الى التساهل فغيرت المقيم (ماست) واتبعت سياسة مسالمة فالغت مرسوم صلاحيات السكرتير العام وشكلت وزارة تونسية فرنسية مختلطة من ستة وزراء تونسيين وسبعة افرنسيين برئاسة مصطفى الكعاك .

وكان حزب الدستور الجديد قد وصل القمة في قوته وتنظيمه . فهذا الحزب الذي بدأ حياته عام ١٩٣٤ نما بسرعة حتى بلغ عدد شعبه بعد اربعة اعوام خمسا واربعين شعبة وثلاثين جامعة واتقن تنظيمه بحيث ضم جهازه التنفيذي مؤتمراً اعتبر مصدراً للسلطات في الحزب ويمثل شعب الحزب كلها وينتخب الديوان السياسي والمكتب الوطني . وكثر عدد المنتمين اليه حتى بلغ عدد اعضائه عام ١٩٤٨ قرابة ثلث مليون عضو . وزاد دخله تبعا لذلك فبلغ ذلك العام حوالي ربع مليون ليرة سورية . واضطر ايام محنته الى فتح مكتب له خارج تونس ، في القاهرة عام ١٩٤٦ . كما اشترك في مكتب المغرب العربي وفي لجنة تحرير المغرب العربي اللتان شكلتا في القاهرة في شباط ١٩٤٧ . وعهد الى احد افراد الحزب يوسف الرويسي بالاشراف على مكتب دمشق . وبقي زعيم الحزب ابو رقيبة خارج تونس متجولا في البلاد العربية وغرب اوروبا والولايات المتحدة الى ان سمح له بالعودة الى تونس في ايلول ١٩٤٩ ...

خطت فرنسة خطوة جديدة في طريق التفاهم مع التونسيين . فقد وافقت على تشكيل وزارة وطنية برئاسة محمد شنيق في ١٧ آب ١٩٥٠ ضمت صالح بن يوسف من حزب الدستور الجديد والسيد محمد بدره رئيس اتحاد الغرف التجارية التونسية . وبدأت الوزارة مفاوضاتها مع فرنسا لحل الخلافات المعلقة . وهاج الافرنسيون في تونس واحتجوا وقدم الاعضاء الافرنسيون في المجلس الكبير استقالاتهم من المجلس وهدد زعيمهم باعلان العصيان المدني .

ورحب ابو رقيبة بالتعاون مع فرنسة وقدم في نيسان ١٩٥٠ مطالبه السبع التي اراد ان يبني التفاهم على اساسها وجاء في هذه المطالب السبع مايلي :

١ ـ اعادة سلطات الباي .

٢ ـ تشكيل مجلس وزراء كل اعضائه من التونسيين .

٣ ـ الغاء منصب السكرتير العام .

٤ ـ الغاء مناصب المستشارين الاداريين للمقاطعات وعددهم ١٩ .

٥ – حل الجندرمة .

٦ – احداث مجالس بلدية منتخبة .

٧ – تشكيل مجلس نواب منتخب يضع دستور ويقر معاهدة مع فرنسا .

رفع الحبيب هذه المطاليب الى الباي الذي اعلن في ١٥ نيسان تأييده لها كما ارسل الباي رسالة الى رئيس الجمهورية الفرنسية في ٢٥ ايار ايد فيها هذه المطالب . وكذلك ايد المقيم الافرنسي مطالب الحبيب .

وانقسمت الوزارة الافرنسية على نفسها . واخيراً تغلب الجناح اليميني فنقل المقيم الافرنسي واعلن وزير الخارجية الافرنسية المسيو شومان في ١١حزيران تعيين مقيم جديد مهمته انماء الثروة القومية في تونس ودفعها في طريق الاستقلال . ووصل المقيم الجديد بعد يومين ليعلن الاصلاحات المنشودة التي تستهدف تشكيل مجلس وزراء برئاسة تونسي ويضم تسعة تونسيين وثلاثة افرنسيين والغاء مناصب المستشارين الافرنسيين للوزراء وفتح باب الخدمة المدنية للتونسيين وتشجيع التونسيين على دخولها . ولكن الوزارة الافرنسية التي تبنت هذه المشاريع سقطت وشكل بليفن في الحادي عشر من تموز وزارة عاد فيها شومان وزيراً للخارجية مسؤولاً عن تونس . وقدمت فرنسا في الحادي عشر من كانون الاول مقترحات جديدة . فقد اقترحت فرنسا تشكيل مجلس وزراء من تونسيين وافرنسيين باعداد متساوية مع استبعاد السكرتير العام والقائد العام من عضويته وجعل قرارات المجلس نافذة متى صدقها المقيم ، كما عرضت فرنسا تخصيص نصف المناصب العليا وثلثا الوسطى وثلاثة ارباع الدنيا في سلك الخدمة المدنية (البالغة ٣٠ الف منصب) للتونسيين وثارت ثائرة المواطنين الافرنسيين وقدم السكرتير العام الجديد استقالته احتجاجاً على هذا التساهل .

ووقف الباي وحكومته الى جانب الحركة الوطنية . فقد اعلن الباي في خطاب له في اول ايار ١٩٥١ تأييده للمطالب الدستورية والديموقراطية . وقصد باريس وفد حكومي برئاسة رئيس الوزراء التونسي وعضوية ابن يوسف وبدرة

فوصلوها في ١٨ تشرين الاول وقدموا آخر الشهر مطالبهم . فأجابت فرنسا على هذه المطالب في السادس عشر من كانون الاول مصرة على اشراك الافرنسيين المقيمين بالحكم . وصحب هذا النشاط الدبلوماسي اضرابات في تونس في شهري تشرين الثاني وكانون الاول . كذلك قام ابو رقيبة بنشاط كبير في انجلترا والولايات المتحدة فأزعج الافرنسيين .

وعاد ابورقيبة الى تونس في اليوم الثاني من عام ١٩٥٢ . ورافق عودته تطورات هامة في العلاقات بين فرنسا وتونس . فقد جاء تونس مقيم جديدهو الجنرال هوتكلوك الذي وصل تونس في الثالث عشر من كانون الثاني وقابل الباي بعد يومين من وصوله . وتخلص الباي من الاحراج اذ مرض عشرة ايام وامتنع خلالها عن مقابلته بينما ارسل رئيس وزراء الباي في السابع عشر من الشهر مذكرة الى المقيم حمل فيها فرنسا مسؤولية تدهور العلاقات . وابرق في اليوم التالي وزير العدل التونسي الى السكرتير العام للامم المتحدة محتجاً على ضغط فرنسا على الباي . وكانت فرنسا اذ ذاك بدون وزارة منذ ان استقالت حكومة بلفن في السابع من الشهر ، ولكن ادجارفو تمكن بعد عشرة ايام من تشكيل وزارة جديدة ارسلت تعليمات حازمة الى المقيم في تونس فبادر المقيم الى اعتقال ابورقيبة وخمسة من رفاقه ومنع اجتماعاً حاول الحزب عقده فحدثت اثر ذلك اضطرابات دامت اربعة ايام .

ونشطت الحكومة التونسية في العمل لعرض قضيتها على مجلس الامن بعد ان اجابت في التاسع من كانون الثاني جواباً لبقاً على المذكرة الافرنسية المؤرخة في السادس عشر من كانون الاول سنة ١٩٥١ . فقد وقع رئيس الوزراء التونسي في الثاني عشر من كانون الثاني على مذكرتين احدهما الى السكرتير العام للأمم المتحدة ، والثانية الى رئيس مجلس الامن عارضاً فيها شكوى تونس وقام ابن يوسف وابن بدر بتقديم المذكرة الى السكرتير العام للامم المتحدة الذي احالها الى مندوب فرنسا ليتأكد من عدم تعارضها مع

معاهدة باردو . وايدت الباكستان طلب تونس كما استقبل في الرابع والعشرين من الشهر رئيس الجمعية العمومية ممثلي ثلاثة عشر دولة اسيوية افريقية (الافغان برما ، مصر ، الهند ، اندونيسيا ، العراق ، لبنان ، ايران ، السعودية ، سورية اليمن والفلبين) وبحثوا معه شكوى تونس ، ووقع ممثلو هذه الدول وممثلا ليبريا والحبشة مذكرة قدموها الى رئيس الجمعية في الثلاثين من الشهر نفسه ، كما اعلنوا في الثاني من شباط عزمهم على اثارة القضية في مجلس الامن ولكنهم لم يسارعوا في عرضها على مجلس الامن بانتظار انتهاء رئاسة فرنسا الدورية للمجلس وانتقال الرئاسة الى الباكستان في اول نيسان .

وسارعت فرنسا الى العمل لاحباط هذه الجهود . فقد اجبر المقيم الافرنسي الباي في الرابع والعشرين من كانون الثاني (اي في نفس اليوم الذي حدد لمقابلة ممثلي الدول الاسيوية الافريقيه لرئيس الجمعية العمومية للامم المتحدة) على اصدار بيان دعا فيه الشعب الى الهدوء وقدمت فرنسا بعد يومين مذكرة اقترحت فيها تشكيل لجنة مشتركة للاصلاح شريطة سحب الشكوى . وقابل المقيم الباي في اليوم الذي حدد لتقديم شكوى الدول الخمسة عشر لرئيس الجمعية العمومية ولكن الباي كان صلباً اذ طالب في الخامس من شباط بالغاء الاجراءات الاستثنائية والاعتراف بالسيطرة التونسية . وسارع المقيم الى باريس لتلقي التعليمات فبقي فيها من السادس حتى الثاني والعشرين من شباط وعاد الى تونس ليعمل بحزم . وفي الرابع والعشرين من اذار طلب المقيم من الباي عزل وزارة شنيق بحجة انها اهملت الادارة ولم تقم بواجباتها ولم تعقد غير اجتماع واحد منذ تشرين الاول . فبادر الباي الى ارسال رسالة احتجاج الى رئيس الجمهورية الافرنسية . ولكن المقيم اتخذ اجراءات عنيفة . اذ بادر في اليوم التالي الى اعتقال رئيس الوزراء والوزراء وفر الوزيران بدره وابن يوسف الى القاهرة . ورفض الباي استقبال المقيم احتجاجاً على هذه التصرفات . ووصل في الثامن والعشرين من الشهر مندوب خاص من باريس يحمل رد رئيس

الجمهورية على رسالة الباي . ونصح الرد الباي بتشكيل وزارة معتدلة واصدار نداء بالهدوء . ووافق الباي وشكل صلاح الدين بكوش وزارة ضمت المقيم كوزير للخارجية ، واعلن عن تشكيل لجنة مشتركة للاصلاح . واعلن المسيو شومان عن زيادة صلاحيات الوزراء التونسيين وتشكيل مجالس بلدية منتخبة ومنح التونسيين الافضلية في الوظائف . ولكن شنيق اصر على اعتبار نفسه الرئيس الشرعي للوزارة وايده في موقفه اتحاد نقابات العمال وحزب الدستور ، فلاقى بكوش صعوبة في تشكيل الوزارة لاسيما وان الباي قصد فجأة في الثالث من نيسان قصره الصيفي خارج تونس بانتظار مايحدث في مجلس الامن الدولي.

ولكن مجلس الامن الدولي خيب آمال التونسيين واضعف مقاومة الباي. فقد بدأ مجلس الامن في الرابع من الشهر برئاسة مندوب الباكستان مناقشة القضية . وعارض بحث القضية مندوب الولايات المتحدة الامريكية كما ادعى مندوب فرنسا بان بيان الباي في الثامن والعشرين من آذار يعتبر انهاء للخلاف. وعاد مجلس الامن لبحث القضية في العاشر من نيسان فلم يؤيد قضية تونس غير مندوبي الباكستان والاتحاد السوفيتي والصين والبرازيل وتشيلي . ولما اجري التصويت في الرابع عشر من الشهر صوت ضدها فرنسا والجلترا وامتنع عن التصويت تركيا واليونان وهولاندا والولايات المتحدة الاميركية وهكذا سقطت القضية . والغريب ان مندوبي سوريا ولبنان لم يوقعا الشكوى التونسية المقدمة الى مجلس الامن .

ادرك الباي ان مجلس الامن لن ينصر تونس ويئس بعد ان رأى دولتين عربيتين تتهربان من تأييدها ارضاء لفرنسا . ووافق الباي في الثاني عشر من نيسان على حل مجلسه الخاص كما اقسم اعضاء الوزارة الجديدة اليمين امامه ، وذهب المقيم الى باريس لتلقي التعليمات . وجرت محاولات لتهدئة الامور ، فاطلق سراح الوزراء المعتقلين والقى ابو رقيبة في منفاه تصريحاً معتدلا . وعاد المقيم في التاسع والعشرين من ايار ليفرض مادعاه بالاصلاحات . ونوقشت اثناء

ذلك القضيـة التونسية في الجمعية الوطنية الافرنسية فهاجم النواب الولايات المتحدة واظهروا حقدهم وغضبهم من قيـام مملكة ليبيا وهاجموا القومية العربية ونفوا وجودها .

وعادت الدول العربية والشرقية لاثارة الموضوع من جديد في هيئة الامم المتحدة . فطلبت في العشرين من حزيران ثلاثة عشر دولة عربيـة وشرقية عقد جلسة استثنائية لبحث قضية تونس ولكن لم يوافق على ذلك غير ٢٣ دولة وعارض سبع وعشرون . اما الدول التي وافقت فكانت :

الدول العربية ، الاتحـاد السوفييتي والجمهوريات الديموقراطية الشعبية ، يوغوسلافيا ، جواتيمالا ، سلفادور ، والصين الوطنية . وتزعم المعارضة الدول الاوروبية الغربية والامريكية واللاتينية . فعـادت الدول العربية والشرقيـة وطلبت في الثلاثين من تموز ادراج قضية تونس في جدول اعمـال الهيئة في دورتها العادية .

وعاد الباي فاشتد ازره وزادت مقاومته. واغتنم فرصة حلول شهر رمضان ليستقبل عدداً من الوطنيين امثـال شنيق وغيره . وراجت اشاعات عن عزم الباي على عزل بكوش ولكن المقيم حمله في التـاسع من تموز على اعلان ثقته ببكوش إلا ان الباي ابرق الى الرئيس الافرنسي معلنـاً بان قرارات مجلس وزراء تونس لا تقيده . ورفض البـاي في الثامن عشر من تموز ، رغم المقابلة الحامية مع المقيم توقيع المراسيم وعقد في اول آب مؤتمراً ضم اربعين عيناً تونسياً لبحث موضوع المراسيم. وانتخب الاربعون لجنة من اربعة عشر عهدت بدورها الى لجنة اصغر مؤلفة من يهودي وثلاثة من الدستور الجديد بدراسة المراسيم وعلق البـاي قراره على قرار اللجنة . وفي السابع من ايلول اقر الاربعون تواصي اللجان باعتبار الاصلاحات الافرنسية غير كافية . فأرسل البـاي في التاسع من ايلول الى الرئيس الافرنسي معلناً بانه لا يستطيع توقيع المراسيم لانهـا تخل بالسيادة التونسية .

وانتقلت القضية التونسية مرة اخرى الى الصعيد الدولي. فقد حاولت فرنسا في ايلول حمل الولايات المتحدة على مساندتها باسم تضامن الاطلسي ولكن ابن يوسف بادر الى الاعلان بان تونس المستقلة ستؤيد منظمة حلف الاطلسي. وقررت اللجنة التوجيهية للامم المتحدة في منتصف تشرين الاول ادخال قضية تونس في جدول اعمال اللجنة السياسية كامر ملح يأتي مباشرة بعد القضية الكورية. وثارت فرنسا لان المندوب الاميركي ايد القرار واعلن الرئيس الافرنسي عن اسفه وصدمته، الا ان السفير الاميركي في باريس اعتذر بان ما حدث كان بطريق الخطأ. واعلن المسيو شومان وزير الخارجية الافرنسية في الجمعية الوطنية الافرنسية ان لا حق لهيئة الامم ببحث قضيتي تونس ومراكش وايده في هذا الادعاء رئيسا وزارتي انجلترا وهولاندا كما قاطع مندوبو فرنسا الجلسات التي بحثت فيها قضايا تونس ومراكش. وبدأت مناقشة القضية التونسية في الرابع من كانون الاول واستمر البحث حتى الثاني عشر منه. ورفضت اللجنة السياسية دعوة الباي الى ارسال مندوب عنه او ارسال لجنة تحقيق الى تونس ولكنها طلبت من فرنسا عدم مقاطعة ابحاث اللجنة واقرت توصية باعلان ثقتها بان فرنسا وتونس ستتفاوضان لحل خلافاتهما بصورة ودية. ووافقت الجمعية العمومية على هذه التوصيات في السابع عشر من كانون.

اضطربت الاحوال في تونس فور بدء مناقشة القضية في هيئة الامم المتحدة. فما ان بدأت اللجنة السياسية مناقشة القضية حتى وجد تلك الليلة الامين العام لاتحاد العمل التونسي السيد فرحات حشاد مقتولا على بعد ٢٥ ميلا من تونس واتهمت جمعية اليد الحمراء الافرنسية باغتياله. وبدلا من ان تعاقب السلطات القتلة بادرت الى اعتقال زعماء النقابات وحزب الدستور الجديد. كذلك لجأت فرنسا في الثامن من كانون الى تنفيذ احكام بالاعدام كانت معلقة. ولجأ المقيم في العاشر منه الى تهديد الباي بتجريده من صلاحياته ونفي اولاده واجبره بعد خمسة ايام على الوعد بتوقيع بعض المراسيم. وسلم الباي في العشرين من كانون

الثاني انذاراً قصير الامد في شكل رسالة.فاجبر البـاي على توقيع مرسومين
ولجأت الدول العربية والشرقية الى تقديم مذكرات احتجاج الى فرنسا كما
احتجت الجامعة العربية وحزب الدستور .

ولجأ التونسيون الى النضال المسلح لمقابلة الارهاب بمثله بعد ان ثبت فشل النضال السياسي . وشكلت فرق النضال التونسية التي لجأت الى قطع اسلاك الهاتف وتخريب السكك الحديدية ونسف الجسور وحماية المواطنين من الاغتيال وعادت الجمعية العمومية للامم المتحدة الى بحث قضية تونس في عام ١٩٥٣ فطالبت فرنسا بحل قضية تونس على اساس العدل. واضطرت فرنسا ازاء نضال التونسيين وازاء موقف الرأي العام العالمي الى التراجع فاعلن منديس فرانس رئيس الوزارة الافرنسية في آخر آذار ١٩٥٤ منح تونس الاستقلال الداخلي فشكل طاهر بن عمار وزارة وطنية . واشترط منديس فرانس سبعة شروط بالاضافة الى شرط استسلام المجاهدين فرحب ابو رقيبة بالشروط السبع وحث المجاهدين على الاستسلام ، وايده في هذا الموقف مؤتمر الحزب المنعقد في صفاقس. ولبى نداء الاستسلام ثلاثة آلاف مجاهد . اما الشروط السبع فهي :

١ - استمرار المحاكم الافرنسية وفق اتفاقية قضائية .

٢ - قيام اتحاد جمركي بين تونس وفرنسا وفق اتفاقية جمركية ومنح البضائع الافرنسية الاولوية .

٣ - جعل اللغة الافرنسية لغة رسمية في التدريس والاستعانة باساتذة من فرنسا وارسال البعثات الى فرنسا وذلك وفق اتفاقية ثقافية .

٤ - ضمان مصالح الموظفين الافرنسيين البالغ عددهم ١٦ الفاً وذلك وفق اتفاقية ادارية .

٥ - ربط النقد التونسي بالفرنك .

٦ - ضمان مصالح المستوطنين الافرنسيين .

٧ - يكون استغلال الثروة المعدنية وقفاً على الشركات الافرنسية والتونسية .

وعاد ابو رقيبة الى تونس في اول حزيران ١٩٥٥ . وبعد يومين وقع ادجار فور وطاهر بن عمار ومنجي سليم الاتفاقية الافرنسية التونسية . وفي العشرين من آذار عام ١٩٥٦ وقع بروتوكول استقلال تونس الكامل . وانتخب الحبيب ابو رقيبة في السادس من نيسان رئيساً للجمعية الوطنية وشكل في منتصف الشهر اول وزارة استقلالية ضمت وزارة للخارجية . وعقدت اتفاقية جديدة مع فرنسا في منتصف حزيران تنازلت بموجبها فرنسا عن تحفظاتها فاعلن بعد يومين تشكيل جيش تونسي . والغيت المحاكم الافرنسية في العشرين من آذار ١٩٥٧ والغيت الملكية في الخامس والعشرين من تموز وانتخب ابو رقيبة اول رئيس للجمهورية التونسية المستقلة .

اما في الميدان الدولي فقد ابدت تونس نشاطاً كبيراً . فقد اصبحت تونس عضواً في هيئة الامم المتحدة في الرابع عشر من تشرين الثاني ١٩٥٦ كما انضمت الى الجامعة العربية في الحادي عشر من تشرين الاول ١٩٥٨ وعقدت خلال هذه الفترة معاهدات اخاء مع ليبيا (١٩٥٧/١/١٦) ومع مراكش (١٩٥٧/٣/٢٠) .

تونس في عهد الحبيب ابو رقيبة

حدد الحبيب سياسة بلاده بوضوح في خطابه الذي القاه في مؤتمر الحزب في تشرين الثاني ١٩٥٥ وفي كتاب اصدره عام ١٩٥٧ بعنوان **هذه تونس**. والأسس التي بنى عليها الحبيب سياسة بلاده هي :

اولا — الامة التونسية عربية مسلمة شرقية بثقافتها ودينها غربية في موقعها الجغرافي مما يؤهلها لتكون همزة الوصل بين حضارتين عظيمتين .

ثانيا — تنتسب تونس لمجموعة الدول الحرة دون ان تخامرها أي عداء للكتلة الشيوعية . وهي لاتخفي ميلها الى الديموقراطية الامريكية الكبرى وتدرك وحدة وجهات النظر معها حول مشاكل دولية كبيرة .

ثالثا — تونس لها وضع خاص في علاقاتها مع الغرب فهي تعتبر الاستعمار

واحداً في كل مكان ولا تنظر الى الأستعمار هذه النظرة البسيطة السطحية التي ينظرها العرب في الشرق الى الاستعمار ..

رابعا - لاتنكر تونس اياذي العرب في المشرق وفضلهم فقد تقبلوا المناضلين للتونسيين (كأبناء بل كمواطنين .. ومكنونا من مواصلة الكفاح وتصدو لعداء فرنسا ومضايقتها .. ولم نسمع أي تذمر ولم يبدو أي رجاء في ان نعتدل في لهجتنا .. بل كانوا .. بالرغم من مشاكلهم .. يطلبون الينا ان نعتبر انفسنا في بيوتنا مواطنين مثلهم لنا مالهم وعلينا ماعليهم .. وسيذكر التونسيون جيلا بعد جيل ماقدمه لنا اخواننا العرب من اعانات وما ضحوا به في سبيل مناصرتنا في كفاحنا) .

ملحق بالوثائق التاريخية

١ - معاهدة باردو ١٨٨١/٥/١٢

ان دولة الجمهورية الفرنسية ودولة سمو باي تونس - لما كان من غرضهما أن يمنعا الى الابد حدوث قلاقل كالتي حصلت أخيراً على حدود الدولتين وبسواحل المملكة التونسية ، وأن يحكما علاقات ودادهما القديم وروابط حسن الجوار - فقد اتفقتا على عقد معاهدة من شأنها تحقيق مصالح كلا الجانبين الساميين المتعاقدين .

وبناء على ذلك فان فخامة رئيس الجمهورية الفرنسية قد عين جناب الجنرال بريار مفوضا من طرفه ، فاتفق جنابه مع سمو الباي المعظم على البنود التالية :

البند الاول : ان معاهدة الصلح والمودة والتجارة وجميع المعاهدات الأخرى الموجودة الآن بين الجمهورية الفرنسية وسمو باي تونس قد وقع تجديدها وتأكيدها .

البند الثاني : لأجل تسهيل القيام بالاجراءات التي يتحتم على دولة الجمهورية الفرنسية اتخاذها للوصول للغرض الذي يقصده الجانبان العاليان المتعاقدان فقد

رضي سمو باي تونس بأن تحتل القوات الفرنسية العسكرية المراكز التي تراها صالحة لاستتباب النظام والامن بالحدود والسواحل . ويزول هذا الاحتلال عندما تتفق السلطتان الحربيتان – الفرنسية والتونسية – وتقرران معاً بان الادارة المحلية قد اصبحت قادرة على المحافظة على استتباب الامن العام .

البند الثالث : تتعهد دولة الجمهورية الفرنسية ببذل مساعدتها المستمرة لسمو الباي وحمايته من كل خطر يمكن أن يهدد ذاته أو عائلته أو يعبث بأمن مملكته .

البند الرابع – تضمن الدولة الفرنسية تنفيذ جميع المعاهدات المعقودة بين الدولة التونسية ومختلف الدول الاوروبية .

البند الخامس : يمثل الدولة الفرنسية لدى سمو الباي وزير مقيم عام تكون وظيفته السهر على تنفيذ أحكام هذه المعاهدة ويكون هو الواسطة بين الدولة الفرنسية وبين السلطات التونسية في جميع القضايا التي تهم الجانبين .

البند السادس : يكلف الممثلون الدبلوماسيون والقنصليون لفرنسا في البلاد الاجنبية بحماية رعايا المملكة التونسية ومصالحها وفي مقابل ذلك يلتزم سمو الباي بألا يعقد أي عقد ذي صبغة دولية من دون اعلام الدولة الفرنسية بذلك والحصول على موافقتها مقدما .

البند السابع : تحتفظ دولة الجمهورية الفرنسية ودولة سمو الباي لنفسها بحق الاتفاق على وضع نظام مالي بالمملكة التونسية من شأنه الوفاء بواجبات الدين العام وضمان حقوق دائني المملكة .

البند الثامن : تفرض غرامة حربية على القبائل العاصية بالحدود والسواحل وتحدد قيمة هذه الغرامة وطرق جبايتها باتفاق يعقد فيما بعد وتكون حكومة الباي هي المسؤولة على تنفيذ هذا الاتفاق .

البند التاسع : لاجل صيانة ممتلكات الجمهورية الفرنسية بالقطر الجزائري من تهريب الاسلحة والذخائر فان دولة سمو الباي تتعهد بأن تمنع قطعا ادخال

السلاح والذخائر الحربية لجزيرة جربة وبمرسى قابس والمراسي الأخرى بالمملكة التونسية .

البند العاشر : سيقع عرض هذه المعاهدة على دولة الجمهورية الفرنسية للمصادقة عليها وتسلم وثيقة التصديق عليها بعد ذلك لسمو باي تونس في أقرب وقت ممكن .

وكتب بباردو في ١٢ مايو (مايس) ١٨٨١

الامضاء : محمد الصادق باي

الجنرال بريار

٢ — المرسوم التونسي بمهمات الوزير المقيم الصادر في حزيران ١٨٨١

بعد الاطلاع على المواد ٤و٥و٦ من المعاهدة المبرمة بين حكومتنا وحكومة الجمهورية الفرنسية في ١٢ مايو ١٨٨١ التي اوجب وساطة وزير الجمهورية الفرنسية في علاقاتنا مع ممثلي الدول الصديقة ولتسهيل وسرعة حل المسائل :

تكلف وزير فرنسا المقيم في تونس بمهام وسيط رسمي وحيد في العلاقات التي يواصلها معنا مستقبلا ممثلو الدول الصديقه المعتمدون لدينا .

يبلغ هذا المرسوم بمعرفة وزير فرنسا المقيم الى حكومة الجمهورية الفرنسية والى ممثلي الدول الصديقة في تونس .

٣ — اتفاقية المرسي ١٨٨٣/٦/٨

لما كانت عناية سمو الباي المعظم متجهة الى تحسين الاحوال الداخلية بالمملكة التونسية وفقاً لاحكام المعاهدة المبرمة في الثاني عشر من شهر مايو سنة ١٨٨١ وكانت حكومة الجمهورية الفرنسية راغبة تمام الرغبة في عقد اتفاق لتحقيق هذا الغرض ، واعتمد رئيس الجمهورية الفرنسية في ذلك مسيو بولس كامبون وزيره المقيم بتونس (الحامل لنيشان الليجيون دونور صنف اوفيسيه ونيشان العهد ونيشان الافتخار من صنف الاكبر .. الخ) .

البند الاول : لما كان غرض سمو الباي المعظم أن يسهل للحكومة

الفرنسية اتمام حمايتها تكفل بادخال الاصلاحات الادارية والعدلية والمالية التي ترى الحكومة المشار اليها فائدة في ادخالها .

البند الثاني : تضمن الحكومة الفرنسية قرضاً يعقده سمو الباي لتمويل أو لدفع الدين الموحد البالغ ١٢٥ مليون فرنك والدين السائر الذي لا يمكن أن يتجاوز ١٧٥٥٠٠٠٠ فرنك ولكنها هي التي تختار الزمن والشروط الموافقة لذلك . وقد تعهد سمو الباي المعظم بألا يعقد قرضاً في المستقبل لحساب المملكة التونسية دون اذن سابق من الحكومة الفرنسية .

البند الثالث : يخصص لسمو الباي المعظم من مداخيل المملكة أولاً : المبالغ اللازمة للقيام بواجبات القرض االذي ضمنته فرنسا . ثانياً : مخصصات سمو الباي وقدرها مليونان من الريالات التونسية أي (١٢٠٠٠٠٠) فرنك وما فضل من ذلك يعين لمصاريف ادارة المملكة ودفع مصاريف الحماية .

البند الرابع : هذه الاتفاقية مؤكدة ومكملة للمعاهدة المعقودة في ١٢ مايو سنة ١٨٨١ فيما يحتاج منها الى التأكيد والتكميل ولا تتغير بها الانظمة التي سبق وضعها فيما يتعلق بتقرير الغرامة الحربية .

البند الخامس : تعرض هذه الاتفاقية على الحكومة الفرنسية للمصادقة عليها وتسلم وثيقة التصديق الى سمو الباي المعظم في اقرب وقت ممكن .

وايذانا بصحة ما تقدم حررت هذه الاتفاقية وختمها الموقعان بختميهما وكتبت بالمرسي في ٨ يوليو سنة ١٨٨٣ .

الامضاء علي باي

بيار بولس كامبون

٤ ـ قرار الجمعية العامة لهيئة الامم المتحدة في دورتها السابعة بتاريخ ١٥ ديسمبر سنة ١٩٥٢

الجمعية العامة بعد ان تناقشت في المسألة التي اقترحها ثلاث عشرة دولة من الدول الاعضاء في الوثيقة رقم ٣١٥٢ .

مدركة ضرورة تنمية العلاقات الودية بين الامم على اساس احترام مبدأ المساواة في الحقوق وتقرير مصير الشعوب .

مقدرة ان الامم المتحدة - باعتبار مركزها لتنسيق اعمال الامم للحصول على اهدافها المشتركة طبقاً الميثاق - ان تعمل جاهدة لازالة اية اسباب اوعوامل لسوء التفاهم بين الدول الاعضاء وبهذا تعيد توكيد المبادىء العامة للتعاون في سبيل المحافظة على السلم والامن الدولي .

١ - تعبر عن ثقتها بأن حكومة فرنسا - تطبيقاً للسياسة التي اعلنتها - ستبذل جهودها بصورة فعلية لازدياد نمو المنظمات الحرة للشعب التونسي طبقاً لأهداف ومبادىء الميثاق .

٢ - تعبر عن املها في ان الفرقاء سيواصلون المفاوضات بصورة عاجلة لتحقيق الحكم الذاتي .

٣ - تناشد الفريقين المعنيين بأن يسيروا في علاقاتهما وان يسويا النزاع القائم بينهما طبقاً لروح الميثاق وان يكفا عن القيام بأية اعمال او اجراءات من شأنها ان تزيد في خطورة التوتر الراهن .

* * *

الجمهورية الجزائرية

[المساحة ١٢٠٤٨٦٤ كم² يصلح للزراعة منها ٣٧٤٠٠٠ كم² يملك الاوروبيون قرابة ثلاثة ارباعها] .

كانت الجزائر اول بلد عربي خضع للعثمانيين واول بلد خسروه . كذلك كانت اول بلد عربي خضع للاستعمار الاوروبي واكثر البلاد العربية مقاومة لهذا الاستعمار .

انقذ العثمانيون الجزائر من الخطر الاسباني فخضعت لهم طائعة راغبة ولكنهم لم يحسنوا ادارتها . واصبح للجزائر العثمانية اسطول ضخم ساهم اكثر من مرة في حماية فرنسا من الخطر الاسباني والالماني وغدا ميناء طولون الافرنسي قاعدة صديقة يكثر اسطول الجزائر من استعمالها . وتطور اسطول الجزائر مع تطور فن الملاحة فغدا في القرن السابع عشر من احدث واقوى اساطيل العالم وبلغ من قوة هذا الاسطول انه حاول مرة حرق مدينة لندن لولا مسارعة الاسطول الهولندي الى التدخل لانجاد بريطانيا . وساهم هذا الاسطول في دعم الثورة الامريكية والثورة الافرنسية . واعترف حاكم الجزائر باستقلال الولايات المتحدة الامريكية وعقد معها معاهدة صداقة عام ١٧٩٥ ولكن الولايات المتحدة تنكرت للجزائر وكان اول نشاط قام به الاسطول الامريكي في البحر المتوسط هو قصف الجزائر عام ١٨١٥ . وبعد عام هاجم الاسطول البريطاني بمساعدة الاسطول الهولندي الجزائر في ٢٧ آب ، وقام الانجليز بهجوم آخر في حزيران ١٨٢٥ . واخيراً تمكن الاسطولان الافرنسي والبريطاني من تحطيم اسطول

الجزائر غدراً في نافارينو عام ١٨٢٧ . واصبحت سواحل الجزائر مكشوفة لهجمات الاعداء الذين سارعوا الى اغتنام الفرصة .

ولم يكن حادث ضرب الداي حسين للقنصل الافرنسي دوفال بالمروحة في ١٨٢٧/٤/٢٧ الا حجة بسيطة . وشرعت فرنسا بالاستعداد للقتال الى ان اتمت استعداداتها عام ١٨٣٠ . وابحرت ١٠٣ سفن حربية افرنسية و ٤٠٠ سفينة نقل تحمل ٤٠٠٠٠ جندي وثلاثة آلاف مدفع قاصدة بقيادة المارشال بورمون الجزائر . ونزلت هذه القوة البر واحتلت سيدي فرج في ١٤ حزيران وهزمت القوات الجزائرية بعد خمسة ايام . وفي الخامس من تموز استسلم الداي وسلم مدينة الجزائر . وغادر الداي الجزائر الى الاسكندرية وتوفي فيها بعد ثمانية اعوام . ويقال ان الافرنسيين وجدوا في خزانة الجزائر ٢٥ مليون فرنك ومثلها فضة بالاضافة الى اشياء ثمينة اخرى .

ولكن احتلال مدينة الجزائر لم يؤد الى خضوع جميع البلاد . فلم يكن الداي الا حاكماً على عمالة الجزائر وحدها ، وكان على الافرنسيين ان يخضعوا العمالات الاخرى وهي قسطنطينة ووهران . واستمرت مقاومة احمد بك صاحب قسطنطينية الى عام ١٨٣٧ واتم الافرنسيون احتلال العمالة عام ١٨٣٩ . اما حسن بك حاكم وهران التركي فقد انهت مقاومته عام ١٨٣٢ .

وبرز على مسرح النضال الامير عبد القادر بن محي الدين الحسيني الجزائري (١٢٢٢/١٨٠٨ ١٨٨٣) . بويع عبد القادر في ١٨٣٢/١١/٢١ وجعل المعسكر عاصمة له . وتمكن من حمل القائد الافرنسي على عقد معاهدة معه في ١٨٣٤/٢/٢٦ تخلى الافرنسيون بموجبها عن عمالة وهران باستثناء وهران نفسها . وحاول الافرنسيون بعد عام اغتنام فرصة ثورة القبائل على الامير واستنجادها بهم فتدخلوا يحاولون اخضاعه ولكنه هزمهم في معركة نهر المقطع في ١٨٣٥/٧/١٦ . وتمكن القائد الجديد المارشال كلوزل (١٨٣٥ ـ ١٨٣٧) من احتلال المعسكر ولكنه عقد مع الامير صلحاً مماثلا للصلح الاول في ١٨٣٧/٥/٣٠ . ودام الصلح

الجديد لمدة سنتين. ونشب القتال مرة اخرى بين الامير والافرنسيين في اواخر ١٨٣٩ الى ١٨٣٤ حينما اجبر على الفرار الى مراكش. وحاول سلطان مراكش السلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام العلوي (١٨٢٢-١٨٥٩) مساعدة الامير ولكن الافرنسيين هزموه في معركة ايسلي في ١٨٤٤/٨/١٢ واجبروه على توقيع صلح في ١٨٤٤/٩/١٠ تعهد بموجبه باجلاء الامير عبد القادر. وانقض عبد القادر على الافرنسيين سنة ١٨٤٦ ولكنه اضطر الى الاستسلام في ١٨٤٧/١٢/٢٤ ، وبقي اسيراً الى ١٨٥٣. وسمح له بالذهاب الى البلاد العثمانية فقصد الاستانة ثم دمشق عام ١٨٥٥ وساهم في حماية النصارى في دمشق عام ١٨٦٠ وتوفي في دمشق عام ١٨٨٣. وخلف ولدين هما محي الدين ومحمد باشا وقد ذهب الاول الى مراكش عام ١٨٧٠ واشترك في ثورة المقراني بدون علم ابيه. وبعد استسلام عبد القادر اصدرت فرنسا في ١٨٤٨/٣/٥ مرسوماً اعلنت فيه الجزائر جزءاً لا يتجزأ من الارض الفرنسية.

ولكن الجزائر لم تستسلم ورفضت الانضمام والدمج. وحمل ثقل النضال في الفترة الاولى رجال القبائل واضطر الجنرال راندون (١٨٥٣ - ١٨٥٧) الى شن حملات انتقامية عنيفة ضد القبائل الصغرى والكبرى. ولم تهدأ القبائل اذ ثار بعد عامين بنو سناسن ١٨٥٩ واولاد سيدي الشيخ جنوبي وهران ١٨٦٤ - ١٨٦٧ والمقراني ١٨٧١ - ١٨٧٢ واولاد سيدي الشيخ واولاد أبي عمامة ١٨٨١ وبنو زيد بقيادة الحاج سعيد بن عبد اللطيف ١٩١٥ - ١٩٢١.

ولعل اهم هذه الثورات هي ثورة الاغا الحاج المقراني باشاو المرابط محمد حداد. وكان المقراني موالياً للافرنسيين وارسل برقية ودية للامبراطور نابليون الثالث عام ١٨٧٠. ولكن حكومة جامبتا اصدرت تشريعات مسيئة للعرب والمسلمين في ايلول كما منحت اليهود في الجزائر وعددهم ٩٨٠٠٠ الجنسية الافرنسية واعطت الحاكم العام حق اعتقال كل جزائري يشك بولائه وبتجريده من املاكه. وطبق الحاكم صلاحياته وجرت اعتقالات ومصادرات على نطاق واسع. وكان رد

الفعل قوياً لدى المقراني اذ قال : لقد اعطيت كلمتي لجندي (مكماهون) اما ان اتعاون مع يهودي (الوزير كريميو) او تاجر (جامبتا) فلا . وثار على قوانين جامبتا و كريميو وهاجم سوق اهراس والمليته واحتل الثوار اورغله . ودارت ٣٤٠ معركة بين المجاهدين وقوات الاستعمار واستشهد ستون الف جزائري . وارتكب الافرنسيون شتى انواع الفظائع . وشملت الثورة عمالة قسطنطينة ولكن لم تتأثر بها وهران . واستشهد المقراني في ١٨٧١/٥/٥ واستسلم شقيقه في ١٨٧٢/١/٢٠ فانتهت الثورة . واعدمت السلطات ستة آلاف شخص وصادرت خمسة ملايين دنم ارض وابعدت الى جزر كالدونيا محمد حداد وولديه وابو مزراق .

وقامت فرنسا باجراءات شديدة ضد المسلمين في ميداني القضاء والجنسية . فقد قررت في ١٨٥٩/١٢/٣١ الحاق القضاء الشرعي بالقضاء الافرنسي . وجرد القضاء الشرعي عام ١٨٧٥ من اختصاصاته في القضايا العقارية ماعدا قضايا الميراث والوصايا . واصبح من اختصاص القضاء الافرنسي بعد ١٨٨٦ النظر بكل حالة لا يوجد نص صريح انها من اختصاص القضاء الشرعي . وفي ٢٩ /١٠ /١٨٩٤ اتبع القضاء البربري بالمحاكم الافرنسية . وجاز للمحاكم الفرنسية بعد عام ١٩٤٤ ان تبت بأي قضية من اختصاص المحاكم الشرعية اذا طلب الطرفان ذلك . وبعد ايلول ١٩٤٧ الحقت كافة المحاكم بوازرة العدل في باريس .

وقسمت فرنسا الجزائر الى ثلاث مقاطعات هي (الجزائر ووهران وقسطنطينة) وانقسمت كل مقاطعة الى اقليم مدني وآخر عسكري وثالث مختلط . واشرف على ادارة البلاد كلها حاكم عام يساعده مجلس اعلى ومجلس استشاري .

واعتبرت فرنسا الجزائر جزءاً لايتجزأ من الارض الافرنسية منذ الرابع من آذار ١٨٤٨ . ولكنها لم تمنح الجزائريين الجنسية الافرنسية . وصدر اول قانون للجنسية الجزائرية في ١٨٦٥/٧/١٤ وسمح للجزائريين بعد عام بانتخاب اعضاء للمجالس

البلدية . ولكن ما ان سقطت الامبراطورية وذهب نابليون صاحب هـذه الافـكار حتى تغير موقف الحكومة الافرنسية . فقد استهدف جامبتا ووزيره اليهودي كريمو ابقاء المسلمين في الجزائر رعـايا واعتبار الارض الجزائرية والنصارى واليهود فيها فقط جزءاً من فرنسا . وسمح للفرنسيين (اي النصارى واليهود الذين يحملون الجنسية الافرنسية) بالاشتراك بالانتخابات الافرنسية بعد ١٨٨٨و سهلت فرنسا التجنس بموجب قانون ١٩١٩/٢/٤ للجزائريين الذين يتخلون عن اصرارهم بتطبيق قانون الاحوال الشخصية الاسلامي ، ولكن لم يحاول غير ثلاثة آلاف جزائري الاستفادة من هذا القانون خلال سبعة عشر عاماً . ورغم عدم دخول الجزائريين المسلمين في الجنسية الافرنسية فان فرنسا فرضت عليهم بعد عام ١٩١١ الجندية الاجبارية وجندت منهم اكثر من مئة الف جندي خـلال الحرب العالمية الاولى . ولم يخلصوا في القتال واغتنموا كل فرصة مناسبة للفرار واللحاق بصفوف العثمانيين والالمـــان وكان من بين من فر فرقة الضابط الحاج محمد بوكاية بـكاملها .

واتجه نضال الجزائرايين خلال النصف الاول من القرن العشرين اتجاهـاً سياسياً كان ابرز من النضال العسكري . فقد تأسس عام ١٩١٠ **لجنة وطنية** برئاسة المحامي ابي دربة وعضوية الصحفي صديق دوران والمالي الحاج عمـار سعت لتحقيق الجامعة الاسلامية والارتباط بالحركات التحررية القائمة في العـالم الاسلامي . وبعد الحرب العالمية الاولى شكل وفد الضباط الجزائريين برئاسة الامير خالد بن الهاشمي بن عبد القادر وفداً سافر لفرنسا ليطالب مؤتمر الصلح بانصاف الجزائر وقدم مذكرة الى الرئيس الاميركي ولسون . واسس خالد **كتلة المنتخبين المسلمين الجزائريين** التي كان من اهدافها الحصول على كافة الحقوق للجزائريين وايقاف الهجرة وتحسين الاحوال الاجتماعية . واصـدروا جريدة الاقدام . وذهب خالد الى باريس عام ١٩٢٤ ليؤسس مع الحاج عبد القـادر الجزائري وعلي الحمامي المراكشي (وكلاهما اعضاء في اللجنة الادارية للحزب

الشيوعي الافرنسي) **لجنة الدفاع عن شمال افريقيا** التي اصدرت جريدة الاقدام. وهكذا تورط الوطنيون بالتعاون مع الشيوعيين وقرنوا حركتهم التحررية بالشيوعية زمناً. واضطر خالد الى مغادرة بلاده والذهاب الى دمشق حيث بقي يدعو لقضية الشمال الافريقي. وتوفي خالد في دمشق عام ١٩٣٦.

واعتبر الشيوعيون الفرنسيون الدعوة لتحرير الجزائر وتونس حماقة خطيرة بالرغم من ان الكومنترن كان قد طالب في ٢٠ ايار ١٩٢٢ بتحرير الجزائر. واظهر الشيوعيون الافرنسيون في الجزائر انهم لايقلون تمسكاً بفرنسية الجزائر عن غيرهم من الفرنسيين. لقد كان الشيوعيون في فرنسا ومستعمراتها من دعاة تثبيت دعائم الامبراطورية الافرنسية.

واتخذ النضال في الجزائر سبيلا اكثر شعبية بعد فشل حركة الامير خالد. فقد بدأ مصالي الحاج منظمة جديدة للاسعاف الثقافي وخسر الطبقة العاملة من ابناء المغرب في فرنسا. وتطورت هذه الحركة لتصبح عام ١٩٢٦ ما عرف **بنجم الشمال الافريقي** كاستمرار **للجنة الدفاع عن شمال افريقيا** المؤسسة عام ١٩٢٤. واعلنت الجمعية ان غايتها هي الدفاع عن المصالح المادية والادبية والاجتماعية للمسلمين المغاربة وتربية اعضاء الجماعة. وانضم اليها حتى عام ١٩٢٩ خمسة آلاف عضو. واستطاعت ان تعقد اجتماعاً برئاسة مصالي الحاج وطالبت بتحسين احوال الجزائريين وجعل التعليم باللغة العربية اجباريا.

وضاقت فرنسا ذرعاً بهذه المطاليب المتواضعة فحلت الجمعية. ولكن الجمعية واصلت نشاطها سراً باسم **حركة النجمة المجيدة**. واصدر مصالي الحاج في فرنسا عام ١٩٣٠ جريدة الامة التي اسمت البلاد صوت الجمعية. ورفعت الجمعية مذكرة لعصبة الامم شرحت فيها فظائع فرنسا في الجزائر. وتمكنت النجمة المجيدة من عقد مؤتمرها الثاني عام ١٩٣٣ اعلنت فيه ان مطالب البلاد هي:

١ – استقلال الجزائر

٢ – جلاء القوات الاجنبية

٣ ـ تأسيس جيش جزائري قومي

٤ ـ حرية الصحافة والاجتماع

٥ ـ حق الجزائريين بالوظائف

٦ ـ جعل العربية لغة رسمية

ويلاحظ التقدم الكبير الذي خطته الحركة في الميدان السياسي . اذ كان الساسة يطالبون عام ١٩١٠ بتطبيق قانون ١٨٦٥ القاضي بالمساواة بين الافرنسيين والجزائريين . ثم تطورت المطالب حينما نادى الامير خالد وجماعته عام ١٩١٩ بمنح الجزائريين كامل الحقوق واصلاح احوالهم الاجتماعية ووقف الهجرة . ولكن ما هي الحقوق الكاملة التي طالبوا بها ؟ يبدو انها لم تكن اكثر من الحقوق التي تتمتع بها اليهود والنصارى ولا تخرج عن تطبيق قانون ١٨٦٥ . وهكذا يكون وقف الهجرة هو المطلب الجديد . ثم طالب مصالي الحاج عام ١٩٢٦ بجعل تعلم اللغة العربية اجباريا . والآن اصبح الطلب واضحاً ومتفقاً مع رغبات الشعب الحقيقية : الاستقلال والجلاء .

وكما كان متوقعاً ثارت ثائرة الافرنسيين واعتقلوا زعماء النجمة المجيدة بدعوى تنظيم جمعية ممنوعة ودعوتهم الجنود الجزائريين للثورة . ودخل السجن مصالي الحاج واماش عمار وبلقاسم . ولكن الاعتقال لم يفت في عضد الحركة التي واصلت نشاطها باسم الاتحاد الوطني لمسلمي الشمال الافريقي . ونجحت الحركة في حمل السلطات الافرنسية على اخلاء سبيل المعتقلين . وعاد الزعماء للنضال ثانية متحررين من النفوذ الشيوعي واليساري ليكافحوا في جو وطني عربي اسلامي فعادت السلطات الافرنسية الى اعتقال بلقاسم واماش وفر مصالي الحاج الى جنيف ليعمل مع الامير شكيب ارسلان .

ونشأت في الجزائر عام ١٩٢٨ حركة من نوع جديد هي جمعية العلماء المسلمين . فقد اسسها عبد الحميد بن باديس القسطنطيني تلميذ الزيتونة والدعوات السلفية . واصدر ابن باديس جريدة الشهاب الاسبوعية ثم جعلها شهرية . وافتتحت الجمعية

عدداً من المدارس وارسلت البعثات الى الجامعات الاسلامية في تونس والمغرب ومصر والى مدارس الشام والعراق . وكان شعار الجمعية : شعب الجزائر مسلم والى العروبة ينتمي . وطالبت الجمعية في مؤتمرها التاسع بالاعتراف باللغة العربية كلغة قومية ومنح حرية الدين والعبادة واعادة الاوقاف الى الادارة الاسلامية وتنظيم المحاكم الشرعية . كانت دعوة دينية سلفية تقاوم الاندماج وتحض على المحافظة على الصبغة العربية الاسلامية للجزائر وكان ابن باديس (كمحمد عبده في مصر) مسالما مهادنا المستعمر . وقويت الحركة بعد عودة الشيخ البشير الابراهيمي والشيخ الطيب العقبي من الشرق . وازداد تطرف الجمعية بعد ان تخلصت من المؤسس نفسه الذي توفي عام ١٩٤٠ وكان مسالماً سياسياً كما تخلصت من العقبي بعد عام ١٩٣٨ الذي استقال لأن الجمعية رفضت تجديد الولاء لفرنسا . وبزعامة البشير اصبحت الجمعية اكثر تعاونا مع الشرق العربي .

وظهرت دعوات انهزامية في صفوف المثقفين في هذه الفترة . فقد الف الصيدلي فرحات عباس (ولد عام ١٨٨٩ وابوه من المهادنين) كتابا عام ١٩٣١ باسم الشبيبة الجزائرية . وجاء في هذا الكتاب انه حاول عبثاً البحث عن الشخصية الجزائرية في التاريخ وفي الحاضر فلم يجدها وانتهى الى نظرية : فرنسا هي انا . والف بالاشتراك مع محداد رسالة عن النظام الاستعماري قالا فيها ان القضاء على الاستعمار يتم عن طريق الالحاق بحيث لا تبقى الجزائر مستعمرة بل تصبح مقاطعة افرنسية . وقد رد عليها الشيخ ابن باديس في الشهاب في نيسان ١٩٣٦ فقال ان الشخصية الجزائرية هي امة مسلمة جزائرية وجدت وتشكلت كغيرها من امم الارض والاستقلال حق طبيعي للشعوب .

وبرز نشاط فئة جديدة عرفت بالمتخبين . وهم النخبة المسلمة التي تخرجت من المدارس والمعاهد الافرنسية وتفرنست ثقافة ولغة وتفكيراً وسلوكاً وانقطعت صلتها باللغة العربية وغالباً ماجهلتها ولم يعد يربطها بقومها الا العاطفة الاسلامية . وكان همها الاول هو حل مشكلة علاقاتها مع فرنسا والافرنسيين .

فهم يريدون مساواة في الحقوق مع الاحتفاظ باحوالهم المدنيـة وبدينهم . وطالب بعضهم ، لا سيما الدكتور الزناتي في جريدته صوت الاهالي ، بالتجنس الكلي الاجباري بدون قيد او شرط والغاء القوانين الجائرة وجعل العربية لغة رسمية وتطهير الوظائف واتاحة الفرصة لانتخاب نواب جزائريين . وشكلوا **اتحاد المنتخبين** برئاسة الدكتور بن جلون وضم جلما والاخضري وفرحات عباس وسعدان . وتبنوا مشروع الشيخ الافرنسي موريس فيوليت حاكم الجزائر السابق (١٩٢٥ - ١٩٢٧) الذي اقترح منح الجزائريين حق التصويت دونما اخلال باحوالهم الشخصية .

وشوه الحركة الوطنية في الجزائر وفي المغرب العربي كله قيام حكومة الجبهة الشعبية في فرنسا عام ١٩٣٦ . وضمت هذه الجبهة الاشتراكيين والشيوعيين الذين تصنعوا العطف على قضايا شعوب المستعمرات . وجاءت باريس وفود من سورية وتونس والجزائر ومراكش تبغي مساعدة هذه الجبهة او على الاصح مساعدة الشيوعيين والاشتراكيين لهم على نيل حقوقهم . وفي سبيل هذه الغاية تحالفت الحركة الوطنية في بلادها مع الشيوعيين واطلقت لهم حرية العمل . وانعقد في ١٩٣٦/٦/٧ المؤتمر الاسلامي في الجزائر برئاسة ابن جلون . وحضر مصالي الحاج من باريس ليلقي خطابا في المؤتمر يعلن فيه ان المطلب الاساسي هو الاستقلال . وقاطعه ابن جلون معلناً ان رغبة الجزائريين هي التطور ضمن العائلة الافرنسية . وغضب الشيوعيون من هذه الجرأة وشعروا بيأس من الحركة الوطنية الجزائرية بل العربية . فقد تسامحوا في دعوتهم ببعض نقاط الدين والقومية في سبيل كسب العمال والمثقفين العرب الى صفوفهم ودعموا الحركة الوطنية وشجعوها على امل جعلها شيوعية ولكن الحركة اصبحت قومية تستهدف استقلال الجزائر لا تقوية الجبهة الشعبية ودعم الشيوعية . فبدأ الشيوعيون يحاربون الحركة الوطنية . واصدر رئيس الجبهة الشعبية الافرنسية ورئيس الوزراء اليهودي بلوم امراً بحل نجمة الشمال الافريقي .

ولم يكتف الشيوعيون بمقاومة الاحزاب الوطنية بل قاوموا حزب العمال الجزائري الذي اسس في ٢٠/٣/١٩٣٧ وكان هذا الحزب متأثراً بالشيوعيين الافرنسيين وموالياً لهم ولكنه يختلف عنهم في النظرة الدينية. وساء الشيوعيين أن يروا هذا الحزب اشد جذباً للعمال من الشيوعية فقاوموه وتعاون الشيوعيون مع رابطة العلماء في سبيل القضاء عليه وأيدوا الرابطة في تأسيس مدارس دينية اسلامية لمقاومة نشاط حزب العمال. واستاء كثيرون من موقف الشيوعيين واليهود الشاذ فأرادوا الانتقام بتأييد حزب الشعب الافرنسي برئاسة دريو الذي كان يدعو لمقاومة الشيوعية واليهود والنظام الديموقراطي.

ولم ييأس مصالي الحاج بل الف حزبا جديداً سماه **حزب الشعب الجزائري.** واقام هذا الحزب في ١٤ / ٧ / **١٩٣٧** استعراضاً رفع فيه العلم الجزائري لاول مرة واعلن شعاراته: العربية لغتنا والاسلام ديننا والارض للفلاح. ودعا الى اقامة برلمان جزائري والى مقاومة الامتزاج والاستعمار. واعتقل مصالي الحاج ولكن الحزب واصل نشاطه وعقد في كانون الثاني ١٩٣٨ مؤتمره الثاني في باريس. وانتخب مصالي الحاج وهو معتقل نائباً فالغت السلطات الانتخاب. ولكن عندما نشبت الحرب عام **١٩٣٩** اعلن مصالي الحاج حل الحزب واوقف اصدار جريدتي **البرلمان الجزائري والامة**. ومع ذلك لم يعفه هذا من صدور حكم من محكمة فيشية عليه عام ١٩٤١ بالسجن ١٦ سنة وبالنفي ٢٠ سنة وبالتجريد من الاملاك.

وحاولت حكومة الجبهة الشعبية الافرنسية اتخاذ اجراء يرضي المسلمين والمستوطنين الافرنسيين. واستقبل رئيس الوزراء المسيو بلوم وفدا جزائريا بحضور الوزير موريس فيوليت في ٢٣ تموز ١٩٣٦ كما اجتمع في آخر العام بالنواب الافرنسيين الذين يمثلون الجزائر. فعارض المستوطنون بشدة مشروع فيوليت القاضي بمنح ٢٧٠٠٠ مسلم جزائري الجنسية الافرنسية وعقد رؤساء البلديات في عمالة وهران اجتماعاً في الخامس من كانون الثاني ١٩٣٧ واتخذوا

قراراً بشجب مشروع فيوليت . وايدهم بعد ثلاثة ايام زملاؤهم في عمالة قسطنطينة ، وانضم اليهم في ١٤ كانون الثاني رؤساء بلديات عمالة الجزائر . واتخذ اتحاد رؤساء البلديات العام في القطر الجزائري قرارا بشجب مشروع فيوليت .

ورحب المسلمون بالمشروع وشجبوا معارضة المستوطنين له . فقد ايده اتحاد الناخبين المسلمين في وهران في اليوم الذي شجبه فيه رؤساء بلديات قسطنطينة ، وتوالت حركات التأييد من الجزائر وقسطنطينة . واشتدت مطالبة المسلمين بمنحهم الجنسية الافرنسية واستقال ثلاثة آلاف جزائري من رجال الادارة المحلية احتجاجاً على تأخير منح الجنسية للجزائريين . وترأس ابن جلول وفداً قابل وزير افريقيا اول العام الجديد وابلغه استعداد الموظفين الجزائريين لسحب استقالاتهم اذا نفذ مشروع فيوليت .

وقدم مشروع فيوليت الى البرلمان الافرنسي آخر عام ١٩٣٧ ، واقرت احدى لجان المجلس المادة الاولى منه بعد اجراء بعض التعديل عليها . وثارت ثائرة المستوطنين وقدم ٣٢٠ رئيس بلدية ونائب رئيس بلدية استقالاتهم الجماعية في العاشر من آذار ١٩٣٨ . وبعدما شكل دلاربه وزارته في ٤ نيسان طمأن (دلادييه Daladier) المستوطنين وحملهم على سحب استقالاتهم في ٢٢ نيسان . واتبعت الوزارة الجديدة سياسة الشدة نحو المسلمين وكافحت بعنف حملة رابطة العلماء على اليهود والصهيونية .

وتأسس في تموز ١٩٣٨ **التجمع الفرنسي الاسلامي** . وانضم الى التجمع رابطة العلماء والنقابيون والمحاربون القدماء وحزب الشعب وممثلون اوروبيون للنقابات والحزب الاشتراكي الافرنسي والحزب الشيوعي الافرنسي بينما رفض فرحات عباس الانضمام اليهم . ودعا التجمع الى تحقيق مطالب الجزائر بتوثيق الصلات مع التجمع الشعبي الافرنسي . اما فرحات فقد صحا من تفكيره القديم

وبدأ ، ككثيرين غيره ، بالتخلي عن فكرة الامتزاج والاندماج واسس في العام نفسه حزب **الاتحاد الشعبي الجزائري** للفوز بحقوق الانسان والمواطن ودعا الى العمل الشعبي لتحقيق اهدافه . والف فرحات كتاب الشبيبة الجزائرية وتزعم حركة حزب البيان .

ولم يتغير الموقف السياسي بعد دخول قوات الحلفاء في أواخر ١٩٤٢ . فقد بقي المعتقلون في السجون . وواصل حزب الشعب نشاطه بزعامة الدكتور الامين . ثم الف اعضاء حزب الشعب عام ١٩٤٦ ، بعد عودة مصالي الحاج من المنفى الى الاقامة الجبرية في بوزريعة ، **حزب انتصار الحريات الديموقراطية**. وهو حزب برلماني لا ينادي بالاستقلال التام ولكنه دعا في بيانه المطبوع في ١/٤/١٩٥٣ وفي مؤتمره الثاني في الجزائر في ٦/٤/١٩٥٣ الى الغاء النظام الاستعماري وتأسيس جمهورية ديموقراطية اشتراكية ومجلس تأسيسي ذي سيادة بالانتخاب العام يكون بقسم واحد بدون تفريق على أساس الجنس والدين .

واسس فرحات عباس **حزب البيان** ثم **حزب اصدقاء البيان الجزائري**. وقدم الحزب في ١٠/٢/٩٤٣ مطالبه لدول الحلفاء وهي جمهورية جزائرية داخل الاتحاد الافرنسي . وفصل هذه المطالب في ٢٦/٥/١٩٤٣ . فأمر كاترو بابعاد عباس والسايح عبد القادر ولكن هذا لم يفت في عضد الحزب . واضرب الممثلون الجزائريون في ٢٣/٩/١٩٤٣ فاعتقلوا وعزلوا . وصدر في ٧/٣/١٩٤٤ قانون المساواة الذي اعتبر الجزائريين مواطنين افرنسيين ولكن ذلك لم يرض وطنيي مابعد الحرب . والف البيان مع مصالي الحاج في كانون الثاني ١٩٤٥ جبهة واحدة . وبعد أشهر في ٨ ايار ١٩٤٥ ، بدأت الحوادث الدامية في الجزائر .

واصدرت فرنسا في ٢٠/٩/١٩٤٧ دستوراً جديداً للجزائر جعلتها بموجبه

مجموعة عمالات ودوائر افرنسية لها استقلال داخلي وموازنة خاصة ويرأس الادارة فيها حاكم عام تعينه الحكومة الافرنسية . أما دوائر العدل والمعارف فقد الحقت بالوزاوات المركزية في باريس . وساعد الحاكم العام مجلس حكومة وجمعية تشريعية جزائرية . وتألف مجلس الحكومة من ستة اعضاء يعين الحاكم العام اثنين منها وتعين الجمعية التشريعية الباقين . وتألفت الجمعية التشريعية من ١٢٠ عضوا ينتخبون لست سنوات على ان يكون نصفهم من المسلمين الجزائريين . وقسمت الجزائر الى دائرتين انتخابيتين احداهما اوروبية تضم ٥٥٠٫٠٠٠ ناخب اوروبي ومسلم فرنسي (أي جزائري اصبح بمنزلة الاوروبي بسبب ثقافته او خدمته العسكرية) والى دائرة اسلامية تضم $1\frac{1}{3}$ مليون ناخب مسلم . وانتخبت كل دائرة منها ستين عضوا للجمعية التشريعية الجزائر وخمسة عشر عضوا للجمعية الوطنية الافرنسية في باريس وسبعة اعضاء لمجلس الجمهورية وجرت اول انتخابات في نيسان ١٩٤٨ .

ولكن فرنسا كانت تأتي دوماً بحلول متأخرة بينما كان تفكير الوطنيين في تطور حسب الطريق الصحيح . وما كان يرضي « المنتخبين » عام ١٩٣٧ لم يعد يرض وطنيي ١٩٤٧ . وتابع الجزائريون نضالهم السياسي للحصول على الاستقلال وشكلت عام ١٩٥١ **الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحريات** وضمت حزبي مصالي الحاج وفرحات عباس بالاضافة الى رابطة العلماء والحزب الشيوعي وعدد من المستقلين . واصدر مصالي الحاج في اول نيسان ١٩٥٣ بيانا طالب فيه بالغاء النظام الاستعماري وانتخاب مجلس تأسيسي ليضع دستور الجمهورية الديموقراطية الاشتراكية الجزائرية . ونشب خلاف في صفوف حزب انتصار الحريات الديموقراطية ، واستطاع رئيسه مصالي الحاج ان يحمل مؤتمر الحزب المنعقد في ١٤ – ١٥ تموز ١٩٥٤ على منحه سلطات مطلقة . وبادر مصالي الحاج الى استخدام سلطاته فحل اللجنة المركزية وطرد الامين العام الحسين الاحول

وشكل لجنة جديدة وعين السيد مربح مولاي اميناً عاماً جديداً ولم تعترف اللجنة المركزية بهذا الاجراء وعقدت اجتماعا في الجزائر اعادت فيه تعيين الحسين الاحول اميناً عاماً . وبدأت مراشقات صحفية بين الطرفين .

ورأت الاحزاب الجزائرية الاخرى ان طريق النضال الصحيح هو النضال المسلح فتآلفت فيما بينها وشكلت جبهة التحرير الجزائرية التي اعلنت الثورة في او تشرين الثاني ١٩٥٤ ونقلت قضية الجزائر الى الميدان الدولي . وعرضت القضية الجزائرية على مجلس الامن الدولي في الخامس من كانون الثاني ١٩٥٥ فرفض اكثرية الاعضاء بحث القضية . وقررت الدول الاسيوية عرض القضية على الهيئة العاشرة للامم المتحدة في ٢٩ تموز ١٩٥٥ ، ولكن فرنسا قاطعت الجلسات بحجة انها قضية داخلية لايحق للامم المتحدة مناقشتها ولم يجر نقاش واجل البحث في القضية ، وحاول وزير الجزائر الجديد الجنرال كاترو ان يحل القضية في شباط ١٩٥٦ على اساس منح الجزائر استقلالا داخلياً ولكن مظاهرات المستوطنين العنيفة حملته على الاستقالة بعد ثلاثة ايام من تصريحه فخلفه روبير لاكوست . ورفض مجلس الامن للمرة الثانية بحث القضية عام ١٩٥٦ فطرحت على الهيئة الحادية عشر للامم المتحدة بطلب من ١٥ دولة اسيوية افريقية فاتخذت في ١٥ شباط ١٩٥٧ قراراً يدعو الى حل القضية حلا سلمياً . وجاءت توصية الهيئة الثانية عشر اكثر تأييدا للقضية الجزائرية .

وقام المستوطنون والجيش الافرنسي في الجزائر بانقلاب في ١٣ ايار ٢٩٥٨ وجاءوا بالجنرال ديغول الى الحكم . وحاول ديغول ايجاد حل سلمي للقضية على اساس ابقاء الارتباطات مع فرنسا وقدم عرضه هذا في الرابع من حزيران ١٩٥٨ . وابدى ديغول استعداده للتفاوض مع جبهة التحرير لوقف اطلاق النار . ولكن ديغول لم يقدم اسساً معقولة يمكن

التفاوض على اساسها فمضى هو في طريقه الانقلابية في فرنسا لينهي الجمهورية الرابعة وليصبح في الثامن من كانون الثاني ١٩٥٩ اول رئيس للجمهورية الخامسة . اما جبهة التحرير فقد نالت في ٢٨ نيسان ١٩٥٨ تأييد الاحزاب الحاكمة في تونس ومراكش والتي قررت في مؤتمر طنجة تاسيس حكومة جزائرية . واعلن عن قيام حكومة الجمهورية الجزائرية في ١٩ ايلول ١٩٥٨ فاعترفت بها فورا جميع الدول العربية والافريقية واكثر الدول الاسيوية . وتابع جيش التحرير الجزائري القيام باروع نضال في تاريخ الامة العربية .

❀ ❀ ❀

المملكة المغربية (مراكش)

حكم مراكش خلال القرون السبعة الماضية ثلاث سلالات هي :

١ – بنو مرين من عرب زناته ١٢٧٥ – ١٥٥٠

٢ – بنو سعد العلويون الحسنيون ١٥٥٠ – ١٦٥٠

تولى الحكم من هذه السلالة ستة سلاطين تمكنوا من حماية مراكش من العثمانيين والبرتغاليين ولكنهم لم يستطيعوا التدخل لحماية العرب في اسبانيا الذين تعرضوا لاضطهاد شديد اضطر اكثر من نصف مليون منهم على الهجرة الى مراكش حتى عام ١٦١٠ .

٣ – العائلة العلوية ١٠٥٠ / ١٦٤١ –

ثار ابو حسن علي الشريف على السعديين وتمكن حفيده الرشيد بن علي المؤيد من القضاء على الاسرة السعدية بعد نضال استمر ربع قرن . وحكم من سلاطين هذه العائلة حتى يومنا هذا سبعة عشر سلطاناً عاصر اربعة منهم عهد الحماية .

وجاء بعد رشيد اخوه اسماعيل (١٠٨٢ / ١٦٧٢ - ١١٣٩ / ١٧٢٩) اشهر ملوك العائلة واطولهم حكما . واستعاد اسماعيل عام ١٦٨٤ طنجة من الانكليز الذين كانوا قد اخذوها مهراً لزوجة ملكهم كاترينا البرتغالية عام ١٦٦١ بعد ان بقيت بيد البرتغاليين والانجليز منذ عام ٨١٨ / ١٤٦٦ ، ولكنه فشل في استعاده سبته التي احتلها الاسبان منذ ١٥٨٠ . وتبادل اسماعيل

السفارات مع ملوك فرنسا واسبانيا وحكام هولاندة . ولكن بعد وفاته انتشرت الفتن والفوضى ونشبت حرب اهلية بين اولاده محمد وعبد الملك وعبد الله الى ان استتب الأمر للأخير . وازداد التغلغل الأوروبي في عهد محمد بن عبد الله بن اسماعيل (١١٧١/١٧٥٧ - ١٢٠٤/١٧٩٢) الذي جعل طنجة مركزاً للاوربيين وعقد معاهدة مع فرنسا عام ١٧٦٧ منحهم بموجبها بعض الامتيازات كما تمركزت بريطانيا في جبل طارق عام ١٧٨٣ منتزعة الحصن من الأسبان . ومنح السلطان عبد الرحمن بن سليمان بن محمد (١٨٢٢ - ١٨٥٩) امتيازات لرعايا الولايات المتحدة الامريكية في بلاده عام ١٨٣٦ وعقد معاهدة مماثلة مع بريطانيا عام ١٨٥٦ . وفي عهده ازداد الخطر الذي يهدد مراكش بعد ان تم للافرنسيين احتلال الجزائر .

وازداد تعرض مراكش للتغلغل الاوربي خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر . فقد ازداد النفوذ الاسباني بموجب معاهدة ١٨٦١ التي عقدها مع اسبانيا السلطان محمد بن عبد الرحمن (١٨٥٩ - ١٨٧٣) . ونال قناصل الدول في طنجة حق الاشراف على شؤون المدينة الصحية بموجب معاهدة مدريد الدولية عام ١٨٨٠ . واصبح لطنجة مجلس صحي يتناوب رئاسته قنصلا فرنسا واسبانيا . واكتسب الاجانب حق تأسيس محاكم قنصلية وحماية مواطنين مراكشيين . وبعد ان فرضت فرنسا حمايتها على تونس عام ١٨٨٢ لجأ السلطان الحسن بن محمد (١٨٧٣ - ١٨٩٤) الى بريطانيا التي حمته زمناً من الاحتلال الافرنسي كذلك حاول السلطان الاستعانة بالمانيا فعقد معها معاهدة عام ١٨٩٠ .

وازدادت اطماع فرنسا في عهد اولاد الحسن عبد العزيز (١٨٩٤ - ١٠٩٧) وعبد الحفيظ (١٩٠٧ - ١٩١٢) ويوسف (١٩١٢ - ١٩٢٧) . فقد اتفقت فرنسا واسبانيا في ٢٧ حزيران ١٩٠٠ على اقتسام الاجزاء الجنوبية من مراكش فنالت اسبانيا ريو دي أورو واخذت فرنسا موريتانيا . وكانت

مراكش قد خسرت افني منذ عام ١٥١٠ . واضطر السلطان الى قبول الامر الواقع في العشرين تموز عام ١٩٠١ . كذلك تم الاتفاق بين فرنسا وايطاليا في اول تشرين الثاني عام ١٩٠٢ على منح فرنسا حرية العمل في مراكش مقابل اطلاق يد ايطاليا في طرابلس واجبرت الدول سلطان مراكش على اصدار ظهير الثالث من آذار ١٩٠٣ بتشكيل مجلس لادارة طنجة يتألف من ٢٦ عضواً يعين القناصل عشرة وينتخب الاجانب من سكان طنجة اثني عشر منهم ويعين السلطان مراكشياً واحداً كما يعين الحاخام يهودياً واحداً والحاكم المحلي مسلمين اثنين . ودفع هذا الامر المدعو ابو حمارة الى اعلان الثورة على السلطان « عبد الاجانب » وجعل تاز عاصمة له .

وكانت فرنسا تترقب الفرصة المناسبة لاحتلال مراكش وليس افضل من ثورة ابي حمارة لتحقيق هذا الهدف ، ولكن بريطانيا والمانيا كانتا في المرصاد . وسلمت بريطانيا باطماع فرنسا بموجب معاهدة الثامن من نيسان ١٩٠٤ مقابل اعتراف فرنسا بوضع بريطانيا في مصر . ونصت الاتفاقية الجديدة على مايلي :

١ – لفرنسا حق حفظ الامن وتقديم المساعدات للقيام باصلاحات .

٢ – تبقى معاهدة بريطانيا القديمة مع مراكش سارية المفعول .

٣ – لاتتخذ اجراءات مالية ولاتسن قوانين ضارة بالمصالح البريطانية .

٤ – تبقى المنطقة الساحلية الشمالية غير محصنة باستثناء مليلة وتوضع تحت اشراف اسبانيا .

٥ – لايحق لاسبانيا التنازل عما اعطي اليها لدولة اخرى .

٦ – تصبح الاتفاقية سارية المفعول حتى ولو رفضتها اسبانيا .

وقد قبلتها اسبانيا في الثالث من تشرين الاول وعقدت اتفاقية مع فرنسا في اول ايلول ١٩٠٥ نصت ايضاً على ايكال الامن في طنجة الى قوة اسبانية فرنسية مشتركة . وجاء امبراطور المانيا الى طنجة آخر آذار ١٩٠٥ ليؤكد

صداقته للسلطان محاولا احباط المؤامرة الافرنسية الاسبانية البريطانية .

وعقد مؤتمر الجزيرة (١٥ كانون الثاني – ٧ نيسان ١٩٠٦) لدراسة الوضع في مراكش. وحضر المؤتمر ممثلو الدول الثلاثة عشر التي حضرت مؤتمر ١٨٨٠. ووقفت اسبانيا وروسيا وانجلترا وايطاليا في صف واحد مؤيدين فرنسا وغدت المانيا وحيدة لا ناصر لها غير النمسا . وتم الاتفاق على الاعتراف بسيادة السلطان واستقلاله ووحدة اراضيه مع المساواة التجارية لجميع هذه الدول في مراكش ومساعدة السلطان على تنفيذ برامج الاصلاح . وتقرر تأسيس بنك مركزي برأسمال دولي وتشكيل بوليس اسباني افرنسي بقيادة سويسري .

ولكن قبل ان يمر عام واحد على توقيع الاتفاقية كانت فرنسا واسبانيا قد شرعتا بخرقها . فقد احتل الافرنسيون وجده والدار البيضاء عام ١٩٠٧ رغم تعهدهم باحترام (سيادة السلطان واستقلال ووحدة أراضيه) واحتلت اسبانيا كلا من مليلة وسبته . وثار المراكشيون على السلطان عبد العزيز وخلعوه ونصبوا اخاه عبد الحفيظ (١٩٠٧-١٩١٢) الذي قضى على ثورة أبي حماره وعقد قرضاً بمئة مليون فرنك لتسديد نفقات حملاته العسكرية. واستمرت نقمة المراكشيين على السلطان الجديد وحاصروا السلطان في فاس في نيسان فتقدمت قوة افرنسية لانجاد السلطان فدخلت فاس في ٢١ ايار ١٩١١ ومكناس في الثامن من حزيران والرباط في التاسع من تموز . فثارت ثائرة امبراطور المانيا وارسل قطعة حربية في اول تموز الى المياه المراكشية . ولكن فرنسا ارضته بقطعة من الكونغو فأقر الاحتلال الافرنسي لمراكش في الرابع من تشرين الثاني .

واستمرت ثورة السكان على السلطان. واباد الوطنيون الحامية الافرنسية في فاس في ١٨/١٧ نيسان فزحف المارشال ليوتي في آخر نيسان ١٩١٢ على فاس فأعاد احتلالها وفرض على السلطان في ٣٠ آذار معاهدة حماية. وندم عبد الحفيظ على عمله فتنازل عن السلطة لاخيه يوسف (١٩١٢-١٩١٧) في الثاني عشر من آب ٢٧ شعبان ١٣٣٠ ولجأ الى طنجة حيث سبقه اخوه عبد العزيز ، وتوفي

عبد الحفيظ في فرانسا عام ١٩٣٧ . وشرع الافرنسيون بتوسيع مناطق احتلالهم في مراكش فأتموا احتلال ١٦٣ الف كيلو متر مربع اوائل عام ١٩١٤ و ٢٣٥ الف كم٢ حتى تموز ١٩١٧ . وتمكن الافرنسيون من حمل عدد كبير من المراكشيين على الاشتراك في القتال في اوروبا الى جانب الحلفاء خلال الحرب العالمية الأولى . وعارض المارشال ليوتي في فرض الجندية الاجبارية في مراكش التي فرضت في تونس والجزائر . واحتج ليوتي بأن معاهدة الحماية حفظت للمغرب وضعيته كدولة تتمتع باستقلال ذاتي حقيقي تحت سيادة السلطان الفعلية الدينية والسياسية . ورأت الحكومة الفرنسية ضرورة سحب اكثر القوة الافرنسية من مراكش الى الجبهة الغربية في اوروبا مبقية فقط على القوات اللازمة لحماية المواصلات بين اهم الموانيء والمدن . وكان على ليوتي ان يحارب بعنف ضد الوطنيين امثال موحا وحمو وسعيد وسيد حما موش الذين اوقعوا بالافرنسيين هزائم هامة . وكادت القوات الوطنية بقيادة الشيخ الهبة ابن الشيخ ماء العينين ان تحرر مدينة مراكش .

وسعت فرنسا الى الاستفادة من كافة الامتيازات التي منحتها اياها معاهدة الحماية . فقد نصت المادة الاولى على تأسيس نظام جديد شامل للاصلاحات الادارية والقضائية والعلمية والاقتصادية والمالية والعسكرية وعلى ادخال كل اصلاح ترى الحكومة الافرنسية فائدة في ادخاله . واجازت هذه المادة لفرنسا حق التخلي عن هذه الحقوق لاسبانيا في منطقة الريف . واوجبت المادة على فرنسا الابقاء على وضع طنجة الخاص وحماية السلطان واحترام نفوذه وعدم المساس بالمؤسسات والشعائر الدينية .

وبادر الافرنسيون الى عقد اتفاقية مع اسبانيا في السابع عشر من تشرين الثاني ١٩١٢ تخلت بموجبها عن تعهداتها المنصوص عليها في الفقرة الاخيرة من المادة الاولى لاسبانيا . وكذلك عقدت فرنسا مع الدول ذات المصالح في طنجة معاهدة في ١٨/ كانون اول ١٩١٨ لتنظيم شؤون المدينة وتنفيذاً لاحكام المادة

الخامسة التي جعلت المقيم العام الافرنسي ممثلا لفرنسا ووسيطاً وحيداً بين السلطان والاجانب وراعياً لشؤون الاجانب . واستناداً الى احكام المادة السادسة التي كلفت ممثلي فرنسا بتمثيل المغرب في الخارج الغيت وزارة الخارجية المغربية . وغــدت مصادقة المقيم على المراسيم ضرورية لتصبح نافذة بعد ان اباحت لها المادة الثانية احتلال المغرب والمحافظة على الامن والنظام . وكذلك الغيت وزارة الحربية المغربية ووزارات الداخلية والمالية.

وابقت فرنسا على شخصية المخزن كحكومة ذاتية للبلاد . وضمت الوزارة المغربية الصدر الاعظم ووزيري العدل والاوقاف . وعملت الى جانب الوزارة هيئة مراقبين ومديرين تابعة للمقيم العام الافرنسي . وضمت الهيئة الاخيرة مصالح المالية والاشغال والصناعة والزراعة والتجارة والمواصلات والتعليم والصحة والداخلية . واحتل الافرنسيون اكثر وظائف الدولة . ومن بين ٢٠٥٠٠ وظيفة حكومية عام ١٩٤٤ شغل المراكشيون اقل من ستة آلاف منصب .

ولم تحاول فرنسا ان تتقدم بمراكش في طريق الديموقراطية . فقد وجد في مراكش قبل الاحتلال مجلس اعيان اسسه السلطان عبد العزيز . ورفض هذا المجلس اقرار معاهدة الجزيرة وساهم في خلع السلطان وسجل في عقد بيعة عبد الحفيظ الا يعقد معاهدة مع الدول الاجنبية الا بعد مشورة الامة ورضاها . وكذلك تأسست في بعض المدن مجالس بلدية منتخبة .

وجاء الافرنسيون والغوا هذه المجالس جميعاً باستثناء مجلس فاس البلدي . وحاول المارشال ليوتي عام ١٩١٦، اثر مؤتمر عقدته الغرف التجارية والزراعية والصناعية في مراكش ان يشكل مجلساً حكومياً ممثلا للجاليات الافرنسية . ولم يسمح للمراكشيين بتأسيس غرف مراكشية الا بعد ١٩٤٧ الا انهم منحوا حق التمثيل في المجلس الحكومي على ان يجتمعوا منفصلين عن الافرنسيين . ولكن هذه المؤسسة بقيت افرنسية ولم يعترف بها السلطان ولا المواطنون .

اسبانيا في مراكش

وشرعت اسبانيا تحتل المناطق المراكشية التي سمحت لها بها معاهدة ١٩٠٤ ولكن سكان الريف قاوموا الاحتلال الاسباني و ـ زموا المارشال مارينا في الثالث من ايلول ١٩٠٩ . وظهر أثناء ذلك الشريف احمد الريسوني (احمدبن محمد بن عبد الله الحسني من قبيلة بني عروس) فثار على السلطان واختطف القنصل الاميركي في طنجة وعائلته عام ١٩٠٤ فجاء الاسطول الاميركي وحصل ٧٠ الف دولاراً كغرامة . وعين الريسوني حاكماً على طنجة ثم عزله السلطان بضغط من قناصل الدول الغربية عام ١٩٦٠ . وسهل نزول القوات الاسبانية في ميناء العرائش في ايلول ١٩١١ وصادق الجنرال سلفستر . ونشب خلاف بين الريسوني وسلفستر عام ١٩١٣ فغادر الريسوني مركزه في احيلة واعتصم في زينة . ووسع الاسبان منطقة احتلالهم فدخلوا تطوان بدون قتال ولكنهم اصطدموا بقوات الريسوني عندما حاولوا التغلغل في الجبال . وتجمعت القبائل حول راية الريسوني ونادوا به في شفشوان سلطان الجبل عام ١٩١٤ . واخيراً عقد صلح بين الريسوني والاسبان في ايلول ١٩١٥ بعد استقالة سلفستر واعاد الاسبان اليه املاكه وامدوه بالاموال لتخفيف الضائقة التي انتشرت بين القبائل واعترفوا به حاكماً على المنطقة الجبلية فجعل تازروت عاصمة له . وثارت القبائل عليه واتهمته ببيع البلاد للنصارى ولكنه تمكن من احباط محاولات القبائل لحرق عاصمته . ولكن الريسوني مالبث ان اختلف مع المقيم الاسباني جوردانا (١٩١٤ - ١٩١٨) الا أن موت جوردانا وضع حداً للخلاف . ورفض الريسوني عروض عبد الكريم للتعاون ضد العدو المشترك . وبدأ الريسوني يقاوم انتشار دعوة عبد الكريم الى ان نشب القتال بينهما فأسر الريسوني وتوفي في الاسر في ربيع ١٩٢٥ .

وبرز في المنطقة الشرقية من الريف زعيم بني ورياغل الامير عبد الكريم الخطابي الذي كان الحاكم الفعلي لمنطقته . واشتهرت منطقته بمعادنها فتهافت عليه الاخوان منسمان الالمانيان والسنيور اجفريتا الاسباني يبغون استثمار هذه المعادن. ولما شعر عبد الكريم بأهمية هذه المعادن سارع الى ارسال ابنه الاصغر الى مدريد لدراسة علم التعدين فتخرج مهندس مناجم من جامعة مدريد . اما ابنه الاكبر فقد درس الشريعة واللغة واصبح قاضياً في مليلا واصدر جريدة تلغراف الريف وغدا مستشاراً للحاكم الاسباني لشؤون الريف . وخيل للكثيرين ان الامور ستسير سيراً حسناً بين اسبانيا والامير الخطابي .

ولكن الجنرال جوردانا المندوب السامي الاسباني (١٩١٥ - ١٩١٨) لم يحسن التصرف . فقد طلب من الامير عبد الكريم ان يحضر بنفسه لتقديم الولاء ولكن عبد الكريم رفض . فبادر الجنرال الى القاء القبض على ابن عبد الكريم الاكبر القاضي محمد وزجه في السجن قرابة سنة . ولم يقم الامير عبد الكريم بأي عمل عدائي ضد الاسبان الى ان أتم ابنه الاصغر دراسته في مدريد واخلى سبيل الاكبر . وبعد ان اطمأن الى سلامة ولديه قطع علاقاته مع السلطات الاسبانية . وبدأت العمليات الحربية بين الامير الخطابي والاسبان في آب ١٩٢٠ . وتوفي اثناء ذلك الامير عبد الكريم وخلفه ابنه الاكبر القاضي محمد الذي اشتهر فيما بعد باسم الامير عبد الكريم الريفي . والتزم محمد عبد الكريم جانب الدفاع ولم يحاول التحرش بالاسبان .

وكان الجنرال جوردانا قد توصل الى اتفاقية مع الريسوني (الرسولي) . وتمكن الريسوني من السيطرة على منطقة جباله وتهديد طنجة . ولما عين الجنرال برنجر (تشرين الثاني ١٩١٨ - ١٠ تموز ١٩٢٢) مندوبا سامياً خلفاً للجنرال جوردانا في تشرين الثاني ١٩١٨ قرر اتخاذ موقف حازم نحو الريسوني فاعلن الخليفة في ٥ تموز ١٩١٩ ان الريسوني ثائر . وبدأ الجنرال الاسباني عملياته الحربية مطوقاً الريسوني خلال عامي ١٩١٩ و١٩٢٠ . وفي عام ١٩٢١

هاجم الاسبان منطقة الريسوني في ٢٥ حزيران ، وفي السادس عشر من تموز وصل الجيش الاسباني الى بعد ستة كيلومترات من تازروت معقل الريسوني . واعطى الريسوني مهلة تنتهي في ٢٢ تموز للخضوع ، واضطر الريسوني الى قبول شروط الاسبان . ولكن الوضع كان قد تغير اثناء هذه الايام القليلة بعد ان اصيب الجيش الاسباني بكارثة كبرى في منطقة اخرى من الريف فسارع الريسوني الى قطع المفاوضات والتمرد مرة اخرى .

اصيب جيش اسباني بقيادة الجنرال سلفستر ، قائد قطاع مليلة ، بكارثة كبرى . فقد زحف سلفستر في ربيع ١٩٢٠ نحو منطقة قبيلة الامير الخطابي واحتل انوال في ١٥ كانون الثاني . فارسل عبد الكريم اليه محذراً اياه من التقدم اكثر من ذلك ، ولكن سلفستر رفض الاصغاء الى تحذيرات الامير الخطابي . وفي اول تموز ١٩٢١ تقدم الاسبان اثنى عشر كيلومتراً بعد انوال واقتربوا من اجدر . وفي تلك الليلة بدأ عبد الكريم هجومه المعاكس ، وفي نهاية شهر تموز كان الريفيون قد قضوا على جيش سلفستر . ولم يبق بيد الاسبان في ذلك القطاع الا حصن مليلة . واعترف الاسبان بخسارة خمسة عشر الف جندي ، وثلاثين الف بندقية واربعمائة مدفع رشاش و ١٢٩ مدفع ميدان . واسر الريفيون ٥٧٠ اسيراً افتداهم الاسبان بمبلغ ١٣٨ ليرة استرلينية . وهذه اكبر هزيمة الحقها جيش عربي بجيش اوربي في التاريخ الحديث .

كان هذا النصر الكبير مفاجأة للجميع . ولو ادرك عبدالكريم اهمية انتصاره ولو تابع زحفه لما ثبتت مليلة امامه . ولكنه توقف واتاح للاسبان فرصة جلب امدادات جديدة بلغت ٦٠٠٠٠ مقاتل . وتمكن الاسبان في الثاني عشر من ايلول من القيام بهجوم معاكس واستعادة بعض ما فقدوه . وبلغت قوة الجيش الاسباني في الريف اوائل كانون الثاني ١٩٢٢ اكثر من ١٥٠٠٠٠ جندي . وتمكن الجنرال برنجر من احتلال معقل الريسوني في الثاني عشر من ايار ١٩٢٢ ولكن الحكومة الاسبانية اجبرت الجنرال على الاستقالة في العاشر من تموز فخلفه

الجنرال برجت (١٩٢٢ ـ ١٩٢٤) الذي هادن الريسوني ليتفرغ لمنازلة محمد عبد الكريم . وفي غضون ذلك تمكن محمد عبد الكريم من بسط سيطرته على القبائل المجاورة وتنظيم حكومة عاصمتها اجدر واعلان قيام **جمهورية الريف** . كما ارسل وفداً الى اوربا زار فرنسا وانجلترا للدعاية لقضية جمهورية الريف. وتمكن محمد عبد الكريم من صد هجمات الاسبان ، وفشلت المحاولات المختلفة للوصول الى اتفاق سلمي معهم .

ووقع انقلاب في اسبانيا ادى الى تغيير جذري في سياسة اسبانيا. فقداستلم الحكم اثر الانقلاب الجنرال بريمودي ريفيرا في ١٢ ايلول ١٩٢٣. واعلن الجنرال في السادس والعشرين من حزيران ١٩٢٤ سياسة جديدة لاسبانيا في مراكش وهي الانسحاب من المناطق الداخلية الى مراكز حصينة على الساحل . وفي اثناء ذلك امتد ميدان نشاط الريفيين حتى وصلوا اطراف تطوان وقطعوا الطريق بينها وبين كل من طنجة وشفشوان . واشرف الجنرال بريمودي ريفيرا بنفسه على عمليات الانسحاب خلال النصف الثاني من عام ١٩٢٤ . وقد كلفت هذه العمليات الاسبان ٢١٢٥٠ اصابة كما يلي :

قتلى : ١١٠ ضابطاً و ٣٨٠٠ جنديا

جرحى : ٧٠٠ 〃 و ١٤٠٠٠ 〃

مفقودون: ٦٠ 〃 و ٢٥٠٠ 〃

وتمكن عبد الكريم من بسط سيطرته على اكثر الريف . فقداخضع قبائل منطقة جبالة الى الغرب واخمد في كانون الثاني ١٩٢٥ ثورة في شفشوان واسر الريسوني في ٢٧ كانون الثاني واستولى على ثروته . وفي ايار ١٩٢٥ بدأت اسبانيا تفاوضه عبد الكريم لعقد هدنة شريفة . ولكن قبل انقضاء الشهر كانت فرنسا قد تدخلت ضد الحركة الاستقلالية في الريف .

تدخل فرنسا ضد الريفيين :

لم تتم فرنسا احتلال المناطق الجبلية المتاخمة للريف الا عام ١٩٢٤ في الوقت

الذي وصل عبد الكريم فيه الى اوج قوته . وتوالت حركات الافرنسيين العسكرية ضد المناطق المجاورة للريف وضد القبائل الموالية لعبد الكريم كما تتالت تصريحات المارشال ليوتي منذراً ومحذراً. فقد انتقد ليوتي بشدة انسحاب الاسبان وادعى انه مخالف للاتفاقية الافرنسية الاسبانية . كما حذر الدول الاوروبية المسيحية لا سيما بريطانيا من خطر انتصار المسلمين في الريف واثر ذلك على الشعوب الاسلامية الخاضعة للاستعمار الاوربي .

حاول عبد الكريم ان يتوصل الى اتفاق مع فرنسا . فارسل اخاه الى باريس واتصل بوزير الخارجية الافرنسية شخصياً كما اتصل بالواسطة بالمسيو بوانكاريه . ولكن الحكومة الافرنسية تجنبت الدخول في مفاوضات مع وفد جمهورية الريف ونصحته بالاتصال بالمارشال ليوتي . ووصل فاس مندوب ريفي للاتصال بالسلطات الافرنسية في مراكش . ولكن جميع هذه الجهود وغيرها للوصول الى حل سلمي مع فرنسا باءت بالفشل وهدد الزحف الافرنسي جمهورية الريف باكمال حلقات الحصار حولها .

كان لفرنسا في مراكش اذ ذاك ٦٥ الف جندي وهي قوة غير كافية لحرب الريف فالح ليوتي في كانون الاول ١٩٢٤ على الحكومة الافرنسية لارسال نجدات . ولا يمكن بالضبط تحديد قوى الريف العسكرية . وقدرت قواته بخمس وعشرين الف من رجال القبائل يضاف اليها قوة نظامية يتراوح عددها بين الستة والعشرة آلاف ، كما تلقى مساعدات من قبائل جبالة تقدر بعشرة آلاف محارب . ولم تكن هذه القوة ثابتة اذ ان انتصاراته الاولى ضد الافرنسيين ضاعفت قوته بسبب انضمام رجال القبائل في المنطقة الافرنسية الى جيشه ولكن هؤلاء انسحبوا بعد الهجوم الافرنسي المعاكس . وكانت قواته حسنة التدريب ومجهزة بالاسلحة الخفيفة وبعض المدفعية ولكن لم يكن لدى جمهورية الريف سلاح طيران .

اما الجيش الافرنسي فقد تلقى نجدات قوية من المشاة والمدفعية والطيران

بلغت ١٥٨٠٠٠ جندي ومابة واثنين وثلاثين طائرة . وانفقت فرنسا حتى اواخر تشرين الاول قرابة مليار فرنك ثمن اعتدة عسكرية. وضاعفت اسبانيا قواتها العسكرية حتى زادت على ١٢٠٠٠٠ جندي فبلغت بذلك عدد القوة الاسبانية الافرنسية ٢٨٠٠٠٠ جنديا بينما لم تزد قوات جمهورية الريف على ستين الفاً . وكان اكثر المحاربين في الجانبين قوات مغربية مراكشية . اذ ضم الجيش الافرنسي ١٢٠٠٠ افرنسياً ومثل هذا الرقم من الاوربيين و ١٣٣٠٠٠ مغربياً . اما الجيش الاسباني فقد ضم ٧٠٠٠٠ اسبانياً وثلاثة عشر الف مغربي . فبلغ عدد المغاربة المحاربين ضد استقلال الريف ضعف عدد المغاربة المدافعين عن استقلال الريف . واشرف على وضع الخطط الحربية الافرنسية قواد من المع قادة فرنسا العسكريين كان من بينهم المارشال بيتان والجنرال ليوتي. واجتمع المارشال بيتان بالجنرال دي ريفيرا للاتفاق على خطة عسكرية موحدة ضد جمهورية الريف . واتفقت كل من اسبانيا وفرنسا لاتعقد مع الريف صلحاً منفرداً . وفشلت محاولات عبد الكريم للوصول الى حل سلمي على اساس الاعتراف باستقلال جمهورية الريف .

بدأ الريفيون هجومهم على الخطوط الفرنسية في الثالث عشر من نيسان ١٩٢٥ . وتمكن الريفيون من خرق الجبهة الافرنسية واثارة القبائل وراء الجبهة الفرنسية . واصبح موقف الافرنسيون حرجاً اواخر حزيران واوائل تموز في قطاع تازا الى الشرق من فاس فاوسلت الحكومة الافرنسية المارشال بيتان لانقاذ الموقف في السابع عشر من تموز وعين الجنرال ستانسلاس نولين قائدا للقوات الافرنسية في مراكش . وفي الحادي عشر من ايلول بدأ الافرنسيون هجوماً معاكساً بعد ان مهدوا له بقصف شديد طوال اليوم العاشر من ايلول في جبهة ورغة . كما هجم الافرنسيون في جبهة تازا محاولين الاتصال بالقوات الاسبانية الزاحفة من الساحل ، ولكن الامطار اوقفت الحركات الحربية . وكنتيجة للمعركة التي ابتدأت في نيسان وانتهت في

تشرين فشل كل فريق في الوصول الى اهدافه. فلم يوفق الريفيون في اثارة قبائل الاطلس خلف الخطوط الافرنسية وفشل الافرنسيون والاسبان في محاولتهم تحطيم جيش الريف او قسمه الى جزئين .

ويمكن القول بان الفشل الاكبر كان فشل جمهورية الريف . فقد اعتمد محمد عبد الكريم على مساعدة سكان المغرب وعلى الاحوال الدولية وامكانية خلق مصاعب داخلية لفرنسا . وقد سانده الحزب الشيوعي الافرنسي الذي دعا هذه الحرب حربا تحريرية يشنها الريفيون ضد البورجوازية الاستعمارية الافرنسية والاسبانية . وارسل زعيم الحزب الشيوعي الافرنسي برقية تأييد وتهنئة الى عبد الكريم كما اصدر الحزب الشيوعي بيانا طالب فيه بالاعتراف باستقلال جمهورية الريف والانسحاب من مراكش . والقي القبض على عدد من الافرنسيين في مرسيليا والدار البيضاء بتهمة التجسس كما عزل موظف في دائرة المندوب السامي الافرنسي . وتعرضت الحكومة الافرنسية الى حملات شديدة في مجلس النواب الافرنسي كما عارض الشعب الافرنسي هذا الاسراف في الدم الافرنسي لغايات استعمارية . ولكن الحكومة الافرنسية استطاعت في النهاية ان تتغلب على المقاومة الداخلية وتضمن حياد الدول بل ومساعدتها وان تقنع اسبانيا بالعودة الى القتال وان تمنع قبائل الاطلس من مساعدة عبدالكريم . وبذلك اصبحت الحكومة الريفية مقضياً عليها بالزوال . واصبح بامكان الحكومة الافرنسية وقد اطمأنت الى الحالة في مراكش ان تستغني عن خدمات الجنرال ليوتي فتقبل استقالته في ٢٤ ايلول ١٩٢٥ بعد ان بقي في منصبه الخطير منذ ٢٨ نيسان ١٩١٢ . واستطاع خلال هذه الفترة ان يوطد نفوذ فرنسا في مراكش وخلفه المسيو ستيغ .

اغتنم الافرنسيون فرصة توقف الحركات الحربية خلال فصل الشتاء وحاولوا استمالة القبائل الموالية لجمهورية الريف . وبدأت القبائل تنفض من

حول راية الجمهورية الريفية وتسارع الى الحصول على افضل الشروط من الافرنسيين او الاسبان . وحاول محمد عبد الكريم خلال كانون الثاني وشباط من عام ١٩٢٦ ان يقوم بنشاط عسكري ليوقف هذا الانحلال ولكن فشلت محاولته . فلجأ الى المفاوضات وارسال الوفود الى اوروبا ونشر الرسائل في الصحف عن غاياته السلمية واستعداده للدخول في مفاوضات للصلح . وارسل محمد عبد الكريم الخطابي رسالة الى محرر جريدة التايمس اللندنية بتاريخ ٢٧ كانون الثاني ١٩٢٦ ونشرت بتاريخ ١٧ آذار . وشرح في رسالته مبادئه والاسباب الذي دفعته الى القيام بحركته محاولا كسب عطف الرأي العام البريطاني .

من محمد عبد الكريم الخطابي الى محرر التايمس اللندنية :

« سلام عليك .

يسرنا ان نرسل اليك اخبارا صحيحة عن احداث بلادنا لكي تنشرها في صحيفتكم التقدمية ليعرف العالم حقيقة الاوضاع فافعل ذلك خدمة للحقيقة لاسيما وان اعداء الانسانية والسلم المحبين للحرب يروجون اخبارا مختلقة عنا .

والعالم كله يعرف باننا نريد السلم واننا على استعداد للوصول الى تفاهم مع اعدائنا ولانطلب الا العدل واستتباب الامن . وقد اتصلنا مرارا بالسلطات الافرنسية والاسبانية للحصول على السلم ولكن كانوا يجيبون بكل كبرياء . فاذا عرضنا الصلح وطالبنا باستتباب سلم عادل اتهمونا بالضعف والهزيمة ، واذا ما قاومنا دفاعاً عن حقوقنا قالوا انا برابرة ومتعطشين لسفك الدماء ... فوجدنا ان السيف اصدق انباء من الكتب » .

ونفى عبد الكريم تهمة وجود عملاء للالمان والسوفييت في الريف وختم قائلا انه سيحارب في الجبال والسهول وعلى قمة آخر جبل .

واتفقت الحكومتان على عقد مفاوضات للصلح في وجدة في الخامس عشر من

نيسان . ووصل وفد الريف واستمرت المفاوضات حتى السادس من ايار .
ولكن لم يستطع الوفد الوصول الى اتفاقية رغم استعداد عبد الكريم للتنازل
والانسحاب الى بلد اسلامي . وبدأ الجيشان الاسباني والافرنسي هجومهما في
السابع من ايار ، وتم التقاء الجيشين في الثامن عشر من ايار . فطلب عبد
الكريم في الثالث والعشرين وقف العمليات الحربية فرفض طلبه في الخامس
والعشرين منه وفي ذلك اليوم ارسل عبد الكريم يعرض على الافرنسيين
الاستسلام بدون قيد او شرط فرفض الافرنسيون ذلك مالم يطلق سراح جميع
الاسرى ، فاطلق سراح الاسرى في السادس والعشرين من ايار . وفي الساعة
الخامسة والربع من صباح اليوم التالي وصل عبد الكريم الى الخطوط
الافرنسية مستسلما .

واستمرت الحركات الحربية بعد ذلك زمنا . فقد أخرج سكان شفشوان
مندوب عبد الكريم من بلدهم اوائل حزيران كما انتخبت قبائل جبالة زعيما
لهم . واستمر الزحف الاسباني واحتل الاسبان شفشوان في العاشر من اب .
وما اقترب فصل الشتاء حتى كان الاسبان قد اتموا احتلال الريف . واتفقت
كل من فرانسا واسبانيا في الثالث عشر من تموز على نفي عبد الكريم
الى جزيرة ريونيون .

طنجة : ١٩١٩ — ١٩٢٥ ، المساحة ٣٤٩ كم ، السكان ١٧٠٠٠٠

ضمن مؤتمر الجزيرة وضعاً خاصاً لمدينة طنجة واعطى ممثلي الدول فيها
سلطات هامة تشريعية وادارية وتنفيذية وبعض الاشراف على البوليس الاسباني
الافرنسي (المواد ٥٩ ـ ٧٤ من ميثاق الجزيرة) . ولما وافقت المانيا في اتفاقية
٢٣ شباط ١٩١١ على اطلاق يد فرنسا في مراكش لم يذكر اسم طنجة، ولكن
لما انضمت انكلترا الى هذه الاتفاقية في ١٤ تشرين الثاني اشارت الى وضع
طنجة الخاص واصرت على وضع نظام دولي خاص بها حسب الاتفاقية الاسبانية

الفرنسية المعقودة عام ١٩٠٤ . ونص على هذا الوضع في المادة الأولى من معاهدة الحماية المراكشية في ٣٠ آذار ١٩١٢ وفي المادة السابعة من المعاهدة الاسبانية الفرنسية المعقودة في ٢٧ تشرين الثاني ١٩١٢ . واجتمعت في مدريد لجنة ثلاثية انكليزية اسبانية افرنسية لوضع نظام لطنجة واستمرت اجتماعاتها من اذار الى حزيران ١٩١٣ ولكن لم تتمكن من التوفيق بين وجهات النظر الافرنسية والاسبانية . وفشلت محاولة افرنسية للوصول الى اتفاق مع اسبانيا في ايلول ١٩١٣ . وتوقف البحث خلال الحرب العالمية الاولى .

واعتبرت فرنسا مدينة طنجة خاضعة لها خلال الحرب . فقد عومل الالمان والنمساويون كاعداء وسلم في التاسع عشر من آب ١٩١٤ ممثلو النمسا والمانيا جوازات سفرهم واخرجوا كما اخرج رعاياهم في ٢٧ آب ووضعت ممتلكاتهم تحت الحراسة في ٢٩ ايلول . وردت فرنسا على احتجاج المانيا بأن طنجة جزء من ممتلكات السلطان الذي هو تحت الحماية الافرنسية . اما اسبانيا فلم تعارض ما حدث .

حاولت فرنسا بعد الحرب أن تبقي هذا الوضع الجديد في طنجة ، ولكن الدول عارضت في ذلك . ولم تذكر طنجة في معاهدة فرساي ولكن المواد ١٤١ – ١٤٦ من تلك المعاهدة نصت على تنازل المانيا عن كل حقوقها وثروات رعاياها في مراكش بدون تحديد . واعتبرت فرنسا ان ذلك يدخل طنجة وعلى هذا الأساس صودرت الممتلكات الالمانية في طنجة في ٣٠ آب ١٩٢٠ .

وتمكنت انكلترا من الدعوة الى مؤتمر لبحث قضية طنجة عقد في لندن في ٢٩ حزيران ١٩٢٣ حضره ممثلون عن بريطانيا وفرنسا واسبانيا . وعقد مؤتمر عام في باريس في ٢٧ تشرين اول وتوصل المجتمعون الى اتفاق في ١٨ كانون الأول ١٩٢٣ . ونص الاتفاق على وجود ممثل للسلطان يدعى النائب (وله نائب أول اسباني ونائب ثان افرنسي)

يشرف على شؤون المسلمين ويرأس المجلس التشريعي الدولي . وتألف هذا المجلس من ٢٦ عضواً معيناً (من ٤ افرنسيين ، ٤ اسبان ، ٣ بريطانيين ، ايطاليين ، بلجيكي وهولاندي وبرتغالي وستة مسلمين وثلاثة يهود). وقرارات هذا المجلس يمكن نقضها من قبل اللجنة المشرفة المؤلفة من قناصل الدول التي وقعت ميثاق الجزيرة .

والغيت الامتيازات وشكلت محاكم بريطانية اسبانية افرنسية مختلطة سنت لها قوانين خاصة . وعهد بادارة المدينة الى لجنة دولية يرأسها حاكم اداري يكون افرنسي الجنسية خلال السنوات الست الأولى على أن يكون له مساعدان انكليزي واسباني . وعهد الى اسباني بقيادة الشرطة والى اسباني آخر برئاسة دوائر الأمن العام وعين بلجيكي قاضياً في المحكمة المختلطة . واعترض على هذا الاتفاق ايطاليا والولايات المتحدة .

بوشر أواخر عام ١٩٢٤ بتطبيق النظام الجديد . فقد وصل الحاكم الاداري المسيو البرج في تشرين الثاني ١٩٢٤ ، ونصب مندوب السلطان ، السيد الحاج محمد أبو عشرين ، في أول كانون الاول . واجتمعت لجنة الرقابة المؤلفة من قناصل فرنسا وبريطانيا واسبانيا وبلجيكا وهولندا في ٢٧ كانون الثاني ١٩٢٥ . وفي السادس من شباط قبلت ايطاليا بالنظام المقترح للجمارك فطبق في الرابع عشر منه . وافتتح مندوب السلطان المجلس التشريعي في ١٦ شباط وحضره ٢٢ عضواً من أصل ٢٦ وتغيب عن الاجتماع المندوبون الامريكيون والايطاليون والبرتغاليون . وطبق النظام الجديد بكامله وبصورة رسمية في اول حزيران ١٩٢٥ رغم معارضة ايطاليا والبرتغال والولايات المتحدة . واغتنمت اسبانيا فرصة انهيار فرنسا فالغت النظام الدولي في ١٨ حزيران ١٩٤٠ ولكنه اعيد ثانية عام ١٩٤٥ بعد أن حل الاتحاد السوفييتي محل ايطاليا . والغي النظام اواخر عام ١٩٥٦ وفقدت طنجة كل امتيازاتها القديمة في ١٩ نيسان ١٩٦٠ .

مراكش في دور النضال السياسي السلمي : ١٩٢٦ — ١٩٤٤

بعد أن فشل المراكشيون في عهد النضال المسلح في تحقيق أي هدف من أهدافهم ، وبعد أن تم لاسبانيا وفرنسا سحق كل مقاومة عسكرية في البلاد ، لجأ الوطنيون الى النضال السياسي فبرزت خلال هذه الفترة احزاب عديدة في منطقتي الاحتلال الاسباني والافرنسي . ومالت هذه الاحزاب الى الاعتدال في مطاليبها فلم تستهدف الاستقلال التام وجلاء القوات والنفوذ الاجنبي بل اكتفت بالمطالبة بالاصلاحات والحريات وصيانة مصالح المراكشيين . ولكن هذا الهدوء عكر مراراً بسبب اجراآت طائشة اتخذها المستعمرون . فقد استثارت السياسة التي اتبعتها فرنسا نحو البربر شعور المسلمين في مراكش والخارج كذلك حدثت اضطرابات دامية ضد اليهود في عامي ١٩٣٣ - ١٩٣٦ واضطرابات عمالية بتحريض من النقابات الافرنسية .

استهدفت فرنسا سياسة ابعاد البربر عن اخوانهم العرب في مراكش . وفي سبيل تنفيذ هذا الغرض استصدرت ظهيراً في الحادي عشر من ايلول ١٩١٤ اعفت فيه البربر من تطبيق الشريعة الاسلامية ودراسة اللغة العربية وسمحت لهم بالتقاضي بموجب العادات وباللغة المحلية . واستصدرت في منتصف حزيران ١٩٢٢ ظهيراً نظم انتقال الاراضي وملكيتها في المناطق البربرية بشكل يتعارض والشريعة الاسلامية . ثم خطت فرنسا خطوة ثالثة فاستصدرت ظهيراً في السادس عشر من ايار عام ١٩٣٠ خطت فيه خطوة كبرى في محاربة الاسلام واللغة العربية في مناطق البربر . ونص هذا الظهير على ان يحكم شيوخ القبائل في مناطقهم حسب العرف والعادة ، وعلى تشكيل محاكم تحكم حسب عادات القبائل البربرية . وثارت ثائرة المسلمين في كل مكان . فقامت مظاهرات احتجاج في فاس ورباط وشكلت اللجان للدفاع عن اللغة والدين والكيان . وشجب المؤتمر الاسلامي في القدس الذي انعقد آخر عام ١٩٣١ هذا الظهير .

واحتج المسلمون في كافة الاقطار الاسلامية عليه . وانعقد مؤتمر في المجلس البلدي في مدينة فاس لدرس الحالة وشكل وفد من العلماء والأعيان والشباب سافر الى الرباط وقدم الى السلطان عريضة تحوي مطالب البلاد وهي :

١ - الغاء التشريعات المتعلقة بالظهير البربري .

٢ - توحيد التشريع والادارة في البلاد .

٣ - تركيز جميع السلطات في يد السلطان وحكومته .

وانشئت صحف عديدة للدفاع عن مصالح الوطن . فصدرت مجلة المغرب في باريس وجريدة عمل الشعب في فاس بالفرنسية وجريدة الحياة ومجلة السلام في تطوان بالعربية .

ونشأ أول حزب مغربي باسم **كتلة العمل المغربي** اواخر عام ١٩٣٤ . ويشكل هذا الحزب حركة عربية اسلامية متطرفة تشبه الدستور التونسي ورابطة العلماء في الجزائر ويضم المتعلمين الذين درسوا في الجامعات الافرنسية واتصلوا برفاقهم من أبناء الدول العربية الاخرى . وقدمت الكتلة أوائل ايلول من ذلك العام **دفتر المطالب المغربية** للسلطان ولفرنسا . وتتلخص المطالب بما يلي :

١ - الغاء مظاهر الحكم المباشر الافرنسي وتطبيق المعاهدة نصا وروحاً وقيام حكم ملكي دستوري .

٢ - الحاق المغاربة بالوظائف .

٣ - تحقيق الوحدة القضائية والادارية للبلاد وحدة التراب المراكشي .

٤ - الفصل بين السلطات .

٥ - تأسيس مجالس بلدية واقليمية ومجلس وطني جميع اعضائها من المغاربة .

واستجاب الشعب للكتلة الجديدة وأيدها . وباشرت الكتلة عملها بنشاط وسعت الى نشر التعليم وحماية الثقافة العربية وخلق الوعي القومي بين الشباب . وحاولت الكتلة الاستفادة من قيام حكومة الجبهة الشعبية في فرنسة فعقدت

مؤتمراً وطنياً في الرباط في ٢٥ تشرين الاول ١٩٣٦ واتخذت فيه قرارات مستعجلة قدمت الى المقيم الافرنسي . وباشرت باستكتاب عرائض وقعها افراد الشعب تاييداً لمطالب الكتلة . وعقدت اجتماعاً آخر في الدار البيضاء . ولكن المقيم الافرنسي الجنرال نوجس (١٩٣٦ـ ١٩٤٣) بادر الى اعتقال ثلاثة من رجال الكتلة . فاعلن الاضراب العام وقامت المظاهرات ونشبت معارك عنيفة بين المتظاهرين والجيش فتراجع المقيم الافرنسي واخلى سبيل المعتقلين وسمح باصدار أربع صحف عربية وواحدة افرنسية . وزاد نشاط الكتلة بعد هـذا النجاح فافتتحت مكتباً في فاس . وانتخب علال الفاسي رئيساً للكتلة فانسحب محمد الوزاني من الحزب . وبادرت السلطات الافرنسية الى حل الحزب في التاسع من آذار ١٩٣٧ .

وتزعم فرع الكتلة في منطقة الاحتلال الاسباني السيد عبد الخالق الطريسي، ولكن بعد نشوب ثورة فرانكو انفصل فرع الحزب عن الجنوب . وتلا ذلك انشقاقات اخرى في الفرع الشمالي ، واصدر الطريسي جريدة الحياة في تطوان في آذار ١٩٣٤ واسس المعهد الحر وشكل فرق الفتيان المغاوبة، كما اشترك مع الشريف الوزاني والطيب بنونه ومحمد الفاسي في تشكيل عصبة **الفكر المغربي**. ولما استقل حزبه عن الكتلة في الجنوب دعاه باسم **حزب الاصلاح الوطني** . واستمر هذا الحزب وثيق الاتصال بالحزب الوطني برئاسة علال الفاسي ثم اندمج عام ١٩٥٦ بحزب الاستقلال . وانشق عن الطريسي محمد بودرة الذي شكل **حزب الاحرار** فاصدر جريدة الريف وكذلك انشق محمد المكي الناصري فألف **حزب الوحدة** واصدر جريدة الوحدة المغربية وادار المعهد الخليفي .

واعاد الوطنيون في منطقة الاحتلال الافرنسي تشكيل حزبهم وسموه **الحزب الوطني** برئاسة علال الفاسي . اما محمد الوزاني فقد **اسس اللجنة القومية** ثم شكل **حزب الاستقلال الديموقراطي** الذي جعل هدفه التدرج في العلاقات مع فرنسا وتثبيت حكم دستوري برلماني ، واصدر جريدة **الرأي العام** العربية لتنشر

مبادىء الحزب الذي اقتصر نشاطه على المدن . ولما ازداد نشاط الحزب الوطني بادر الافرنسيون الى اعتقال اعضاء اللجنة التنفيذية للحزب وارسالها الى المنفى . واصبح نشاط الحزب يجري في السر .

وانتشرت الاضطرابات عام ١٩٣٧ في البلاد . فقد بدا العمال في كانون الثاني اضرابهم بتحريض من اتحاد العمل الافرنسي فبادرت السلطات الى حل حزب العمال في ١٩ آذار . ونشبت الاضطرابات حينئذ في مكان آخر ، مكناس ، بسبب اعطاء مياه الري للافرنسيين وحرمان المراكشيين منها . واشرف المقيم العام على اخماد هذه الاضطرابات بنفسه في ايلول ، ولكن واجه بعد اقل من شهر حملة عنيفة بدأت في المساجد . وجرت اعتقالات واسعة في الرباط وفاس واعتقلت القوات الافرنسية المصلين في جامع فاس واصدر الوزير الاعظم قراراً بمنع استعمال المساجد في اغراض سياسية .

ونزلت الجيوش الامريكية في مراكش عام ١٩٤٢ فاحدث ذلك اثرا كبيراً في مراكش . فقد رحب السلطان محمد الخامس بالامريكيين وعقد اجتماعا مع روزفلت في الدار البيضاء في ٢٢ كانون الثاني ١٩٤٣ فوعده روزفلت بتأييد استقلال مراكش . واصدر الوطنيون مجلة رسالة المغرب العربي للتعبير عن الشعور الوطني . ودخل النضال في مراكش مرحلة جديدة هي مرحلة المطالبة بالاستقلال التام . ولم يكتف الوطنيون بعد الآن بمجرد المطالبة بنصيب اكبر من الحكم الذاتي . كان المراكشيون حتى الآن يعترفون بمعاهدة الحماية ويقرون لفرنسا ببعض الحقوق في بلادهم ولا يبغون انهاء النفوذ الافرنسي . اما الآن فقد تخلى الوطنيون عن هذه الافكار القديمة البالية وتحرروا فكريا من ارتباطاتهم الافرنسية وفقدوا كل ثقة بفرنسا . وسبق الوطنيون في مراكش في هذا الامر اخوانهم في تونس وفي عدد من البلاد العربية كالعراق والاردن وليبيا بل ربما كانوا سابقين لسوريا ومصر في هذا المضمار اذ لم يكن الساسة في

سوريا اوائل عام ١٩٤٤ قد تحرروا بعد من ارتباطاتهم الفكرية بفرنسا .

دور النضال في سبيل الاستقلال التام ١٩٤٤ ــ ١٩٥٦

اجتمعت الاحزاب الوطنية المغربية واتخذت في الحادي عشر من كانون الثاني ١٩٤٤ ميثاقاً تضمن الاهداف الجديدة للمغرب وقد وقع هذه الوثيقة قرابة ستين عينا . وتضمنت المطالب الجديدة مايلي .

١ ــ المطالبة بالاستقلال التام ووحدة الاراضي المغربية .

٢ ــ اقرار الملكية الدستورية كنظام للحكم .

٣ ــ التعاون بين الملك والشعب على تحرير البلاد وتحقيق الاصلاح المنشود بصفته امرا داخليا لاحق للافرنسيين بالتدخل في امره .

وهكذا قرر الوطنيون في المغرب ان نظام الحماية لايمكن ان يحقق شيئاً وان الاستقلال هو السبيل الوحيد لتحقيق الاصلاح .

ونشأ عام ١٩٤٣ حزب جديد حل محل الحزب الوطني . فقد تشكل **حزب الاستقلال** برئاسة محمد علال الفاسي وسكرتارية احمد بلفريج وضم اعضاء الحزب الوطني واساتذة جامعة فاس ، واصدر الحزب جريدة العلم بالعربية وجريدة الاستقلال بالافرنسية . واندمج فيه فيما بعد حزب الاصلاح في الريف وبلغ عدد اعضائه مليون ونصف عضو . وكان هذا الحزب هو المسؤول الرئيسي عن مطالب الحادي عشر من كانون الثاني . وقد تضامن الشعب مع الحزب في هذه المطالب وايدها السلطان الذي شكل لجنة في الثالث عشر من الشهر لدراستها وعقد مؤتمرا للباشوات وعين لجنة اتصال مع الحزب . واتخذ المقيم الافرنسي جابريل بيو (١٩٤٣ــ١٩٤٦) اجراءات تعسفية شديدة . فقد امر باعتقال احمد بلفريج وسي محمد اليزيدي وعددا من الزعماء . وقامت مظاهرات عنيفة تضامناً مع الحزب قمعها الافرنسيون بشدة ونفذوا حكم الاعدام بعدد من

الشباب في فجر عيد المولد النبوي . ولكن التأييد الشعبي للحركة كان كبيراً فاضطرت فرنسا للتراجع وتغيير مقيمها .

وجاء مراكش مقيم جديد هو اريك لابون (١٩٤٦ - ١٩٤٧) الذي اعاد الزعماء المنفيين امثال علال الفاسي (من الجابون) واحمد بلفريج (من كورسيكا) ومحمد الوزاني (من باتزو) كما سمح باصدار الصحف العربية . وفي تموز ١٩٤٦ قدم المقيم اقتراحاً لاجراء انتخابات المجالس في لمدن والارياف على يشترك الافرنسيون بالاولى ولكن حزب الاستقلال والسلطان عارضا أشتراك الافرنسيين في الحكم والمجالس المنتخبة . واقترح حزب الاستقلال في آب الغاء معاهدة الحماية وعقد معاهدة استقلال .

وقام السلطان في نيسان ١٩٤٧ باول مظاهرة ضخمة تأييداً للمطالب الوطنية . فقد عزم السلطان على زيارة طنجة ومنطقة الاحتلال الاسباني ولم يثن السلطان عن عزمه المذابح التي قام بها الافرنسيون في الدار البيضاء . واستقبل السلطان استقبالا حافلا في المنطقتين والقى في العاشر من نيسان خطابا هاماً في طنجة . واعلن السلطان في خطابه الهام وحدة المغرب وانه جزء لايتجزأ من البلاد العربية . وكانت هذه الزيارة اول زيارة ملكية لطنجة منذ عام ١٨٨٩ واول مرة يعلن فيها سلطان المغرب عروبة بلاده ووحدة اراضيها ويطالب باستقلال بلاده .

وثارت ثائرة الافرنسيين على هذا الخطاب واعتبروه تحديا لفرنسا . وبادرت فرنسا الى تغيير مقيمها في مراكش فارسلت الجنرال الفونصو جوان (١٩٤٧ - آب ١٩٥١) كرجل حديدي لارهاب السلطان والوطنيين . وجوان من مواليد الجزائر نشأ وهو يعتقد بحيوية احتفاظ فرنسا بممتلكاتها في المغرب باي ثمن . وبدأ جوان بتوزيع التهديدات منذ ان وطأت قدماه ارض مراكش . وبادر جوان بتطبيق عدد من العلماء ليصدروا فتاوى ضد اعمال السلطان التقدمية المخالفة للدين كتحرير المرأة . وسعى جوان الى تشويه

اسم حزب الاستقلال متهما اياه بأنه مجموعة من المثقفين الناقمين العاطلين عن العمل لايمثلون الا انفسهم .

حاول حزب الاستقلال التفاوض مباشرة مع باريس ونفى تهمة الشيوعية والتطرف ، فأوفد الحاج عمر عبد الجليل واحمد الحمياني وعبد الكريم حجلون الى باريس لتنوير الرأي العام الافرنسي . ثم اوفد الحاج احمد بلفريج خريج السوربون الى باريس لمواصلة هذا النشاط فقضى شهرين فيها . واخيراً ذهب رئيس الحزب علال الفاسي لاقناع باريس بحسن نيات الوطنيين فشعر ان لا امل بالتفاهم بعد ان منح جوان سلطات واسعة وابيح له خلع السلطان . فبادر الفاسي الى نقل مركز نشاطه الى القاهرة التي وصلها في الخامس والعشرين من ايار ، واتصل بالامير عبد الكريم الخطابي الذي لجأ اثناء ذلك الى مصر وتولى زعامة مكتب المغرب العربي .

ووقف السلطان موقفا صلبا من الجنرال جوان . فقد رفض توقيع مشاريع القوانين المعروضة واحالها على لجان مخزنية لدراستها فكانت هذه اللجان تضع دوما مشاريع معاكسة يقرها السلطان . ورفض السلطان مشروع تشكيل وزارة مشتركة ومجلس شورى مشترك ورفض مبدأ اشتراك الافرنسيين بهذه المجالس .

ورأت فرنسا ان تجامل السلطان فدعته لزيارة باريس . ووصل السلطان الى باريس في العاشر من تشرين الاول عام ١٩٥٠ مصحوبا بوزرائه وبعض القواد والباشاوات وديوانه الخاص وقدم في اليوم التالي مذكرة الى رئيس الجمهورية وطالب بالغاء معاهدة ١٩١٢ . ودرست الوزارة الافرنسية مذكرة السلطان في الحادي والثلاثين من الشهر بعد ان تعرضت لضغط شديد من الافرنسيين في مراكش الذين امطروها بسيل من البرقيات . وقرر مجلس الوزراء الافرنسي مواصلة مهمة فرنسا في المغرب مع استعدادها لادخال بعض الاصلاحات التي تدرسها لجنة فرنسية مغربية . وقدم السلطان مذكرة ثانية اعلن فيها اسفه

لاستمرار تمسك فرنسا بمعاهدة ١٩١٢ وتفضيلها مصالح المستوطنين الافرنسيين وطالب من جديد باعلان استقلال المغرب وعقد معاهدة مع فرنسا على اساس الاستقلال .

وعاد السلطان الى بلده دون ان يحقق شيئا. واعلن الجلاوي (باشا مراكش) تأييده لفرنسا وانتقد السلطان لاعتماده على حزب الاستقلال الشيوعي الميول، الذي لايمثل الاسكان المدن . الا ان الشعب اظهر تأييده للسلطان وللحزب في الاحتفالات بذكرى جلوس السلطان . ونادى الاعضاء المنتخبون في مجلس شورى الاقامة العامة في جلسة السادس من كانون الاول بفشل نظام الحماية وطالبوا باعلان الاستقلال ، فبادر الجنرال جوان الى طرد المتكلم السيد محمد الاغزاوي من المجلس فغادر القاعة محتجا ومتضامنا معه احمد اليزيدي ومحمد العراقي واكثر الاعضاء المنتخبين وذهبوا جميعا الى القصر فاستقبلهم السلطان واستمع الى مطالبهم .

ولجأ الافرنسيون مرة اخرى الى التهديد باستخدام القوة . فقد استقبل السلطان الجنرال جوان في السادس والعشرين من كانون الثاني عام ١٩٥٢، اي قبيل سفر الجنرال الى امريكا . وقدم الجنرال انذاراً الى السلطان يطالبه فيه بوجوب التبرؤ من حزب الاستقلال وطرد اعضاء الديوان وبعض كبار الموظفين وتوقيع المراسيم الموقوفة اما اذا رفض السلطان تنفيذ هذه الطلبات فما عليه الا ان يتنازل عن العرش والا خلعته فرنسا بالقوة . وعاد الجنرال من امريكا وجدد انذاره في الثاني عشر من شباط وحاصرت القوات الافرنسية القصر الملكي واحتلت المدن الرئيسية . واضطر السلطان في الرابع والعشرين من الشهر الى توقيع بعض المراسيم وعزل اعضاء ديوانه وعزل رئيس جامعة القرويين . وفي اليوم التالي اصدر السلطان بيانا اعلن فيه انه فوق الاحزاب وشجب العنف والانقسامات المخالفة للدين واكد على الصداقة الافرنسية . وكانت الجامعة العربية قد بحثت في الخامس من شباط الحالة في المغرب فشجبت

عمل فرنسا وايدت المغرب . واغتنم السلطان فرصة وجود مندوب الاهرام المصرية في الرباط (محمود عزمي) فأكد له بانه رضخ مكرها . ونظم حزب الاستقلال في عيد الجامعة العربية مظاهرة ضخمة في طنجة رفعت فيها اعلام الدول الاسيوية والافريقية .

واثيرت قضية المغرب على الصعيد الدولي في الخريف . فقد عرضت كتلة الدول الاسيوية الافريقية قضية المغرب على هيئة الامم المتحدة ابان اجتماعها في باريس الا ان الجمعية العمومية قررت تأجيل النظر في القضية . واحتفل في ١٨ تشرين الثاني ٩٥٢ حزب الاستقلال بذكرى تولي السلطان العرش فاشتركت الوفود العربية في الاحتفال والقى وزير خارجية مصر خطابا . وفي الرباط اعلن السلطان في المناسبة نفسها ضرورة الغاء معاهدة الحماية ودعى الشعب الى الهدوء .

وحدث تطور آخر في النضال . فقد غيرت فرنسا مقيمها جوان وارسلت الجنرال اجستين جيوم الذي وصل البلاد في الثامن عشر من آب والذي قدر له ان يلعب دوراً خطيرا . وكانت الاحزاب المغربية قد تجمعت قبل ذلك في نيسان وشكلت جبهة وطنية قدمت في الحادي عشر من كانون الثاني ١٩٥٢ مذكرة الى السلطان كررت فيها الاماني الوطنية التي سبق ان اعلنتها في اليوم نفسه قبل ثمانية اعوام .

وازداد حماس العالم العربي لقضية المغرب . فقد اثيرت القضية في مجلس النواب المصري واسهبت صحف مصر في الحديث عن اعمال العنف التي ترتكبها فرنسا. وقدم العراق احتجاجا الى هيئة الامم المتحدة ، وارسل ملك الاردن برقية الى الرئيس الامريكي ترومان طالبا تدخله . وقامت مظاهرات صاخبة ومعادية لفرنسا في لبنان والباكستان . واجتمعت اللجنة السياسية للجامعة العربية في الثالث عشر من اذار وقررت الاحتجاج على اعمال فرنسا والتهديد باثارة القضية

في هيئة الامم المتحدة . ولكن وزارة الخارجية الافرنسية رفضت مذكرات احتجاج سعودية واردنية وسورية ومصرية .

وزاد نشاط السلطان بعد ان رأى هذا التأييد المعنوي الكبير في الداخل والخارج . فارسل في الرابع عشر من اذار مذكرة الى الرئيس الافرنسي أيد فيها المطالب الوطنية . وردت فرنسا في السابع عشر من ايلول رافضة المطالب الوطنية مقدمة عروضا جديدة رفضها السلطان بدوره في الثالث من تشرين الاول ، واصدر بعد اسبوع بيانا رسميا شرح فيه اوجه الخلاف .

واثيرت قضية المغرب مرة اخرى في هيئة الامم المتحدة . فقد قدم العراق في السابع من آب مذكرة الى هيئة الامم طالبا عرض القضية . وايد طلب العراق في الثالث من ايلول ثلاثة عشر دولة عربية وشرقية . واقرت اللجنة التوجيهية اعطاء صفة الاستعجال للقضية . وناقشت اللجنة السياسية في الثالث عشر من كانون الاول موضوع المغرب فرفضت مشروعا عربيا اسيويا في السابع عشر منه واقرت مشروعا مائعا قدمته دول امريكا اللاتينية وقبلته فيما بعد الجمعية العمومية في التاسع عشر منه باكثرية ٤٥ صوتا.

وحدث اثناء نقاش قضية تونس ومراكش في هيئة الامم ان اغتال الافرنسيون الزعيم العمالي التونسي فرحات حشاد في الثامن من كانون اول . فاعلن حزب الاستقلال و **الاتحاد النقابي المغربي** الاضراب العام تضامنا مع تونس . ولكن الافرنسيين اغتنموا الفرصة للقيام بمذبحة كبيرة في الدارالبيضاء قتل فيها اكثر من اربعة آلاف مواطن مغربي . واعتقل الافرنسيون زعماء الاستقلال والاتحاد النقابي واعلنوا حل الحزب وعطلوا الصحف العربية وسجنوا وعذبوا وشردوا الوف المواطنين . ودفعت فرنسا اكثر من ٢٧٠ من باشاوات وقواد مراكش الى توقيع عريضة في الثلاثين من ايار ١٩٥٣ طالبوا فيها بخلع السلطان لمعارضته للاصلاحات ولثقافته العصرية التي تؤذي شعور الاسلام ولاتجاهاته الشيوعية فجرد من رئاسته الدينية . وعقد باشا مراكش الجلاوي

مؤتمراً معاديا للسلطان في الثالث عشر من آب نادى بخلع السلطان . وفي يوم عيد الاضحى المبارك ، في التاسع عشر من آب ، اعتقل السلطان وافراد عائلته ونقلوا بالقوة الى كورسيكا ثم الى مدغشكر ونصب محمد بن عرفة سلطانا .

واصبحت المعركة سافرة بين الشعب العربي في المغرب وقوى الاستعمار الافرنسي . وخاضها هذه المرة جميع افراد الشعب من مثقفين وعمال ورجال دين من عرب وبربر من المدن والقرى والارياف . ولم يعد بامكان الساسة اقناع الشعب بالاكتفاء بالنضال السلمي لاسيما وان اساليب القمع الاستعماري قد اتجهت نحو العنف واتخاذ اجراءات تؤدي الى الانصهار او الابادة . فخرج الشعب على ارادة زعمائه وقابل العنف بالعنف واستطاع المجاهدون في المرحلة الاولى القضاء على عدد كبير من المتعاونين مع فرنسا والموالين لها .

ودخل معركة النضال في هذا الدور العمال المغاربة . ويلاحظ تأخر عمال المغرب عن زملائهم في تونس والجزائر في مرحلة التنظيم . ففي تونس اسس السيد محمد علي القابسي نقابة عمالية في تونس عام ١٩٢٤ عاشت عاماً واحداً ثم جددت هذه المحاولة بدون نجاح عام ١٩٣٧ الى ان تم انشاء النقابات عام ١٩٤٤ بزعامة فرحات حشاد . وفي الجزائر انضم الجزائريون الى فروع النقابات الافرنسية فاستطاعوا السيطرة على مكاتبها . اما في مراكش فقد فشلت الجهود عام ١٩٢٨ لتأسيس نقابات عمالية ولم يسمح حتى للافرنسيين بتأسيس نقابات قبل عام ١٩٣٦ . واسست في ذلك العام نقابات بفاس برئاسة السائق السيد بن عمر وفي القنيطرة برئاسة ابو الشتاء الجامعي . ولكن السلطات الافرنسية قاومت هذه الاتحادات فاضطر العمال الى الانخراط بالاتحادات الافرنسية حتى بلغ عددهم فيها مائة الف عامل . ونمت الاتحادات العمالية المغربية بعد ١٩٥٠ وان بقيت منضمة نظريا الى الاتحادات الافرنسية . وكانت هذه الاتحادات بزعامة عبد الرحيم ابو عبيد والمحجوب بن الصديق . وتعرضت النقابات لاشد انواع القمع عام ١٩٥٢ ، ولكن النقابيون صمدوا وتمكنوا

من الاستقلال عن النقابات الافرنسية (س ج ت) وتشكيل لجنة العمل وتكوين نقابات مغربية حرة . وفي الثاني والعشرين من آذار ١٩٥٥ عقد النقابيون مؤتمراً تأسيسياً وشكلوا اتحاد النقابات المراكشية الحرة وانتخبوا السيد المحجوب بن الصديق اميناً عاماً والسيد الطيب ابو عزة اميناً عاماً مساعداً. وانضم هذا الاتحاد الى الاتحاد الدولي لنقابات العمال الحرة .

ولعبت النقابات الشيوعية بشكل خاص والشيوعيون بصورة عامة دوراً غريباً في قضية المغرب . فقد قاوموا كل تكتل وطني في الجزائر وحاربوا النقابات المراكشية الناشئة . وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية عارض الشيوعيون اماني شعوب المستعمرات الافرنسية ووقفوا في طريقها املا منهم بتكوين اتحاد افرنسي قوي يستطيع ان يقف في وجه الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا في اوربا . ولكن الشيوعيون ظلوا ينادون بالمساواة بين الشعوب ويهاجمون الاستعمار ويطالبون في الوقت نفسه ببقاء المستعمرات الافرنسية ضمن نطاق الشعوب الافرنسية . ووجد الوطنيون اول الامر في الشيوعيين سنداً لهم في مراحل النضال الاولى ، ولكن ما ان تحول الوطنيون الى المطالبة بالاستقلال التام حتى تنكر لهم الشيوعيون .

استمرت الاحوال مضطربة في المغرب بعد نفي السلطان. وعقدت القبائل الريفية مؤتمراً في العشرين من كانون الثاني ١٩٥٤ حضره الجنرال جارسيا المندوب الاسباني واتخذ المجتمعون قراراً باستنكار اعمال فرنسا وتأييد السلطان محمد الخامس . وفي منطقة الاحتلال الافرنسي استمر استبسال الفدائيين وجرت محاولة لاغتيال بن عرفة وغيره من المتعاونين مع فرنسا. وغيرت فرنسا ممثلها واتت بفرنسيس لاكوست مقيما عاماً جديداً ولكن ذلك لم يحسن الاحوال ، وعادت الدول العربية والشرقية الى عرض المشكلة على هيئة الامم المتحدة في الوقت الذي اصر فيه حزب الاستقلال على رفض اي حل في ظل ابن عرفة .

وتراجعت فرنسا واعادت السلطان محمد الخامس الى عرشه في السابع عشر من

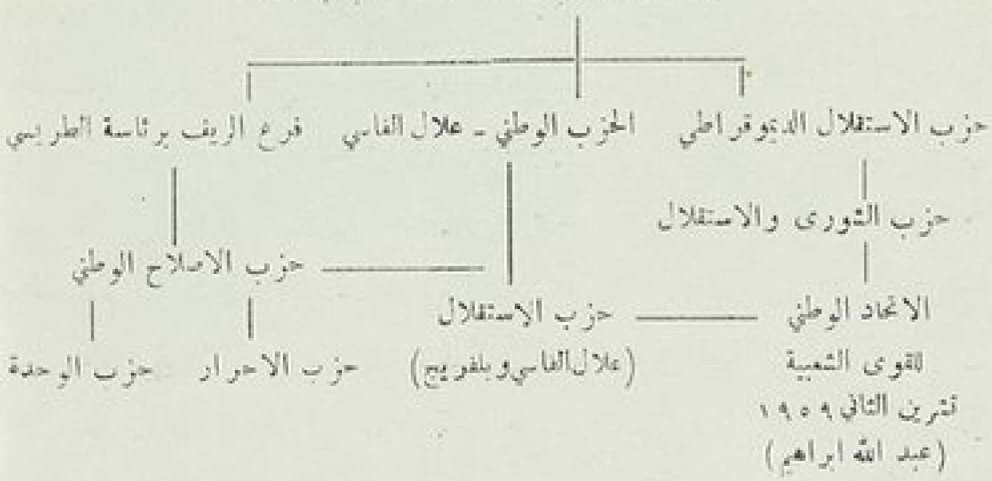
تشرين الاول وشكل محمد بكاي في السابع من كانون الاول ١٩٥٥ اول وزارة وطنية . وصدر يوم الجمعة في الثاني من آذار ١٩٥٦ بيان افرنسي مغربي بالغاء الحماية كما صدر في السابع من نيسان بيان اسباني مغربي مماثل . وفي الثامن والعشرين من ايار استعاد المغرب حريته الدبلوماسية . واوصى مجلس الامن في السادس والعشرين من تموز بادخال مراكش في عضوية الامم المتحدة . وعقد في الثامن من تشرين الاول مؤتمر قضاله لانهاء الوضع الدولي لطنجة . وفي ايلول سنة ١٩٥٨ اصبحت مراكش عضوا في الجامعة العربية وحضرت اول اجتماع للجامعة في الحادي عشر من تشرين الاول .

وواجهت مراكش مشاكل كثيرة بعد نيلها استقلالها . فقد بقيت فيها قواعد عسكرية افرنسية واسبانية وامريكية . وكان وجود جيش افرنسي في مراكش بالاضافة الى احداث الجزائر مصدرا دائماً للاحتكاك وتوتر العلاقات . كذلك توترت العلاقات مع اسبانيا حول افني المراكشية التي رفضت اسبانيا اعادتها الى الوطن الام فقامت فيها حركة تحررية عنيفة عام ١٩٥٧ .

وجابهت البلاد في الميدان الداخلي مشاكل عديدة . فقد بدا الانقسام واضحا في الرأي بين اعضاء الوزارة الائتلافية الاولى التي شكلها البكاي (١٩٥٥/١٢/٧ - ١٩٥٦/١٠/٢٦) ولا سيما بين وزراء حزب الاستقلال وحزب الشورى والاستقلال «الاستقلال الديموقراطي» وعارض وزراء حزب الشورى والاستقلال في حل منظمة كاديما الصهيونية اول حزيران ١٩٥٦ وسمح وزير المواصلات للبريد المغربي بالتعامل مع اسرائيل . وطالب وزيران من وزراء هذا الحزب شطب كلمات العروبة والاسلام من مشروع بيان الحزب الذي اعد اوائل العام . ودعت جريدة الرأي العام الناطقة بلسان ذلك الحزب الى قيام ديموقراطية لادينية ، ونادى زعيم الحزب عبد القادر بن جلون بان الحزب لاديني وطالب باشراك اليهود في ادارة الدولة .

واغتنم حزب الاستقلال هذه الفرصة للطعن بحزب الشورى ولاسيما بعد ان انتشرت انباء اعترافات محمد حسن الوزاني الامين العام لحزب الشورى على اتجاهات حزبه اللادينية . وحمل علال الفاسي زعيم حزب الاستقلال في جريدة العلم على هذا الاتجاه المعادي للعروبة والاسلام وانتقد بشدة العلاقات البريدية مع اسرائيل واعاد البكاي تشكيل وزارته دون ان يضم وزراء من حزب الشورى . وبقيت الدعوة اللادينية قوية تحت ستار « التقدمية » . وانتقد « التقدميون والقوميون » وزارة بلفريج لانها لم تضم وزيرا يهوديا بينما ايدوا وزارة عبد الله ابراهيم « التقدمية » واعتبروا اقالتها من قبل الملك عملا « رجعيا » بعيد مراكش الى اتباع سياسة دينية اسلامية . وشكل التقدميون في تشرين الثاني ١٩٥٩ تجمعاً جديداً سموه **الاتحاد الوطني للقوى الشعبية** برئاسة مهدي بركة . ونال هذا الحزب تأييد **اتحاد العمل المغربي** الذي يضم أكثر من نصف مليون عامل بزعامة محجوب بن صادق ، كما أيده قادة جيش التحرير المغربي . وتبدو هذه الكتل « التقدمية » قوية في الرباط وطنجة والدار البيضاء بينما تبرز قوة حزب الاستقلال « اليميني » **والاتحاد المغربي للعمل** في المدن القديمة كفاس ومراكش التي تعتز بطابعها الاسلامي .

كتلة العمل المغربي ١٩٣٤ - ١/٣/١٩٣٧



جمهورية السودان

تمتد السودان من خط ٢٢ شمالا الى خط ٤ شمالا اي حوالي ١٤٠٠ ميلا (٢٢٥٤ كيلو مترا) من الشمال الى الجنوب بينما تمتد ١٢٠٠ ميلا (١٩٣٢ كيلو مترا) من الشرق الى الغرب. وتبلغ مساحة هذه البقعة قرابة مليون ميل مربع (٩٦٧٥٠٠ ميل٢ او ٢٥٠٥٧٠٠ كم٢) تطل على البحر الاحمر بساحل طوله ٤٠٠ ميل ويسكنها عشرة ملايين وربع المليون نسمة . وتختلف السودان عن اي قطر عربي آخر بان ربع السكان تقريباً زنوج وثنيون لا يتكلمون العربية ويشكلون اكثرية في مساحة معينة، وتلعب البعثات التبشيرية المسيحية دوراً هاماً بينهم بحيث تهدد وحدة السودان الوطنية . وحاول الاستعمار خلال اكثر من نصف قرن تغذية هذه الفوارق بين اجزاء الشعب وتضخيمها فجعل المناطق الوثنية الجنوبية مناطق مقفلة بعد عام ١٩٢٢ . ولم يحسن المواصلات لربط اجزاء السودان واكتفى بمد ٢١٥٢ ميلا / ٣٤٦٤ كم من الخطوط الحديدية خلال الاعوام ١٨٩٧ – ١٩١٣ لتساعده على فرض سيطرته العسكرية على البلاد ، واوجد خطوط ملاحة نهرية يبلغ طولها ٢٣٢٥ ميلا / ٣٧٤٣ كيلو مترا .

قد يكون السودان احدث البلاد العربية أخذا بالطابع العربي . تسربت اليه العناصر العربية عن طريقي البحر الاحمر ومصر ولكن الطريق الثاني كان اعمق اثراً . ولم يتأثر السودان بحركة التحرير العربي في فجر الاسلام ولم تتوغل الجيوش العربية التي حررت مصر في الاراضي السودانية . واكتفى عبد الله ابن ابي سرح عام ٢٥/٦٤٦ بفرض معاهدات على الممالك السودانية المسيحية القائمة

في شمالي السودان كمملكة دنقلة (المقرة) ومملكة النوبة (المريس) ومملكة علوه (سوبا) . وشابه سكان هذه الممالك سكان مصر في الجنس والدين واعتنقوا جميعاً المذهب اليعقوبي وارتبطوا جميعاً بالكنيسة القبطية . وكانت النوبة اكثرها اتصالا بمصر حتى انها زودت مصر بسلالة حاكمة (٧٥٠ — ٦٦٠ ق . م) .

واشتد ضغط القبائل العربية على السودان وازداد عدد افرادها الذين استوطنوا السودان وثبتوا عروبته . وحدثت صدامات عديدة بين النوبيين والقبائل العربية . وارسل حكام مصر العرب حملات عديدة لا سيما في الاعوام ٣١/٦٤٢ ، ٨٥٤ ، ٨٦٩ ، ١٢٦٦ ، ١٢٧٥ ، ١٢٩٠ ، ١٣١٥ ، ايدت القبائل العربية وساهمت في نشر الاسلام واللغة العربية . وتدخل سلاطين المماليك في الفتن الداخلية في النوبة وتمكنوا عام ٧١٦/١٣١٦ من تنصيب ملك مسلم على النوبة .

وقامت في السودان الشمالي ثلاثة ممالك اسلامية هي مملكة الفونج (١٥٠٥ — ١٨٢١) وسلطنة دارفور (١٥٩٦ — ١٩١٦) ومملكة تقلى (١٥٧٠ — ١٨٨٠) في الركن الشمالي الشرقي . والفونج قبائل زنجية زحفت من الجنوب واسلمت وحالفت القبائل العربية واسست مملكة كبيرة امتدت من الشلال الثالث الى فازوغلي ومن البحر الاحمر الى كردفان ، وكانت على نزاع مستمر مع سلطان دارفور حول السيادة على كردفان . ونشر ملوك هذه الدول الدعوة الاسلامية وشجعوا القبائل العربية على استيطان ممالكهم ورحبوا بالعلماء المسلمين الذين قصدوهم فحببوا لهم الاقامة ومنحوهم الاقطاعات ولم يردوا لهم طلباً ولا شفاعة .

وانتشرت في السودان الطرق الصوفية الاسلامية . فدخلتها الطريقة الشاذلية (نسبة الى ابي الحسن الشاذلي التونسي ١١٩٦ — ١٢٥٨) عام ٨٤٩/١٤٤٥ ورسخت اقدامها في القرن الثامن عشر . وغدت القادرية (نسبة الى عبد القادر الجيلاني ١٠٧٧ — ١١٦٦) اكثر الطرق انتشاراً في الجزيرة ودارفور منذ القرن السادس عشر . كذلك انتشرت الطرق النقشبندية (نسبة الى محمد بهاء

الدين النقشبندي م ١٣٨٩) والرفاعية (نسبة الى احمد الرفاعي م ١١٨٢) . وتأثر السودان بالحركة الوهابية التي قامت في نجد في منتصف القرن الثامن عشر باشكال مختلفة عن طريق احمد ابن ادريس الفاسي .

نشأ احمد ابن ادريس الفاسي (١١٧٣/١٧٦٠—١٢٥٣/١٨٣٧) في فاس واتبع الطريقة الشاذلية ودرس في القاهرة ثم اقام في مكة بعد عام ١٢٣٤/١٨١٨ واختلف في مكة مع علمائها فغادرها الى صبيا في عسير عام ١٢٤٣/١٨٢٤ . واتصل بالوهابيين وتوثقت علاقاته بهم وتقارب معهم في العقيدة . وتنازع ميراثه بعد وفاته ابنه وتلميذاه محمد بن علي السنوسي ومحمد بن علي المرغني . وقدر لحفيد محمد بن علي بن محمد بن احمد بن ادريس (١٨٧٦ - ١٩٢٣) ان يؤسس دولة في عسير بعد ان اقام في دنقلة في السودان حتى عام ١٩٠٥ . اما السنوسي (١٧٩١ ١٨٥٩) فقد نال تأييد عربان مكة وعاد الى ليبيا لينشر دعوته في دارفور ومنطقة تشاد والصحراء الليبية .

وكان التلميذ الثاني محمد بن علي المرغني (١٧٩٣ - ١٨٥٣) ابعد الجميع اثراً في السودان وساعده على ذلك نسبه العلوي . درس محمد المرغني النقشبندية والقادرية واخيراً الشاذلية وتتلمذ على احمد بن ادريس في مكة . وارسله معلمه الى السودان ليبشر بالدعوة فقضى زمناً في كردفان والنوبة وسنار ١٢٣٢/١٨١٧ وتزوج امرأة سودانية . وعاد الى صبيا (عسير) حيث اقام حتى وفاة احمد . واعترف به اشراف مكة خلفاً لمعلمه فاسس زوايا في المدينة وجدة والطائف . وارسل ابنه محمد سر الختم لينشر الدعوة في اليمن وحضر موت كما ارسل ابنه الحسن (السوداني الام) الى سواكن حيث اتبعته قبائل البجا وبنو عامر ونجح في كردفان ودنقلة والنوبة واسس الطريقة الختمية . وخلف الحسن بعد وفاته عام ١٨٦٩ ابنه محمد عثمان تاج السر (م ١٨٨٦) . وايد عثمان المصريين وقاوم المهدي وفر بعد نجاح المهدي الى القاهرة ومات فيها . وعاد ولداه احمد وعلي مع الجيش المصري عام ١٨٩٦ . وقاد احمد الطريقة الختمية واعاد احياءها حتى

وفاته عام ١٩٢٨ فخلفه في زعامتها الروحية اخوه علي المولود عام ١٨٧٩ . وتجمع الختمية بين الشاذلية والنقشبندية .

وتأكدت عروبة واسلام السودان على يد الجيش المصري بعد عام ١٨٢٠ . فقد ارسل والي مصر محمد علي باشا جيشاً بقيادة ابنه الثالث اسماعيل فقضى على مملكة الفونج ودخل عاصمتهم سنار في ١٣ حزيران ١٨٢١ ووصل في كانون الاول الى فازوغلي اقصى نقطة في الجنوب . وتأخر احتلال دارفور الى عام ١٨٧٤ حينما ألحق الزبير رحمة هزيمة بسلطانها في الثالث من تشرين الثاني . الا ان فرمان ٢١ ذي القعدة ١٢٥٦ (١٣ شباط ١٨٤١) جعل محمد علي حاكما على النوبة ودارفور وكردفان وسنار وتوابعها وملحقاتها طيلة حياته بالرغم من ان دارفور لم تكن قد خضعت للحكم المصري . ولم يعط محمد علي ، بموجب ذلك الفرمان ، سواحل البحر الاحمر من سواكن الى مصوع لانها كانت تابعة الى حاكم جدة ابراهيم باشا (ابن محمد علي) .

حكم السودان في الدور المصري (١٨٢٠ – ١٨٨٥) ست وعشرون حاكما . وتم في عهد خامسهم (علي خورشيد باشا) تأسيس الخرطوم التي غدت عاصمة السودان . وتأسس في الخرطوم في عهد تاسعهم (عبد اللطيف باشا) مدرسة عهد برئاستها الى رفاعة بك الطهطاوي فكانت اول مدرسة حديثة في السودان . وقام محمد علي باشا وعباس باشا بزيارة السودان وتفقد احواله . الا ان ولاة مصر لم يولوا هذه المنطقة العناية اللازمة ولم يستقروا في ادارتها على خطة واحدة فقد حكمها محمد علي كوحدة ثم حاول تجزئتها وعهد الى احمد باشا بتنفيذ هذه المهمة عام ١٨٤٤ ولكنه عاد فقرر الابقاء عليها موحدة . وجرب عباس باشا التجزئة زمناً ثم عدل عنها ، وحكم السودان الولاة التالية اسماؤهم :

١ – الامير اسماعيل باشا بن محمد علي باشا ١٨٢١/٦/١٣ – ١٨٢٣/٢/٢٠
٢ – محمد بك الاستانلي الدفتردار – ١٨٢٣/٦/١٤
٣ – الاميرالاي عثمان بك الجركسي ١٨٢٤/٣/١٥ – ١٨٢٥/٥/١١

٤ ـ محمد بك ـ ١٨٢٦
٥ ـ اللواء علي آغا خورشيد باشا ١٨٢٦/٨/٣١ ـ ١٨٣٨/١٢/١٣
٦ ـ الفريق أحمد باشا جركس ابو ودان ١٨٣٨/١٢/١٢ ـ ١٨٤٣/١٠/٢٥
٧ ـ احمد باشا قولي المناكلي ١٨٢٤/٣/١٨ ـ ١٨٤٥/١٢/١٤
٨ ـ خالد باشا الاستانلي ١٨٤٩/١١/١٢
٩ ـ عبد اللطيف باشا ـ ١٨٥٢/١/١٤
١٠ ـ رستم باشا جركس ـ ١٨٥٢/٥/٢٨
١١ ـ الفريق اسماعيل حقي باشا ١٨٥٢/٧/٤ ـ ١٨٥٣/٤/٢
١٢ ـ سليم باشا الجزائرلي ١٨٥٣/٤/٢٤ ـ ١٨٥٤/٧/٢٢
١٣ ـ اللواء علي باشا سري الارناؤوطي ١٨٥٤/١١/٢٩
١٤ ـ علي جركس باشا
١٥ ـ حليم باشا بن محمد علي باشا

والغي منصب الحاكم العام والحقت المديريات بالقاهرة مباشرة وعين علي جركس باشا مديرا على الخرطوم وخلفه فيها اراكيل بك الذي توفي في ايلول ١٨٥٩ فجاء بعده حسني بك سلامة ثم محمد بك راسخ . واخيراً اعيد منصب الحاكم العام .

١٦ ـ موسى باشا حمدي ١٨٦٢/٥/٢٧ ـ ١٨٦٥/٦/١٩
١٧ ـ الفريق جعفر صادق باشا ـ ١٨٦٦/١/٩
١٨ ـ الفريق جعفر مظهر باشا ١٨٧١/٩/٣٠
١٩ ـ ممتاز باشا ـ ١٨٧٣
٢٠ ـ اسماعيل ايوب باشا ـ ١٨٧٧/٢/٢٧
٢١ ـ الكولونيل شارل جوردون ١٨٧٧/٢/١٨ ـ ١٨٧٩/١٢/٨
٢٢ ـ الفريق محمد رءوف باشا اذار ١٨٨٠ ـ ١٨٨٢/٢/١٥
٢٣ ـ الفريق عبد القادر باشا حلمي ١٨٨٣/٢/٢٠

٢٤ – علاء الدين باشا – ١٨٨٣/١١/٥
٢٥ – حسين سري باشا ١٨٨٣/١٢/٢٦ – ١٨٨٤/١/١٧
٢٦ – شارل جوردون – ١٨٨٥/١/٢٦

خدم المصريون السودان من نواح كثيرة . فقد وحدوا بقعة جغرافية واسعة تضم قبائل متباينة في اللون والجنس واللغة والدين والعادات فربطوا بينها وحولوها الى شعب واحد وادخلوا الى السودان الحضارة الحديثة ونشروا العلم والمعرفة ورفعوا المستوى الصحي والاجتماعي واوجدوا حكومة منظمة وعهدا مستقرا . وكافح المصريون تجارة العبيد واعادوا الى الانسان شيئا من كرامته. وحسنوا الاوضاع الاقتصادية فادخلوا زراعة القطن ونشروا استعمال الملابس المنسوجة بدلا من الملابس الجلدية ووحدوا السودان كله ومصر في سوق كبير واحد . كذلك حمى المصريون السودان فترة من الزمن من ان تصبح مستعمرة اوروبية واخروا حدوث ذلك قرنا كاملا .

ووسع المصريون حدود السودان اتساعاً كبيرا . فقد احتلت القوات المصرية حتى عام ١٨٦٦ كل ساحل البحر الاحمر الغربي وامتداد هذا الساحل على المحيط الهندي من رأس غردافوي الى بربرة بحيث اتصلت املاك الخديوي باملاك سلطان زنجبار العربي . ووافق السلطان العثماني في ايار ١٨٦٥ على ضم الساحل من سواكن الى مصوع الى باب المندب الى مصر . وقاد البريطاني صامويل بيكر حملة مصرية اواخر ١٨٦٩ تمكنت اواخر ايار ١٨٧١ من ضم غندكور ومديرية خط الاستواء الى مصر . وتوغل الجيش المصري في الحبشة في عهد الامبراطور يوحنا السادس (١٨١٢ - ١٨٨٩) . ودخلت القوات المصرية مدينة هرر فتنازل سلطانها المسلم محمد بن علي بن عبد الشكور عن سيادته الى والي مصر في ٧ رمضان ١٢٩٣ /٧ تشرين اول ١٨٧٥ . ومنح الخديوي بموجب فرمان ٢٧ جم الاول ١٢٩٢/تموز ١٨٧٥ مرسي زيلع . وتخطت القوات المصرية نهر جوباجنوبا فاحتج سلطان زنجبار . وغدا القسم الاكبر من ساحل افريقية الشرقي

خاضعا لحكم عربي . واعترفت بريطانيا في ٧ ايلول ١٨٧٧ بسيادة مصر على جميع الساحل الافريقي الشرقي من السويس حتى رأس غردافوي ورأس جافون.

وكانت هذه بداية النهاية . فقد ثارت الحرب مع الحبشة واشتعلت نيران الفتنة في السودان وخسرت مصر وخسر العرب افريقية الشرقية والوسطى . وخاض المصريون ثلاث معارك خاسرة ضد الحبشة عام ١٨٧٦ ونزلت قوات افرنسية في جيبوتي عام ١٨٨١ وقوات ايطالية في عصب . وحلت الكارثة الكبرى بمصر نفسها التي احتلتها القوات البريطانية في العام التالي .

وتحول رأي السودانين في الحكم المصري بعد ان فقد صفته العربية الاسلامية . فقد امتعضوا من قبل من تعيين حكام افرنج على مديرية خط الاستواء (صامويل بيكر ١٨٧٠ - ١٨٧٣ ، شارل غوردون ١٨٧٤-١٨٧٦ وامين باشا حتى نهاية العهد المصري) . ولاحظوا ان هؤلاء الافرنج يحاربون الاسلام وينشرون النصرانية ويضطهدون العرب والمسلمين . وازداد عدد الحكام الافرنج في خدمة الخديوي حتى بلغ عددهم عام ١٨٧٨ اربعة عشر حاكما اوروبيا. وبدأت بوادر الكارثة الكبرى عندما عين العلج شارل غوردون حاكما عاماً على السودان .

وعبر السودانيون عن سخطهم بالثورات . فقد قامت اكثر من ثورة في دارفور ومديرية خط الاستواء . وكان من بين من ثار سليمان بن الزبير ورحمة ورابح مولى الزبير . وفشلت هذ الثورات وقتل سليمان وفر رابح عام ١٨٧٨ الى منطقة تشاد حيث اسس دولة عربية اسلامية قضى عليها الافرنسيون عام ١٩٠١ . واخيرا قاد محمد بن احمد الدنقلاوي المشهور بالمهدي ثورة ناجحة على حكومة مصر البريطانية بعيد انهيار القوات المصرية امام الغزاة البريطانيين .

ولد المهدي في قرية قرب دنقلة في ٢٧ رجب ١٢٦٠/١٢ آب ١٨٤٤ . وكان

ابوه عربيا يتعاطى صناعة القوارب الخشبية . ونشأ المهدي نشأة دينية وامتهن حرفة ابيه ولكنها لم تصرفه عن نشر الدعوة التي آمن بها والتي بدأها سرا عام ١٢٩٧/١٨٨٠ ، وجهرا في العام التالي . وهزم في ١٢ آب و ٩ كانون الاول قوات مصرية حاولت القاء القبض عليه ، وفتك في ٢٩ ايار ١٨٨٢ بحملة جديدة . واستفحل امره في كردفان واستسلمت له عاصمتها الابيض في ١٩ كانون اول ٨٨٣، ووقع بأسره ستة آلاف جندي . واستولى المهدي على دارفور واعاد علي بن دينار بن زكريا سلطانا عليها . واباد المهدي حملة هكس باشا في ٦/١١/١٨٨٣ وحملة بيكر في ٢٣/١٢/٨٣ . وساعده على نيل انتصاراته ان قوات اعدائه كانت بقيادة علوج اوروبيين وان مصر نفسها كانت قد خضعت للاحتلال البريطاني ، فلم تعد ثورته موجهة ضد السلطان الخليفة او الامير المسلم في القاهرة ، بل ضد الانجليز الذين اعتقلوا الوطنيين ونفوا عرابي وحكموا البلاد .

ولاحت فرصة ذهبية لبريطانيا والدول الاوروبية للقضاء على النفوذ العربي الاسلامي في شرق افريقية . وتمهيدا لذلك اشارت الحكومة البريطانية على مصر بالجلاء عن السودان فرفض شريف باشا ذلك واستقال واعتذر رياض باشا عن تشكيل وزارة تنفذ الرغبة البريطانية فشكلها نوبار باشا في ٤ كانون الثاني ١٨٨٤ وكانت مهمتها الرئيسية تنفيذ الجلاء عن السودان . وعهد نوبار ، للمرة الثانية ، الى غوردون بمنصب الحاكم العام للسودان المكلف بالاشراف على الجلاء . واقرت الوزارة البريطانية تعيين غوردون في ١٨ كانون الثاني وصدر مرسوم الخديوي بذلك في ٢٦ منه ووصل الخرطوم في ١٨ شباط . وكان على غوردون ان يؤمن اجلاء اكثر من خمسين الف مدني مصري يملكون ثلاثة آلاف بيت تجاري بالاضافة الى اجلاء الاوربيين والقوات المصرية . وفشل غوردون في مهمته واستولى المهدي على الخرطوم وفقد غوردون حياته في ٢٦ كانون الثاني ١٨٨٥ ، اي بعد عام واحد على صدور مرسوم تعيينه . خسرت مصر السودان وخسر العرب افريقية الشرقية .

لم يثبت المهدي نفوذه الا في جزء من ممتلكات مصر في افريقية بينما غدت الممتلكات الباقية نهباً للمستعمرين . وحاولت الدول الاوروبية تنظيم اقتسام التركة المصرية فعقدت معاهدات عديدة فيما بينها لهذه الغاية . وارتبطت بريطانيا بمعاهدات مع ايطاليا (١٨٩١/٤/١٥ و ١٨٩٣/٥/٥) والمانيا (١٨٩٠/٧/١ ، ١٨٩٣/١١/١٥) وبلجيكا (١٨٩٤/٥/١٢) وشجعت الحبشة على احتلال هرر والقضاء على امارتها الاسلامية عام ١٨٨٧ . واحتلت ايطاليا في شباط ١٨٨٥ ميناء مصوع وتوغلت في ارتريا كما تقدمت في اراضي الصومال حتى نهر جوبا الذي كان يفصل ممتلكات مصر عن ممتلكات زنجبار . وشجع الايطاليون اميراً حبشياً اسمه منليك على الثورة على امبراطوره يوحنا وساعدته وبريطانيا على احتلال هرر . ولما قتل الامبراطور يوحنا (١٨٧٢ — ١٨٨٩) في حربه مع قوات المهدي في آذار ١٨٨٩ اعترفت ايطاليا بمنليك امبراطوراً واغرته بعقد معاهدة حماية في الثاني من ايار ١٨٨٩ . ولكن نشب خلاف بين ايطاليا ومنليك الذي لم يعترف بالنص الايطالي للمادة ١٧ من المعاهدة والحق هزائم كبيرة بالايطاليين لا سيما في عدوة في ٢٩ شباط ١٨٩٦، فكانت هذه المعركة سبباً في الحملة البريطانية المصرية على السودان . وبادرت الدول الاخرى الى اخذ نصيبها من الاسلاب فاحتلت فرنسا جيبوتي واخذت بلجيكا مديرية خط الاستواء واستولت بريطانيا على زيلع وبربرة واوغندة (١٨٩٣ — ١٨٩٤) واقتسمت مع المانيا ممتلكات سلطان زنجبار . ولم يبق من ممتلكات مصر غير المنطقة الخاضعة للمهدي فرأت بريطانيا ان الوقت قد حان للقضاء عليه وانقاذ ايطاليا الاوروبية التي اهينت على يد دولة افريقية (الحبشة) وان كانت هذه الدولة مسيحية .

قررت بريطانيا تجهيز حملة مصرية بريطانية مشتركة بقيادة بريطانية عهد اليها بمهمة احتلال السودان . وبدأت الاستعدادات فجأة وعلى حين غرة بناءً على اوامر لندن . وقاوم الخديوي والوطنيون المصريون هذه الفكرة ولم يرحبوا بالقضاء على دولة عربية اسلامية بمساعدة بريطانيا . ورفض صندوق الدين المصري

الموافقة على اعطاء مصر المال اللازم لتغطية نفقات الحملة . ولكن بريطانيا كانت مصممة غير مكترثة بالمعارضة فساهمت بريطانيا بثلث نفقات الحملة وقدمت ثلث قوتها وفتحت لمصر حسابا جاريا بفائدة ٢,٥ ٪ لتغطية باقي النفقات . وتحركت الحملة بقيادة كتشنر (٨٢٠٠ بريطاني ، ٢٠٠٠٠ مصري وسوداني) في ايار ١٨٩٨ واحتلت دنقلة في آب وهزمت الخليفة عبد الله التعايشي (الذي خلف المهدي في ٩ رمضان ١٣٠٢/٢٢ ايار ١٨٨٥) في الثاني من ايلول واجبرت قوة افرنسية بقيادة مارشان على اخلاء فاشودة . وقتل الخليفة في ٢٤ تشرين الثاني ١٨٩٩ فانتهت دولة الدراويش او الانصار التي عاشت خمسة عشر سنة وخلقت في السودان حركة دينية جديدة واوجدت كيانا سودانياً .

وبدأ في السودان عهد عجيب دام اكثر من نصف قرن . فقد عقدت معاهدة مصرية بريطانية في ١٩ كانون الثاني ١٨٩٩ اخضع السودان بموجبها لحكم ثنائي مصري بريطاني مع رفع العلمين البريطاني والمصري . ونجت السودان بموجب هذه المعاهدة من الامتيازات الاجنبية ولم يبق للمحاكم المختلطة اي سلطان فيها ، ولكنها اخضعت لحاكم عام بريطاني يعينه الخديوي بموافقة بريطانيا . وجعل الحاكم العام رئيساً اعلى للادارة المدنية والعسكرية وحاكما مطلقاً مستقلا متمتعاً بسلطات تشريعية وتنفيذية واسعة . ولم تعد القوانين والقرارات الوزارية المصرية سارية المفعول في السودان . ولم يبق لمصر في السودان غير العلم وبعض القوات المسلحة الخاضعة لقيادة بريطانية واعفاء جمركي للبضائع المصرية . وتحملت مصر مسئولية سد العجز في موازنة السودان الذي بلغ ربع مليون جنيه في العام الاول وتضاعف بعد اربعة اعوام .

ولكن هل كانت هذه الاتفاقية اتفاقية شرعية ؟ لم يكن من حق الخديوي ان يعقد معاهدة يتنازل فيها عن السيادة او جزء منها (اذا جاز تجزئة السيادة) لدولة اجنبية بدون موافقة ولي الامر الشرعي السلطان العثماني . ولم تبرم مصر هذه المعاهدة ، التي لم تكن تملك حق ابرامها ، الا مكرهة . وفي الذكرى

الاولى لتوقيع تلك المعاهدة نادى مصطفى كامل ، زعيم الحركة الوطنية في مصر حينذاك ، باعتبار ذلك اليوم يوم حزن وحداد . وازداد الم المصريين حينما رأوا شريكهم يستقل في حكم السودان ويوجهه وجهة معادية لمصر .

تقلب على حكم السودان خلال فترة الحكم الثنائي تسعة حكام بريطانيون هم كتشنر (حتى آخر ١٨٩٩) وونجت (١٨٩٩/١٢/٢٢-١٩١٦/١٢/٣٠) وسرلي ستاك (- ١٩٢٤/١١/١٩) وسرجفري ارجر (كانون ثاني ١٩٢٥ - تشرين اول ١٩٢٦) وسر جون ميفي (١٩٢٦/١٠/٢٤ - ١٩٣٣/١١/١٣) وسر ستيوارت سيمور (١٩٣٤/١/١٠-١٩٤٠) والجنرال هيوبرت هدلستون (١٩٤٠-١٩٤٧) وسر روبرت هاو (١٩٤٧ - آذار ١٩٥٥) والسر نوكس هولم (١٩٥٥). وساعد الحاكم البريطاني ثلاثة سكرتيرين للادارة والقضاء والمال بالاضافة الى عدد من مدراء الدوائر . وشكل عام ١٩١٠ مجلس دعي **مجلس الحاكم العام** برئاسة الحاكم وعضوية سكرتيريه الثلاث ومدراء دوائر المعارف والاشغال والصحة والشئون الاقتصادية . ومنح هذا المجلس حق اقرار الموازنة وتصديق القوانين والمشاريع واجراء التنقلات بين الموظفين وممارسة صلاحيات الحاكم في حالة غيابه . ولكن سلطات الحاكم كانت في الواقع مطلقة لا يقيده الا الايعازات والتعليمات التي يتلقاها من الحكومة البريطانية بواسطة ممثلها في القاهرة الذي اعتبر مرجع الحاكم المباشر .

ولم تهتم حكومة السودان برفع مستوى السكان او التقدم بهم نحو الاستقلال الذاتي كما كانوا يدّعون . فلم يشترك السودانيون بالحكم باي شكل من الاشكال ولم يؤخذ لهم رأي ولم تفتح امامهم المناصب العالية . واحتل الانجليز بعد نصف قرن جميع المناصب العليا واكثر الوسطى بحيث شغلوا قرابة ١١ ٪ من المجموع العام للوظائف بينما نال شركاؤهم في الحكم الثنائي (المصريون) خمس هذه النسبة العددية ولكنهم لم يشغلوا الا وظائف متوسطة . ولم تزد نسبة الموظفين السودانيين عام ١٩٢٠ على ٣٧ ٪ فارتفعت الى النصف عام ١٩٣٠ واستقرت بعد عام ١٩٤٠

على ٨٥ ٪ الى ان تمت سودنة جميع الوظائف في آب ١٩٥٥ .

وابدت حكومة السودان اهتماماً قليلا في نشر التعليم . فقد وضع عام ١٨٩٩ حجر الاساس لكلية غوردون التي جمع كتشنر تكاليفها في لندن لتخليد ذكرى الجنرال غوردون . وكانت في اول امرها مدرسة ابتدائية فاصبحت ثانوية عام ١٩٠٥ . وافتتحت اول مدرسة للاناث في السودان عام ١٩١١ ، وارتفع الرقم بعد ثلاث عشر عاما الى خمس مدارس . وفي الذكرى الخمسين للاحتلال البريطاني لم ترتفع مخصصات التعليم في الموازنة لاكثر من ١٠ ٪ وبقيت نسبة التعليم ٤ ٪ . وعندما استقلت السودان وجلا الانجليز عنها كان عدد المدارس والطلاب فيها مساويا لعددهم في المملكة الاردنية الهاشمية التي يبلغ عدد سكانها عشر سكان السودان . ولكن الانجليز لم يفقدوا عنايتهم بتخليد قادتهم فافتتحوا كلية كتشنر للطب عام ١٩٢٤ وغدت كلية غوردون كلية آداب عام ١٩٤٠ . واخيراً ، في عهد الاستقلال ، تأسست جامعة الخرطوم في ٢٤ تموز ١٩٥٦ .

واعتمدت السودان في التعليم العالي على الجامعات المصرية . ولما جمدت الصلات الثقافية مع مصر أواخر ١٩٢٤ ، اثر مقتل السردار ، وجهت البعثات الجامعية الى الجامعة الامريكية في بيروت . وبدأت أفواج خريجي جامعة بيروت تصل الى السودان بعد عام ١٩٢٨ بعد أن ازدادوا اتصالاً بالعالم العربي وغدوا أكثر تفهما لمشاكله . وعندما أصبحت كلية غوردون كلية جامعية تقدم طلابها الى فحوص جامعة لندن كطلاب خارجيين . وأخيراً بدأت حكومة السودان بعد الحرب العالمية الثانية بارسال بعثات الى الجامعات البريطانية .

واعتمدت السودان ، كأكثر البلاد العربية ، على المطبوعات والصحف المصرية . وأصدرت حكومة السودان عام ١٨٩٩ جريدة الغازيته السودانية الرسمية التي نشرت في عددها الأول اتفاقية الحكم الثنائي . وأصدر أصحاب المقطم المصرية جريدة السودان عام ١٩٠٣ نصف اسبوعية ثم توقفت عام ١٩٢٥ . وصدرت مجلة غرفة التجارة السودانية عام ١٩٠٨ . وصدرت صحف اخرى

بعد ذلك كجريدة الخرطوم وكشكول المساح (١٩٠٩) وجريدة رائد السودان (١٩١١ — ١٩١٩) ومجلة النهضة السودانية وجريدة حضارة السودان (١٩٣٠) . وبلغ عدد الصحف الصادرة عام ١٩٣٠ تسع صحف ثم ارتفع الرقم بعد عشرة أعوام الى أربعة عشر . وخلقت صعوبات شديدة في وجه الصحف المصرية بعد مقتل السردار وحاولت السلطات السودانية منع تداولها .

ولم يبد السودانيون مقاومة تذكر في أول الأمر لهذا الوضع الشاذ الذي عاشوه . وربما كان عصيان علي دينار بن زكريا سلطان دارفور أول حركة سودانية لمقاومة الاحتلال . وسارعت السلطات البريطانية الى القضاء على السلطان قبل أن يبدأ ثورته فهزمته في ٢٢ أيار ١٩١٦ واحتلت عاصمته الفاشر في اليوم التالي . وأصابت السلطان رصاصة قتلته في تشرين الثاني . وبرر الانجليز عملهم العدائي بأن ادعوا ان السلطان كان ينوي الثورة متأثراً بالدعاية العثمانية الالمانية وانه كان على اتفاق مع السنوسي الذي هاجم حدود مصر الغربية . وهدأت الأحوال في السودان بعد ذلك حتى نهاية الحرب .

وكان السودانيون شديدي التأثر بالاحداث المصرية خلال السنوات السبع التي تلت نهاية الحرب العالمية الأولى . فقد تحمسوا لثورة ١٩١٩ وتأثروا بأبحاث لجنة ملنر . وعندما أصدرت بريطانيا تصريح فبراير (شباط) ١٩٢٢ الذي الغت فيه الحماية احتفظت لنفسها بحق خاص في السودان . وتدخلت بريطانيا عام ١٩٢٣ لتجبر المصريين على تغيير نص المادتين ١٥٩ و ١٦٠ من الدستور . وفي السودان أصدر الملازم الاول علي عبد اللطيف في ايار ١٩٢٢ نشرة سماها **مطالب الامة السودانية** فاعتقل حتى نيسان من العام التالي . وعندما اجتمع أول برلمان مصري في كانون الثاني ١٩٢٤ شكل علي عبد اللطيف وعبيد الحاج وحسن شريف وحسن صالح وصالح عبد القادر وغيرهم جمعية **اللواء الابيض** في ايار . واستغل الأعضاء كون أكثرهم من موظفي البرق والبريد لينشروا

دعوتهم وأخبارهم في ارجاء السودان . وقامت مظاهرات في الخرطوم (١٧ حزيران) وام درمان (١٩ حزيران) . وعندما هتف بالمتظاهرين أحد أعضاء اللواء الأبيض «أيها الناس من كان يؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر فليهتف معي : فلتحيا مصر ولتسقط بريطانيا» رددت الجموع بحماس هذا الهتاف . وفي الثالث والعشرين من حزيران اتخذت الجمعية لها علماً قطعة قماش بيضاء عليها خريطة نهر النيل وفي جانبها الأيسر الهلال وفي الركن الآخر كلمتي «الى الأمام» . ولم تستطع السلطات البريطانية السكوت عن هذا النشاط فبادرت الى استعمال الشدة والعنف . واعتقلت رئيس الجمعية وعدداً من أعضائها وقدمتهم الى المحاكمة في تموز بتهمة التآمر على قلب نظام الحكم . وحكم على الرئيس بالسجن ثلاث سنوات وعلى علي ملاسي بالسجن ست سنوات لأنه قاد مظاهرة في بور سودان . وقامت مظاهرات سلمية احتجاجاً على هذه الأحكام الجائرة . وثارت حماسة طلبة المدرسة الحربية في الخرطوم فخرجوا في التاسع من آب بظاهرة مسلحة طافت شوارع العاصمة. ووصلت قوة بريطانية حاصرت المدرسة واعتقلت عدداً من الطلبة وقدمتهم الى المحاكمة في ١١ تشرين الثاني فحكم على بعضهم بالسجن ستة أعوام . واساءت سلطات السجن معاملة المعتقلين من الطلبة وأعضاء اللواء الأبيض فقاموا بثورة في السجن فشددت الأحكام عليهم . وبقي عبد اللطيف بالسجن حتى عام ١٩٣٨ حينما سمح له بالذهاب الى القاهرة للمعالجة وتوفي في ١٩ تشرين الأول ١٩٤٨ . أما زميله عبيد الحاج فقد توفي في السجن عام ١٩٣٢ . وتشكلت إذ ذاك في آب **جمعية الاتحاد السوداني** برئاسة أحمد أمين المصري وعضوية عدد من الضباط المتقاعدين . وقامت الجمعية بجمع التبرعات لأسر المعتقلين . وبادرت السلطات الى اعتقال رئيس الجمعية وعدد من الاعضاء فحكم على الرئيس بالسجن سبع سنوات وشرد الباقون .

واصيبت الحركة الوطنية في مصر والسودان بصدمة عنيفة بل بكارثة اثر مقتل السردار الحاكم العام للسودان في ١٩ تشرين الثاني ١٩٢٤ . فقد وجه

الجنرال اللنبي في ٢٢ تشرين الثاني انذارا شديدا عجيباً ترك جروحاً عميقة في مصر والسودان. وطالب مصر بسحب قواتها من السودان خلال اربع وعشرين ساعة واعلمها بان حكومة السودان ستزيد مساحة الاراضي المزروعة في الجزيرة الى اكثر من ٣٠٠٠٠٠ فدان. وصدرت الاوامر الى القوات المصرية بالانسحاب من السودان، فاعلنت الوحدات السودانية تضامنها معهم. وتحركت وحدة سودانية مؤلفة من ١٢٠ جنديا من ثكناتها يوم الخميس ٢٧ تشرين الثاني قاصدة ثكنات الجيش المصري في موكب حربي مارة بشارع غوردون. وتصدت لها قوة انجليزية، وبعد معركة عنيفة أسرت من نجا من القتل، وحكم على ثلاثة من الضباط بالاعدام. واعلن في ١٧ كانون الثاني ١٩٢٥ عن تأسيس قوة دفاع السودان التي جعل الحاكم العام قائدها الأعلى.

وشرعت حكومة السودان باستغلال الجزيرة لمصلحة شركة بريطانية نالت امتيازا بذلك عام ١٩٠٤. وكانت بريطانيا قد تعهدت في شباط ١٩٢٠ بالا تزيد مساحة الارض المستغلة على ثلاثماية الف فدان. وتحللت بريطانيا من وعدها فسمحت للشركة بزيادة المساحة المزروعة اواخر ١٩٢٤. ولكي تتوفر المياه اللازمة لهذا التوسع بادرت حكومة السودان عام ١٩٢٥ الى بناء خزان سنار الذي يخزن ٦٣٦ مليون متر مكعب من الماء فافتتح في ٢١ كانون الثاني ١٩٢٦. ورغم كل ذلك لم تكن مساحة الارض المزروعة قد زادت بأكثر من الثلث. ووقعت بريطانيا ومصر في ٧ ايار ١٩٢٩ معاهدة لتوزيع مياه النيل حدد بموجبها نصيب السودان لري الجزيرة بتسعماية وتسع وعشرين مليون متر مكعب ($\frac{١}{٢٢}$ من حصة مصر). وبنت السودان خزانا ثانيا في جبل الاولياء عام ١٩٣٧ واستطاعت أن تستغل حتى عام ١٩٥٠ حوالي مليون فدان من ارض الجزيرة التي اصبحت الحكومة مالكة لهـــا بعد ان انتهى امتياز الشركة.

وخففت حكومة السودان اجراءاتها لمنع اتصال المصريين بالسودانيين عام ١٩٣٤ وازالت اكثر القيود اثر عقد معاهدة ١٩٣٦ . وجاء في المادة ١١ من معاهدة ١٩٣٦ تأكيد على استمرار العمل باتفاقية ١٨٩٩ دون التعرض لموضوعي الوحدة والسيادة . وابيح للمصريين حرية الانتقال الى السودان وحرية التملك والتجارة والتوظيف . وعادت قوة مصرية الى السودان لتصبح خاضعة لقيادة الحاكم العام . ولم تحاول مصر او بريطانيا اخذ رأي السودانيين في هذه المواضيع .

وكان طبيعياً الا يتقبل المثقفون السودانيون هذا التجاهل المبين لهم لاسيما من مصر ، فبادروا الى تنظيم انفسهم واثبات وجودهم . وتنادى المثقفون في صيف ١٩٣٧ الى عقد مؤتمر عام ، يجمع شملهم ويمكنهم من الوصول الى رأي حول مستقبل البلاد . واتفقوا في شباط ١٩٣٨ على تشكيل **مؤتمر الخريجين** الذي ضم الف وستمائة عضو . وعقد اجتماع عام لهيئة المؤتمر حضره اكثر من ثلثي الاعضاء (١١٨٠ عضو) واقر المؤتمرون دستور المؤتمر وانتخبوا مجلساً استشاريا من ستين عضوا . وانتخب اعضاء المجلس هيئة تنفيذية من ستة عشر عضوا . وبادر الامين العام للهيئة التنفيذية (اسماعيل الازهري) الى توجيه رسالة الى السكرتير الاداري لحكومة السودان في الثاني من ايار اعلمه بتشكيل المؤتمر وانتخاب مجلس استشاري ولجنة تنفيذية حسب نظام المؤتمر . وذكر الازهري في رسالته ان اهداف المؤتمر « وواجباته نحو الوطن » هي العمل ضمن حدود القانون على رفع مستوى الشعب الاجتماعي وتنظيم وسائل التعاون واطلاع الحكومة على وجهة نظر الاعضاء كمجموعة لان « مسؤولية البلاد تقع على عاتقنا » . واكد الازهري في رسالته ان اعضاء المؤتمر لا يطالبون بمراكز عالية لانفسهم . وجاء جواب السكرتير على هذه الرسالة بعد عشرين يوما مخيباً للآمال . فقد اشار الى ان الادارة اخذت علما بوجود المؤتمر ولكنها ترى ان اعضاء المؤتمر لا يمثلون الشعب السوداني ولا يصح لهم التكلم باسمه .

بقي نشاط المؤتمر محدوداً حتى نشوب الحرب العالمية الثانية . واقام المؤتمر حفلة شاي لرئيس وزراء مصر علي ماهر باشا الذي زار السودان عام ١٩٤٠ وطالب خطباء الحفلة مصر بمساعدة المؤتمر على بلوغ اهدافه الاجتماعية . ولم يرق هذا القول والعمل للحكومة السودانية فسعت الى شل نشاط المؤتمر . وساعد على ذلك الخطر الايطالي الجاثم على حدود السودان .

واستثارت احداث مصر السودانيين للعمل مرة اخرى . ففي فبراير ٩٤٢ وجهت بريطانيا انذارها المهين وفرضت على مصر وزارة ترضاها . وكان امراً طبيعياً ان يفقد السودانيون املهم الذي عقدوه على مصر بعدما رأوا من تخاذل احزابها وتكالبهم بانانية وحقد على الحكم . واتجه المؤتمر اتجاهاً جديداً في نضاله فلم يعد يطالب بالوحدة بل طالب « بمنح السودان بحدوده الجغرافية حق تقرير مصيره بعد الحرب مباشرة » . ووجه المؤتمر في الثالث من نيسان ١٩٤٢ (بعد شهرين من الانذار البريطاني لفاروق) مذكرة الى الحاكم العام شرح فيها مطلب الشعب السوداني كما يلي :

١ - اصدار تصريح مصري بريطاني في اقرب فرصة ممكنة بمنح **السودان بحدوده الجغرافية حق تقرير مصيره بعد الحرب مباشرة** واحاطة ذلك الحق بكل الضمانات التي تكفل حرية التعبير عن ذلك الحق وتنظيم الحقوق الطبيعية مع مصر باتفاق خاص بين الشعبين المصري والسوداني .

٢ - **تأسيس هيئة تمثيلية من السودانيين لاقرار الموازنة والقوانين**

٣ - تأسيس مجلس أعلى للتعليم اغلبيته من السودانيين وتخصيص مالا يقل عن ١٢٪ من الموازنة للتعليم .

٤ - فصل السلطة القضائية عن السلطة التنفيذية .

٥ - الغاء قوانين المناطق المقفولة ورفع قيود الاتجار والانتقال عن السودانيين داخل السودان .

٦ - **وضع تشريع بتحديد الجنسية السودانية**

٧ - وقف الهجرة الى السودان فيما عدا ماقررته المعاهدة الانجليزية المصرية

٨ - عدم تجديد عقد الشركة الزراعية صاحبة امتياز الجزيرة

٩ - اعطاء السودانيين فرصة الاشتراك الفعلي في الحكم **بتعيين سودانيين في وظائف ذات مسئولية** سياسية في جميع فروع الحكومة الرئيسية **وقصر الوظائف على السودانيين**. اما المناصب التي تدعو الضرورة لملئها بغير السودانيين فملأ بعقود محدودة الاجل يتدرب في اثنائها سودانيون لملئها في نهاية المدة .

١٠ - تمكين السودانيين من استثمار موارد البلاد التجارية والزراعية والصناعية .

١١ - وقف الاعانات لمدارس الارساليات وتوحيد برامج التعليم في الشمال والجنوب .

ورد السكرتير الاداري على هذه المذكرة رداً جافاً انكر فيه على المؤتمر « دعواه بتمثيل جميع السودانيين .. وتحويل صفته الى هيئة سياسية وطنية » واعاد المذكرة . ونصح السكرتير المؤتمر بأن يعيد تنظيم شئونه « بحيث تكون الحكومة واثقة على انه يحترم رغباتها ويلاحظ انذاراتها ويحصر نفسه في الشئون الداخلية .. ويقلع عن اي دعوى صريحة او ضمنية في تمثيل البلاد تمثيلا عاماً » والا فلن يكون له امل « في استمرار اعتراف الحكومة بـه » . الا ان السكرتير اكد في رده عزم حكومة السودان على استشارة الرأي العام السوداني المسئول اذا ماقررت مصر وبريطانيا اعادة النظر في الاتفاقية او المعاهدة .

وانقسم اعضاء المؤتمر على انفسهم . فقد وثق بعضهم بحسن نيات بريطانيا ولم يؤيدوا الوحدة مع مصر بل طالبوا بالاستقلال التام، بينما رأى فريق آخر ان على السودانيين الاستمرار بالنضال بالتعاون مع مصر وان بريطانيا لايوثق بها . ولجأ الفريق الاول الى السيد عبد الرحمن المهدي فايدهم واصبح راعي حزب الامة الذي تأسس في شباط ١٩٤٥ ، بينما اسس الفريق الآخر حزب الاشقاء برعاية المرغني . وعمدت حكومة السودان ابان الحرب الى تأسيس مجلس استشاري لشمالي السودان عام ١٩٤٤ ، فلم تعارض حكومة مصر الوفدية ماحدث بـل

اقرته . وحمل الاشقاء ، وهم اصحاب الاكثرية في المؤتمر ، على هذا المشروع واعتبروه بداية تجزئة بين الشمال والجنوب ودعوا الى مقاطعته . ولكن المجلس الاستشاري اثبت وجوده وقام باعماله وطالب بأن يؤخذ رأيه بالمفاوضات بين مصر وبريطانيا حول مصير السودان .

وكانت بريطانيا قد وافقت ، بالحاح من مصر ، على الدخول في مفاوضات لتعديل معاهدة ١٩٣٦ . وقرر مؤتمر الخريجين (بجناحيه) اغتنام هذه الفرصة للتعبير عن رأي السودانيين واسماع صوتهم . وذهب وفد سوداني الى مصر ليعرض على وفدي بريطانيا ومصر وجهة النظر السودانية . ولكن مصر تمسكت بشكل غير لبق بسيادتها على السودان فعاد الوفد السوداني فاشلا حزيناً .

وأبدى المؤتمر نشاطاً هاماً في الدفاع عن حقوق السودان . وقدم في ٢٣ تشرين اول ١٩٤٥ مذكرة الى الحاكم العام طالب فيها بقيام حكومة سودانية ديموقراطية في اتحاد مع مصر وتحالف مع بريطانيا على ان تقرر الحكومة السودانية وحدها نوع الاتحاد والتحالف ، كما طالب باطلاق الحريات العامة وتأليف لجنة مشتركة نصفها من السودانيين (يعينهم المؤتمر) والنصف الآخر من المصريين والانجليز لوضع مشروع تولي السودانيين مقاليد الحكم في البلاد في اقصر وقت .

وتعثرت المفاوضات بين مصر وبريطانيا فاستقلت بريطانيا بالعمل في السودان ووجهته وجهة ترضاها . وكانت بريطانيا قد نمت الادارة المحلية خلال الفترة ١٩٢٢–١٩٤٧ واسست المجلس الاستشاري لشمالي السودان عام ١٩٤٤ . واستغلت بريطانيا الخلاف مع مصر حول تفسير بروتوكول السودان الملحق باتفاقية صدقي – بيفن لكسب تأييد الرأي العام السوداني . واقترح الحاكم العام في ٢٢ آب ١٩٤٧ تأسيس مجلس تشريعي وآخر تنفيذي فوافقت مصر من حيث المبدأ في ٢٦ تشرين الثاني ولكنها طالبت بزيادة صلاحيات المجلسين واعطاء مصر صوتاً . ورفضت مصر ، كترضية لها ، مقعدين في المجلس التنفيذي فسارعت بريطانيا الى تطبيق الفكرة منفردة . وقدم الحاكم العام مشروعه النهائي في كانون الاول ١٩٤٨

الذي أعطى المجلس التشريعي حق التشريع في جميع الامور باستثناء (١) قانون تأسيسه (٢) علاقات السودان مع مصر وبريطانيا والدول الاخرى (٣) الجنسية السودانية. وابيح للمجلس أن يُشرّع في مواضيع النقد والدفاع والاقليات اذا وافق على ذلك المجلس التنفيذي. وتشكل المجلس التشريعي من ٩١ عضواً كان منهم الاعضاء الستة الانجليز في المجلس التنفيذي وعين الحاكم البريطاني ٣٣ سودانياً وانتخب الباقون (عشرة بالانتخاب المباشر). وجعل عدد اعضاء المجلس التنفيذي اثنا عشر نصفهم انجليز والنصف الآخر سودانيون ثلاثة منهم يشغلون مناصب رئاسة دوائر الزراعة والتعليم والصحة. وزيد عدد السودانيين الى سبعة في حزيران ١٩٥٠ حينما ملأ سوداني كرسياً كان يحتله بريطاني. ومنح الحاكم العام صلاحية تعيين أعضاء المجلس التنفيذي واعتبروا مسئولين أمامه ومنح حق نقض وابدال قرارات المجلس.

ودخلت القضية السودانية مرحلة جديدة خلال عامي ١٩٥١ - ١٩٥٢. فقد اتخذ مجلس النواب المصري في ١٥ تشرين الاول ١٩٥١ قراراً بالغاء معاهدة ١٩٣٦ واتفاقية ١٨٩٩ كما عدل المواد ١٥٩ و ١٦٠ من الدستور المصري. واصبح لقب ملك مصر بموجب هذا التعديل « ملك مصر والسودان » كما اعتبر السودان جزءاً من مصر على ان تنظم حكم السودان بموجب قانون خاص. واقر المجلس في اليوم نفسه هذا القانون الذي نص على تشكيل جمعية سودانية منتخبة تضع للسودان دستوراً ينص على تأليف مجلس منتخب او مجلسين احدهما منتخب وتشكيل مجلس وزراء سوداني مسئول امام مجلس النواب يعينه ويعزله الملك. واكد القانون على وجوب النص على فصل السلطات في الدستور السوداني.

ولم تقف بريطانيا مكتوفة اليدين ازاء ما حدث بل بادرت الى اتخاذ تدابير دستورية في السودان. وكانت قد شكلت في آذار ١٩٥١ لجنة ضمت ثلاثة عشر سودانياً برئاسة قاض بريطاني كما ضمت اليها مستشاراً قانونياً بريطانياً.

واستقال ستة من الاعضاء السودانيين لتشككهم بنوايا بريطانيا. وانفرد الرئيس البريطاني ومستشاره بوضع مشروع للحكم الذاتي قدم الى الجمعية التشريعية في ٢ نيسان ١٩٥٢ . وجاء المشروع مخيباً للآمال اذ اعطى الحاكم العام سلطات مطلقة تمكنه من تجاهل مجلس الوزراء ومجلس النواب .

وكانت مصر تعاني ذلك الوقت ازمات وزارية متلاحقة اثر حريق القاهرة واقالة وزارة النحاس . ولما شكل الهلالي وزارته الاولى بادر الى توجيه الدعوة الى السيد المهدي لزيارة القاهرة او ارسال وفد اليها للدخول في مفاوضات حول مصير السودان . وكان المهدي اذ ذاك حانقاً على بريطانيا وشعر ان بريطانيا تتنكر لوعودها السابقة له بالعمل على استقلال السودان . واعتقد المهدي ان **الحزب الجمهوري الاشتراكي** الذي اسسه ابراهيم بابكر بدري في ١٨ كانون الاول انما قام بايعاز بريطاني ليزاحم حزب الامة الذي يرعاه المهدي . ودعا الحزب الجديد الى حصول السودان على استقلاله بعد مرحلة من النضج والازدهار يتمكن خلالها الشعب السوداني من استيعاب فكرة الحكم الذاتي . ولما شعر المهدي ان مصر راغبة بالتفاهم معه ، ورأى ان بريطانيا قد خدعته ، سارع الى تلبية الدعوة وارسال وفد الى مصر لمفاوضة الهلالي .

وتلاحقت الاحداث في مصر بحيث لم تسمح باجراء مفاوضات مفيدة. فقد استقال الهلالي في ٢٨ حزيران وشكل حسين سري وزارة عاشت عشرين يوماً ثم عاد الهلالي الى الحكم وقامت الثورة في اليوم التالي في ٢٣ تموز، وتنازل الملك فاروق عن العرش مساء ٢٦ تموز . واخيراً شكل زعيم الثورة الرمزي وزارة عسكرية اتخذت اجراءات حاسمة نحو السودان .

ووصل المهدي وزعماء الاحزاب الاستقلالية السودانية الى القاهرة في العشرين من تشرين الاول . وتوصلت الاحزاب الى اتفاق مع مصر بعد تسعة ايام . وصيغت هذه الاتفاقية بشكل مذكرة ارسلتها مصر الى بريطانيا في الثاني من تشرين الثاني . واقترحت مصر اعطاء السودانيين حق تقرير مصيرهم في جو حيادي حر خلال فترة انتقالية ينتهي بانتهائها الحكم الثنائي وتعود السيادة

للشعب السوداني . واقترحت مصر ان يمارس الحاكم العام سلطاته خلال فترة الانتقال بمساعدة لجنة مؤلفة من مصري وبريطاني وسودانيين برئاسة هندي او باكستاني . كما اقترحت تشكيل لجنة سباعية من مصري وبريطاني وامريكي وثلاثة سودانيين برئاسة هندي او باكستاني لتشرف على الانتخابات . ورحبت الاحزاب السودانية بهذه الاقتراحات ووقعت في ١٠ كانون الثاني ١٩٥٣ على اتفاق فيما بينها تعهدت فيه بالتمسك بالمذكرة المصرية مع المطالبة بتعديلها لصالح السودانيين . ولم تر بريطانيا بداً من الرضوخ لما حدث فوقعت مع مصر اتفاقية السودان في ١٢ شباط ١٩٥٣ .

وخطت السودان خطوات سريعة في طريق الاستقلال . فقد اجريت الانتخابات في شهري تشرين الثاني وكانون الاول واعلنت النتائج في ١٥ كانون الاول ١٩٥٣ . وتبين ان الاحزاب التي تطالب بالاتحاد مع مصر قد نالت باكثرية المقاعد . وكان توزيع المقاعد على الاحزاب في مجلس النواب (٩٧ مقعداً) والشيوخ (٣٠ مقعداً) كما يلي :

١ ــ حزب **الامة** نال ٢٤ مقعداً في مجلس النواب وثلاثة في الشيوخ . تأسس هذا الحزب عام ١٩٤٥ وترأسه عبد الله خليل ورعاه السيد المهدي . ودعا الحزب الى استقلال السودان التام عن مصر وعدم الدخول في اي اتحاد او وحدة معها .

٢ ـ **الحزب الوطني الاتحادي** نال ٥١ مقعداً في مجلس النواب و٢٢ مقعداً في مجلس الشيوخ . تأسس هذا الحزب اوائل عام ١٩٥٣ برئاسة اسماعيل الازهري ورعاية المرغني . وضم الحزب جميع الاحزاب الاتحادية كحزب **الاشقاء** (١٩٤٥) وحزب **الجبهة الوطنية** التي شكلها ميرغني حمزة في آب ١٩٤٩ .

٣ ـ **الحزب الاشتراكي الجمهوري** نال ٣ مقاعد في مجلس النواب ، شكله ابراهيم بدري في ١٩٥١ ودعا الى التدرج في طريق الاستقلال .

٤ ـ حزب **الجنوب الحر** نال ٩ مقاعد في مجلس النواب وثلاثة في الشيوخ . طالب باستقلال ذاتي للجنوب .

ونال المستقلون اثني عشر مقعداً في مجلس النواب ومقعدين في مجلس الشيوخ. وعين الحاكم العام اربعة شيوخ من حزب الامة وعشرة من الحزب الوطني الاتحادي وشيخاً واحداً من الحزب الجمهوري وثلاثة من حزب الجنوب وشيخين مستقلين.

عقد مجلس الامة السوداني الاول جلسته الاولى في اول كانون الثاني ١٩٥٤. وانتخب في السادس منه اسماعيل الازهري كاول رئيس لوزراء السودان. واتم الازهري تشكيل وزارة من بين اعضاء مجلس الامة (المادة ١٥ من دستور الحكم الذاتي) من اثني عشر وزيراً (جعلت المادة ١٤ الحد الادنى عشر وزراء) بينهم ثلاثة من الجنوب، ومارست هذه الوزارة سلطاتها ابتداء من التاسع منه. واتمت لجنة السودنة في تشرين الثاني سودنة جميع وظائف الادارة والجيش والبوليس واختتمت اعمالها في اجتماعها الخامس عشر بعد المائة المنعقد في الثاني من آب ١٩٥٥. وبلغ عدد الوظائف التي كان يشغلها البريطانيون ثم ملئت بسودانيين ١٠٩٦ وظيفة بالاضافة الى ١٥٣ كان يشغلها مصريون.

وبعد ان تمت عملية السودنة قرر مجلس الامة السوداني في ١٦ آب ١٩٥٥ السير في عملية تقرير المصير واخطر بذلك حكومتي بريطانيا ومصر وذلك طبقاً للفقرة الثانية من المادة التاسعة من الاتفاقية. وتنفيذاً لاحكام المادة الحادية عشر من تلك الاتفاقية طالبها بسحب قواتها العسكرية خلال ثلاثة شهور من هذا الاخطار. وتم فعلا جلاء القوات المصرية والبريطانية يوم ١٣ تشرين الثاني فلم يبق على ارض السودان جندي غير سوداني.

ووصلت في ١٨ آب انباء مزعجة من الجنوب. فقد تمردت الفرقة الجنوبية بتوريت واستولت على مخازن الاسلحة والذخيرة واعتدى على الضباط الشماليين. وبادرت الحكومة الى ارسال قوة بطريق الجو وتوجيه انذار الى المتمردين. واستسلم عدد كبير من المتمردين في ٢٧ آب ودخل الجيش مدينة توريت. وتبين ان عدد قتلى الحوادث بلغ ٤٠٠ شمالي. وبدا واضحاً ان اصابع اجنبية

حرضت على هذا التمرد مستغلة ازمة عدم الثقة بين اهل الجنوب واهل الشمال.

ولم تعق الثورة اجراءات تقرير المصير . وبدأت المفاوضات بين مصر وبريطانيا في ٨ حزيران للاتفاق على تشكيل لجنة دولية تشرف على تقرير المصير (مادة ٨ من الاتفاقية) . ولما اختلف الطرفان احيل الخلاف الى مجلس النواب السوداني الذي اقر وجهة النظر المصرية . واتجه الرأي في السودان الى تقرير المصير بطريق الاستفتاء المباشر لا عن طريق مجلس تأسيسي كما اصدر المرغني نداءا حبذ فيه هذا الرأي . ووجد اتجاه قوي ينادي بان يعلن المجلس القائم استقلال البلاد . وفي غمرة هذه الاحداث قدم الحاكم العام استقالته ورأت بريطانيا ألا ترشح خلفا له .

واجتمع مجلس الامة السوداني في ١٩ كانون الاول ١٩٥٥ (١٨ جمادى الثاني ١٣٧٥) ليتخذ اخطر قرار في تاريخ السودان . وقرر المجلس اعلان استقلال السودان وتشكيل لجنة سيادة خماسية وتكوين جمعية تأسيسية تعطي الاعتبار الكافي لتشكيل حكومة فدرالية للمديريات الجنوبية الثلاث . واقر المجلس في ٣١ كانون الاول الدستور الموقت الجديد والعلم السوداني (ازرق واصفر واخضر رمز النيل والصحراء والزراعة).

واحتفلت السودان يوم الاحد اول كانون الثاني ١٩٥٦ باستقلالها وقيام النظام الجمهوري فيها . وبادرت مصر وبريطانيا الى الاعتراف بالجمهورية المستقلة الجديدة في اليوم نفسه . وغدت السودان عضوا في الجامعة العربية في ١٩ كانون الثاني وعضوا في هيئة الامم المتحدة في تشرين الثاني .

وتقلب الزمان بالازهري . فقد بدأ من انصار الاتحاد مع مصر ثم غير رأيه اوائل عام ١٩٥٥ . وظهر الفتور بينه وبين وفد مصر واضحا في مؤتمر باندونغ في نيسان واعلن رأيه صريحا في ايار حينما نادى بقيام جمهورية سودانية مستقلة فالتقى بذلك مع حزب الامة . ولكن عمله هذا لم يحم حزبه ولا وزارته . فقد كان خلافه مع الطائفة الختمية عميقا بعدما شعر المرغني بان

الازهري لايؤيد النفوذ الطائفي . وتصدع الحزب وانشق عنه علي عبد الرحمن ومرغني حمزة وغيرهما وشكلوا عام ١٩٥٦ حزب **الشعب الديموقراطي** الذي رعاه المرغني . وطوح هذا الانقسام بوزارة الازهري فشكل عبد الله خليل زعيم حزب الامة وزارة ائتلافية في الرابع من تموز . وضمت وزارته ستة وزراء من حزب الامة وستة من حزب الشعب الديموقراطي وواحد عن الاشتراكي الجمهوري وثلاثة عن حزب الجنوب الحر .

وبدأت انتخابات الجمعية التأسيسية (ثاني انتخابات في السودان) في السابع والعشرين من شباط ١٩٥٨ وانتهت في العاشر من اذار لاملاء ١٧٣ مقعدا في مجلس النواب . ونال حزب الامة نصرا كبيراً وكسب ٦٣ مقعدا في مجلس النواب بينما لم ينل الحزب الوطني الاتحادي غير ٤٥ مقعدا . ونال حزب الشعب الديموقراطي ٢٧ مقعدا وحزب الجنوب الحر ٢٠ مقعدا والمستقلون ١٨ مقعدا. وكسبت هذه الاحزاب في مجلس الشيوخ بالتعيين والانتخاب نسبا متقاربة : الامة ١٤ ، الاتحادي ٥ ، الشعب ٥ ، الجنوب والمستقلون ٦ . والف اثناء ذلك عمر بن الخليفة وعبد الله التعايشي حزب **التحرر الوطني** الذى لم ينل أي مقعد في مجلس الامة. وشكل عبد الله خليل وزارة ائتلافية جديدة في ٢٧ اذار ١٩٥٨ سرعان ما انهار ائتلافها . ولم يكن بالامكان تشكيل وزارة تستقر في الحكم وتحمي التوازن الطائفي بين المهدي والمرغني وتحفظ لهما نفوذهما . وغدا الانقلاب العسكري امرا محتوما والحل الوحيد للازمة المستحكمة بين احزاب اشتدت في عداوتها بعضها لبعضها الآخر وتناست مصالح البلد وتنكرت لمبادىء الاسلام والحكم الديموقراطي . وقام قائد الجيش بانقلابه يوم الاثنين ١٧ تشرين الثاني ١٩٥٨ . ولم يكن امرا مستغربا ان يصرح رئيس الوزراء الذي طوح به الانقلاب بانه « كان على علم بالانقلاب قبل وقوعه باسابيع » .

زنجبار

وافريقيا الشرقية

بدأت علاقات العرب بافريقيا الشرقية منذ زمن بعيد اذ ينسب الى الخليفة الاموي عبد الملك بن مروان (م٨٧/٧٠٥) انه ارسل بعثة الى تلك المنطقة فاستقر افرادها في منبسه (ممبسه). واسس العرب بلدة كاوة عام ٣٦٥/٩٧٦ وامتد النفوذ العربي فشمل اكثر الساحل وجزر زنجبار وبيا ومنبسه . وحكم المنطقة امراء عرب من عائلة الشيرازي حتى مجيء البرتغاليين . واخضع البرتغاليون المنطقة فنازعهم عليها العثمانيون . وخضعت منبسه للعثمانيين عام ١٥٩٠ ثم استعادها البرتغاليون وسلموا حكمها للشيخ احمد المندي (١٦٠٠-١٦٠٩) الذي كان مواليا لهم . ولم يرض البرتغاليون عن ابنه حسن فدبروا عام ١٦١٥ مؤامرة قتله وارسلوا يوسف بن حسن الى جوا فالبرتغال لينشئوه نشأة مسيحية مناسبة . واعيد يوسف سلطانا عام ١٦٣٠ فعاد الى الاسلام وثار على البرتغاليين، ولكنه لما شعر بضعفه فر الى عمان مستنجدا .

وتأخر إمام عمان في تلبية نداء عرب افريقيا الشرقية . ولما تم للعمانيين تحرير بلادهم من البرتغاليين ، ابحر اسطول عماني الى افريقيا الشرقية لتحريرها عام ١٦٦٠ . ولم يستطع العمانيون توطيد مركزهم طويلا واستعاد البرتغاليون نفوذهم . واخيراً استطاع العمانيون عام ١٦٩٨ تحريرها ثانية وعينوا نصر بن عبد الله المزروي شيخا على المنطقة . وشن البرتغاليون حملة ارهابية جديدة عام ١٧١٨ وسيطروا على المنطقة بضع سنوات الى ان حررها امام عمان

سيف بن سلطان عام ١٧٣٢/١١٤٤ وعين محمد بن عثمان المزروعي شيخا فتمتع هو واحفاده باستقلال اداري كبير. اما زنجبار ومنباسة فقد استتب الامر للعمانيين في الاولى عام ١٧٣٠ وفي الثانية عام ١٦٩٨ .

وبدأ شيخ منبسة محاولاته اوائل القرن التاسع عشر للانفصال عن مسقط. وقطع كل من احمد بن محمد (م ١٨١٤/١٢٢٩) وابنه عبد الله (م ١٢٣٨/ ١٨٢٣) شوطاً بعيداً في هذا الطريق. وطلب سليمان بن علي (١٨٢٣/١٢٣٨ – ١٨٢٦/١٢٤٢) مساعدة حاكم بومباي البريطاني كما رفع العلم البريطاني على المدينة ليحميها من الاسطول العماني . وثار عليه سالم بن محمد المزروعي (١٨٢٦/١٢٤٢ – ١٨٣٥/١٢٥١) واخضع منسبة ثانية لحكم عائلته وصد حملتين عمانيتين في عامي ١٨٢٩/١٢٤٥ و ١٨٣٢/١٢٤٨ ، ولكنه اضطر الى الاعتراف بسيادة امام مسقط. وخلفه ابنه رشيد الذي تغلب عليه العمانيون بالخدعة وقضوا على حكم عائلته واستعادوا سيطرتهم المباشرة على المدينة والجزيرة

وغدت جزيرة زنجبار (٦٤٠ ميل مربع/١٠٣٠ كم٢) مركزاً رئيسياً لقوات واسطول سلطان مسقط . وامضى السلطان سعيد فيها الجزء الأكبر من حياته ودفن فيها عام ١٨٥٦ . وافتتح في زنجبار في عهده قنصليات للولايات المتحدة الامريكية (١٨٣٧) ولبريطانيا وفرنسا (١٨٤٤) . ولما توفي السلطان سعيد استقل ابنه ماجد بزنجبار والممتلكات الافريقية واضطر أخوه سلطان مسقط الى الاعتراف بالامر الواقع كما اعترفت بريطانيا عام ١٢٧٧/ ١٨٦١ . وتعهدت بريطانيا وفرنسا في العام التالي باحترام استقلال سلطان زنجبار .

وبدأت هذه الامبراطورية العربية الواسعة بالتفسخ في عهد اخيه وخلفه برغش بن سعيد (١٨٧٠ – ١٨٨٨) . فقد ورث برغش امبراطورية واسعة امتدت من مقاديشو في الصومال الى موزمبيق البرتغالية (اي قرابة ٢٠٠٠ كيلومتر) . وادعى السلطان السيادة على مساحة واسعة في داخل افريقيا

امتدت الى ينابيع النيل والكونغو . ولكن الدول الاوروبية بدأت عمليات اقتسام هذه الامبراطورية فيما بينها اثر انهيار الامبراطورية المصرية في السودان واواسط وشرق افريقيا . فقد فرضت المانيا حمايتها على تنجانيقا ورفضت احتجاجات السلطان في نيسان وحزيران من عام ١٨٨٥ . ووصلت قوة بحرية المانية الى زنجبار فأجبرت برغش في الثامن من آب ١٨٨٥ على الاعتراف بالامر الواقع . واتفقت بريطانيا والمانيا في اول تشرين الثاني ١٨٨٦ على اعطاء السلطان جزر زنجبار وبمبا والساحل الافريقي من مقادبشو الى موزابيق على عمق عشرة اميال . ووافق السلطان في السابع من كانون الاول على هذا التقسيم وعهد بادارة ساحل تنجانيقا لالمانيا واعطي ساحل كينيا لشركة بريطانية لتديره .

وازداد الوضع سوءاً في عهد اخيه وخلفه خليفة بن سعيد (٢٧ آذار ١٨٨٨ - ١٣ شباط ١٨٩٠) . ولم يبق للسلطان على الساحل الا جزء من الصومال طالبت به ايطاليا كتعويض عن الاهانة التي لحقتها من عدم ارسال شكر الى ملك ايطاليا على الصورة التي ارسلها الى السلطان . وثار العرب على الالمان ، فسمح الانجليز للالمان بتدريب قوة في عدن لاخماد هذه الثورة . وتمكن الالمان من اخماد الثورة العربية في تنجانيقا واعدام زعيمها بوشيري بن سالم في ١٥ كانون الاول ١٨٨٩ . وازدادت حملة الكراهية ضد الاوروبيين بين سكان زنجبار فاجبر الالمان والانجليز السلطان على نفي زعماء هذه الحركة .

وانتهى ما تبقى من سيادة واستقلال للسلطان في عهد علي بن سعيد (١٨٩٠ - ٥ آذار ١٨٩٣) . فقد اضطر السلطان بعد اربعة اشهر من وصوله الى الحكم الى قبول الحماية البريطانية في ١٤ حزيران ١٨٩٠ التي اعلنت رسمياً في ٧ تشرين الثاني . وتخلى السلطان نهائياً عن تنجانيقا مقابل ٢٠٠ الف جنيه ، ولكنه لم يقبض هذا المبلغ بل اعطاه للشركة البريطانية التي حكمت نيابة عنه ساحل كينيا وتعهدت بدفع اجر عن الارض وفائدة على الاموال . وحكمت

بريطانيا زنجبار حكماً يكاد يكون مباشراً. فقد اشرف القنصل العام البريطاني على علاقات السلطان مع الدول الاجنبية وعلى تنفيذ اصلاحات معينة في الداخل. وازداد نفوذ القناصل الدكتور جون كرك (١٨٦٠ - تموز ١٨٨٦) و بوان سمث (١٨٨٨ - آذار ١٨٩١) و جيرالد بورتر (١٨٩١ - ١٨٩٢) وسلبوا السلطان كل نفوذ. واستطاع الاول أن يفرض على السلطان برغش تعيين البريطاني السير لويد ماثيوز قائداً لقواته العسكرية عام ١٨٧٧، واجبر الرابع السلطان على تعيين ماثيوز وزيراً اولا له فاحتل هذا المنصب حتى وفاته في ٧ تشرين اول ١٩٠١. وعين رؤساء بريطانيون لدوائر المال والجيش والبوليس والجمارك والميناء والاشغال. وادخلت تحسينات على ميناء زنجبار واعلن عن جعله ميناءاً حراً في اول شباط ١٨٩٢ ليستطيع كميناء بريطاني ان ينافس ميناء دار السلام الالماني. وحددت نفقات السلطان بربع مليون ربية أي بثلث واردات الدولة.

وازداد النفوذ البريطاني في عهد السلاطين حامد بن ثوين (٦ آذار ١٨٩٣ - ٢٥ آب ١٨٩٦) وحمود بن محمد (٢٧ آب ١٨٩٦ - ١٨ تموز ١٩٠٢) وعلي بن حمود (١٩٠٢ - ٧ حزيران ١٩٠٥ - ٩ تشرين الثاني ١٩١١). فقد احبط البريطانيون محاولة خالد بن برغش للاستيلاء على الحكم ونصبوا حامد بشروطهم الثقيلة وفرضوا عليه بعد عام التخلي نهائياً عن الصومال لايطاليا التي احتلته في ١٦ تموز ١٨٩٣. وعامل القناصل البريطانيون السلطان العربي بكثير من الخشونة والفظاظة. فقد أهان القنصل رنل رد (٣١ كانون اول ١٨٩٢ - تشرين اول ١٨٩٣) السلطان وكذلك فعل خلفه القنصل ارثر هاردنج (٣١ ايار ١٨٩٤ - تشرين اول ١٩٠٠) والسر شارل ايليوت (٣٠ كانون اول ١٩٠٠ - تموز ١٩٠٤) والسر باسيل كوف (تموز ١٩٠٤ - تشرين اول ١٩٠٨) وادوارد كلارك (شباط ١٩٠٩ - ١٤ شباط ١٩١٣). فقد امر هاردنج بقصف قصر السلطان يوم ٢٧ آب ١٨٩٦ ليقصي عن الحكم

خالد بن برغش الذي لجأ الى القنصلية الالمانية واقام في دار السلام الى أن احتلها الانجليز عام ١٩١٧ فنفوه الى جزيرة القديسة هيلانة ثم الى سيشل عام ١٩٢١ . وسمحوا له بالاقامة في منبسة عام ١٩٢٤ فمات فيها بعد ثلاث سنوات. وفرضت بريطانيا كالعادة شروطاً جديدة ثقيلة على السلطان حمد بن حمد واجبرته على اقسام يمين الولاء للملكة . وتابعت بريطانيا « اصلاحاتها » فاتبعت الجزيرة قضائيا الى بومباي (الهند) .

واعتقد الانجليز ان باستطاعتهم ضمان ولاء السلطان لو أعد اعدادا بريطانيا لذا الحقوا الامير علي بن حمود بمدرسة هارو واعترفوا به وليا للعهد . وتوفي والده وهو قاصر فتولى الوصاية عليه وزيره الانجليزي روجرز الذي خلف ماثيوز . واستلم علي الحكم في حزيران ١٩٠٥ فوجد نفسه مقيداً بوزيره الاول البريطاني روجرز (- ١٩٠٥) ورايكز (- ١٩٠٨) وبارتون (- ١٩١٣) . وتبين ان خريج هارو اشد صلابة وعداءاً للبريطانيين من خريجي الكتاتيب الاباضية . واكثر السلطان علي من التقرب من حكام العالم العربي والاسلامي وزار السلطان عبد الحميد الثاني العثماني وشريف مكة وتجول في اوروبا . وضاق الانجليز بـــه ذرعاً فأجبروه على التنازل في ٩ تشرين الثاني ١٩١١ ، وتوفي في باريس في كانون الاول ١٩١٨ .

ووضعت بريطانيا يدها على كينيا واخذتها من يد الشركة البريطانية. وضاعت على السلطان املاكه الساحلية ومبلغ الـ ٢٠٠ الف جنيه . ولم يعترف العرب على الساحل بالحكم الجديد وثاروا عليه . وتأسست دويلتان مزرويتان الى الشمال والى الجنوب من منبسة . وثار الامراء المزروبون في صيف ١٨٩٦ وقادوا حرب عصابات عنيفة استمرت حتى ربيع ١٨٩٦ حينما فر قادة الثورة الى تنجانيقا .

وقررت بريطانيا اعادة تنظيم املاكهم في افريقيا الشرقية وتثبيت نفوذهم. فقد فصلوا زنجبار عن وزارة الخارجية والحقوها بوزارة المستعمرات وحل مقيم

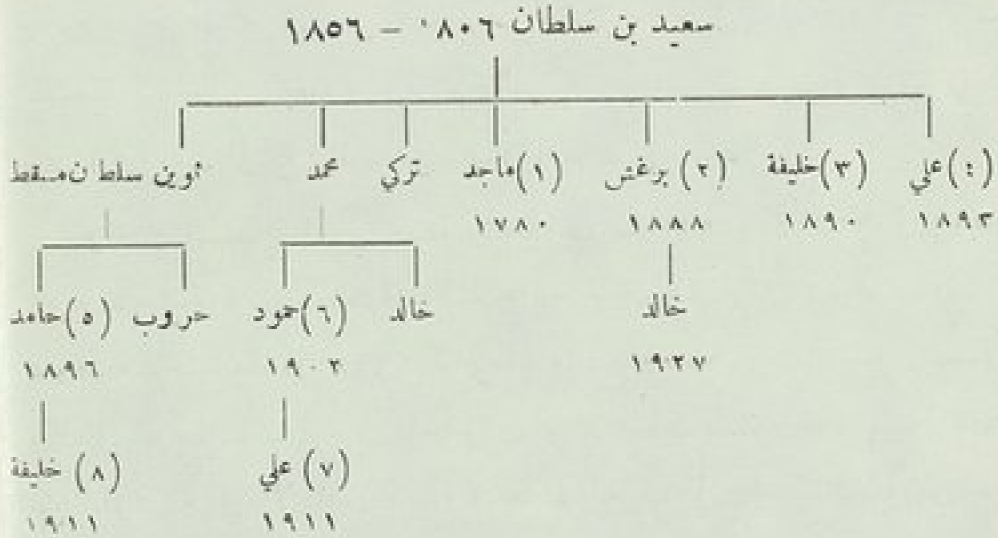
عام او معتمد لحل القنصل وجعل مسئولا امام المندوب السامي البريطاني في كينيا . وشكل في زنجبار مجلس محمية جعل السلطان رئيساً له والمقيم نائباً للرئيس وعين السكرتير الاول والنائب العام ومدير المالية اعضاءاً ، وجعلت صلاحياته استشارية . وزاد عدد الموظفين البريطانيين الى ٣٤ موظفاً رئيسياً عام ١٩٣٢ . واهملت الادارة البريطانية شئون التعليم والاقتصاد واتبعت سياسة زراعية تؤدي الى افلاس المزارعين العرب وتمرد عبيدهم . وحاولت السلطات القضاء على اللغة العربية فمنع تدريسها في المراحل الاولى وجعلت السواحلية لغة رسمية . وحورب الحرف العربي وحل محله الحرف اللاتيني . واوكل التعليم فترة للارساليات المسيحية التي حاربت بعنف الاسلام والعربية . وحمت السلطات راهبات تتنقل بوقاحة من بيت الى بيت ليحملن النساء المسلمات على التنصر .

ونصب السلطان الحالي خليفة بن حروب سلطانا في ٩ كانون الاول ١٩١١ ووجد خليفة نفسه سلطانا بالاسم على جزيرتين صغيرتين (زنجبار وبمبا) لاتزيد مساحتها معا على ١٦٢٠ كيلو متر مربع ويسكنها ثلث مليون نسمة . وادخل البريطانيون في هاتين الجزيرتين « اصلاحات دستورية » تضمن القضاء على النفوذ العربي الاسلامي . ولم يعط العرب في المجلس التشريعي غير خمس المقاعد .

وهكذا خسر العرب ساحل افريقيا الشرقي . وكان ثلثا هذا الساحل خاضعا لسيطرة عربية عام ١٨٨٠ . فحكمت مصر من السويس حتى جنوبي مقاديشو (في الصومال) ، بينما خضع الساحل الافريقي من مقاديشو حتى موزمبيق لحكم سلطان زنجبار العربي . وزاد طول الشاطىء الافريقي الشرقي الذي خضع للعرب على ثمانية آلاف كيلومتر او ثلث الساحل الافريقي الشرقي . ولكن ما ان حل عام ١٨٩٠ حتى كان العرب قد خسروا كل هذا الساحل الذي اقتسمته دول المانيا وايطاليا وبريطانيا وفرنسا . واليوم نرى النفوذ

الاوروبي ينقلص ثانية عن هذا الساحل فقد استقلت مصر والسودان وتوحدت ارتريا مع الحبشة المستقلة وسيتوحد الصومالان البريطاني والايطالي وينالان استقلالهما في اول تموز القادم ١٩٦٠ . وتسير كينيا وتنجانيقا وجيبوتي في طريق الاستقلال بخطى سريعة . وبذلك يعود هذا الساحل مرة اخرى حراً مستقلاً .

سلاطين زنجبار



❀❀❀

مصادر

دراسة تاريخ افريقية العربية

في القرن العشرين

يلاحظ الباحث من اول نظرة كثرة الابحاث الاوروبية وقلة الابحاث العربية بالنسبة لافريقية. فالمؤلفات الانجليزية كثيرة عن مصر والسودان وزنجبار. كذلك فان المكتبة الافرنسية غنية بما كتب عن تونس والجزائر ومراكش وحتى مصر. ونجد في الايطالية ثروة من المعلومات والدراسات عن ليبيا. اما اللغة العربية فلم يؤلف بهـا الا القليل عن ليبيا والسودان وزنجبار. وقد لا تكون المؤلفات العربية عن تونس والجزائر والمغرب قليلة الا اننا نجهل اكثرها. ونجد عدداً كبيراً من كتب التاريخ والمذكرات واليوميات والدراسات عن مصر في اللغة العربية، الا ان اكثرها يبقى دون مستوى الدراسات الافرنسية والانجليزية.

ويبرز بين مؤرخي تاريخ مصر في العربية مؤرخان جليلان. اذ يمكن اعتبار كتاب الدكتور محمد شفيق غربال «تاريخ المفاوضات المصرية البريطانية» افضل كتاب تحليلي لا لتاريخ المفاوضات فحسب بل لتاريخ مصر السياسي حتى عام ١٩٣٦. ويستطيع الباحث في تاريخ مصر ان يجد اكثر الاحداث التاريخية مسجلة في كتب عبد الرحمن الرافعي عن «الثورة المصرية» «وفي اعقاب الثورة». وجمع الرافعي في كتبه الكثير من الحقائق والوثائق ورتبها زمنياً

مؤكداً على ما وافق اتجاهاته السياسية كعضو بارز في الحزب الوطني . ولا تعيننا المذكرات واليوميات والتراجم كثيراً على دراسة هذه الفترة ، اذ لانعثر الا على مذكرات لطفي السيد والدكتور هيكل (وكلاهما ينتمي الى نفس الفئة السياسية) ومذكرات عبد الرحمن الرافعي . اما التراجم فلا نرى مايستحق الذكر غير ترجمتين لحياة سعد زغلول .

ولكننا نجد مادة تاريخية خصبة في الكتب التي لم تبحث مباشرة في التاريخ السياسي . فقد اوضح الدكتور م . محمد حسين في كتابه « الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر » نواحي عديدة في السياسة المصرية والعربية . وبين الدكتور عبد اللطيف حمزة في كتابه « مستقبل الصحافة في مصر » اتجاهات الصحافة ودورها السياسي وموقفها من الاحداث السياسية الهامة . وقد اثارت الاحداث السياسية مشاعر الادباء والشعراء فغدا نثرهم وشعرهم مرآة صادقة لشعور المصريين لا يمكن الاستغناء عنها عند تصوير الحياة السياسية . ولا يقل عن هذين اهمية الدكتور ابراهيم عبده في كتبه عن الصحافة المصرية .

والكتب الانجليزية عن مصر اكثر تنويعاً وتركيزاً . فهناك مذكرات عديدة وتراجم هامة لساسة بريطانيين لعبوا دوراً كبيراً في حياة مصر السياسية . فقد سجل كل من كرومر وونجت مذكرات بينا فيها الدور الذي لعباه في تاريخ مصر والسودان ، كما ترجم ويفل حياة اللنبي وترجم ادامز حياة اللورد لويد . وحوت سلسلة حوليات المعهد الملكي للعلاقات الدولية ـ جاتهام هاوس ـ عن العلاقات الدولية معلومات هامة عن الاوضاع السياسية في مصر والعلاقات المصرية البريطانية . وتعتبر هذه السلسلة ايضاً من اهم المراجع عن شمال افريقيا خلال السنوات العشر التي تلت الحرب العالمية الثانية .

ونصطدم بفقر المكتبة العربية عند بحث تاريخ باقي الشمال الافريقي . ونجد في كتاب ابن غلبون ودراسات زيادة ومحمد فؤاد شكري صورة واضحة عن تاريخ ليبيا ولاسيما عن دور السنوسيين في النضال تكتمل معالمها

بالمعلومات التي تحويها حوليات جاتهام هاوس . ونجد في دراسات علال الفاسي زعيم حزب الاستقلال المغربي معلومات كثيرة رزينة عن نضال تونس والجزائر ومراكش .

ورغم وجود عدد كبير من الكتب المصرية عن السودان فان المراجع الانجليزية تبقى اكثر نفعاً . ولعل الباحثين الانجليز كانوا اكثر اطلاعاً على احوال السودان وتفهما لمشاكله من الباحثين من سكان القسم الشمالي من وادي النيل الذين جرفهم الحماس في بحثهم . وكتب بعض السودانيين امثال عبد الجليل والعدوي مؤلفات لابد من الرجوع اليها لدراسة تاريخ السودان المعاصر .

المراجع العربية

الابراشي (محمد عطية) **ابطال الشرق** (القاهرة ١٩٤٧) عن سعد زغلول ومحمد فريد وغيرهما .

ابراهيم (محمد حافظ) **ليالي سطيح** (مصر ١٣٢٤/١٩٠٦)

ابن أبي زيدان **المؤنس في اخبار افريقية وتونس**

ابن جلون (عبد المجيد) **هذه هي مراكش** (القاهرة ١٩٤٩)

ابن زيدان (عبد الرحمن) **اتحاف اعلام الناس بجمال حاضرة مكناس** (الرباط ١٩٢٩)

ابن عاشور **الحركة الادبية والفكرية في تونس** معهد الدراسات العربية (القاهرة ١٩٥٦)

ابن عبود (محمد احمد)**سياسة اسبانيا في المغرب العربي** مقال في **العالم العربي** الكتاب الاول (القاهرة ١٩٤٩) منشورات جامعة الدول العربية

ابن غلبون (ابو عبدالله محمد بن خليل) **تاريخ طرابلس الغرب** : التذكار فيمن

ملك طرابلس وما كان بها من الاخبار (القاهرة ١٣٤٩)
الاخوان المسلمون : انظر ــ البنا ، الحسيني ، زكي ، الغزالي
ارسلان (الامير شكيب) حاضر العالم الاسلامي ج ٤ (القاهرة ١٣٥٢)
تعليقات على ستودارد
ــ **فظائع الطليان في طرابلس الغرب**
الازهر : انظر ــ خفاجي ، صعيدي ، مالون ، وافي ، يونس
الاشهب (محمد الطيب) **برقة العربية امس واليوم** (القاهرة ١٩٤٧)
ــ **المهدي السنوسي** (طرابلس ١٩٥٢)
ــ **السنوسي الكبير** عرض وتحليل (القاهرة ١٩٥٦)
ــ **عمر المختار** (القاهرة ١٩٥٧)
امين (احمد) **زعماء الاصلاح في العصر الحديث** (مصر ١٩٤٨)
ــ **حياتي** طبعة ثانية (مصر ١٩٥٢)
امين (قاسم) **تحرير المرأة** طبعة ثانية (مصر ١٩٤١)
الباروني (سليمان باشا) **المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب** (استانبول ١٣١٧)
البتشتي (محمد عبد العزيز) **شهداؤنا الضباط في حملة فلسطين ١٩٤٨ــ ١٩٤٩** (القاهرة ١٩٤٩)
البراوي (الدكتور راشد) **المركز الدولي لمصر والسودان وقناة السويس** (القاهرة ١٩٤٩)
ــ **حقيقة الانقلاب الاخير في مصر** (مصر ١٩٥٢)
ــ **ليبيا والمؤامرة البريطانية** (القاهرة ١٩٥٣)
البرقاوي (توفيق نوري) **البطش والكرب في برقة وطرابلس الغرب** (مطبعة الفرات ١٩٤٢)
برقة : انظر ــ الاشهب ، عساوي ، ل.م ، محمود

البطريق (الدكتور عبد الحميد) **الامة العربية** سلسلة اخترنا لك رقم ١٩
دار المعارف بمصر (القاهرة ١٩٥٥)

بطي (رفائيل) **نشأة الصحافة العربية واثرها** ـ معهد الدراسات العربية

بعيو (مصطفى) **المجمل في تاريخ ليبيا** (الاسكندرية ١٩٤٧)

البلهوان (علي) **تونس الثائرة** (القاهرة ١٩٥٤)

البنا (الامام حسن) **مذكرات الدعوة والداعية** (مصر ؟)

البنداري (محمد ثابت) **زعيم النهضة مصطفى كامل** (مصر ؟)

البنيلي (عمر بن عمر) **هذه تونس المجاهدة** (القدس ١٩٥٥)

بهاء الدين (احمد) **ايام لها تاريخ** (مصر ١٩٥٤)

بو عزيز (يحيى) **بطل الكفاح الامير عبد القادر** (تونس ١٣٧٦/١٩٥٧)

بيرم (محمد بيرم التونسي) **صفوة الاعتبار بمستودع الامصار والاقطار**

البيضاوي (خيرات) **وميض النار في المغرب العربي**

تامر (الحبيب) **هذه تونس** (القاهرة ؟)

تونس **تونس** ـ لجنة ترجمة دائرة المعارف الاسلامية (القاهرة ١٣٦٢/١٩٤٣)

ـ **قانون الوزارة الكبرى** (تونس ١٢٧٩

ـ **مأساة عرش** سلسلة من الحقائق والوثائق (تونس ١٣٦٧)

انظر ايضاً ـ ابن ابي زيدان ، ابن عاشور ، امين (احمد) ، البطريق ،
البهلوان ، البنيلي ، بيرم ، تامر ، درمونة ، الركشي ، شباب ،
عبد الوهاب ، مطري

تيمور (احمد باشا) **تراجم اعيان القرن الثالث عشر واوائل الرابع عشر**
(القاهرة ١٩٤٠)

ثابت (كريم) **الملك فؤاد** (مصر ١٩٤٤)

جراي (اللورد ادوارد) **مذكرات** تعريب علي احمد شكري (مصر ١٩٣٢)

الجزائر ـ دار الكتب المصرية ـ **وحدة القوائم البيبليوغرافية** (القاهرة ١٩٥٨)

الجزائر   انظر : ابن ابي زيدان ، البطريق ، بو عزيز ، الجزائري : جلال ، جمعة ، حزب الشعب ، الحفناوي ، سعيد ، الشرقاوي ، شريقي ، شلقاني ، عامر ، عيناني ، فؤاد ، الكعاك ، مدني ، الميلي ، الهلالي وشلاني.

الجزائري   (عبد الحميد مسعود) **كفاح في سبيل الحرية والاستقلال** (مصر ؟)

الجزائري   (محمد عبد القادر) **تحفة الزائر في مآثر الامير عبد القادر واخبار الجزائر** (الاسكندرية ١٩٠٣)

الجزيري   (محمد ابراهيم) **سعد زغلول** مطابع اخبار اليوم (مصر ١٩٥٥)

جلال   (عبد العاطي) **فرنسا في الجزائر** (القاهرة ١٩٥٦)

جمعه   (الدكتور ابراهيم) **العملاق الجديد ـ القومية العربية** دار الفكر العربي (مصر ١٩٥٩)

حزب الاستقلال :   **المغرب الاقصى قبل الحماية، عهد الحماية ، افلاس الحماية** (القاهرة ١٩٥١)

حزب الشعب الجزائري : **التمييز العنصري في الجزائر** (القاهرة ؟)

— **مشكلة هجرة الجزائريين الى فرنسا** (القاهرة ١٩٥٢)

حداد   (محمد علي) **حاضر طرابلس الغرب** (بغداد ١٩٣٧)

حسن (حسن ابراهيم) **انتشار الاسلام والعروبة فيما يلي الصحراء الكبرى شرقي القارة الافريقية وغربيها** . معهد الدراسات العربية (القاهرة ١٩٥٧)

حسن   (محمد عبد الغني) **اعلام من الشرق والغرب** (مصر ؟)

حسنين   (احمد محمد باشا) **في صحراء ليبيا** (مصر ١٩٢٠)

حسونة   (محمد امين) **كفاح الشعب ـ الوعي القومي** (مصر ١٩٥٥)

حسين   (محمد) **الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر** الجزء الاول (الاسكندرية ١٩٥٤) ، الجزء الثاني (الاسكندرية ١٩٥٦)

الحسيني   (اسحق موسى) **الاخوان المسلمون** (بيروت ١٩٥٢)

الحفناوي (محمد) تعريف الخلف برجال السلف . مجلدان (مطبعة فونتانة الشرقية ١٩٠٦)
الحفناوي (مصطفى) قناة السويس (القاهرة ١٩٥٢)
الحكيم (اسعد مختار) طرابلس الغرب بين الماضي والحاضر (دمشق ١٩٣٨)
حامي (محمد بن عبد المعطي صالح) كتاب المذكرات الحلية عن الحرب الطرابلسية ١٩١١ (المنيا ١٣٣٠)
الحمامصي (جلال الدين) ماذا في السودان (مصر ١٩٤٥)
حمزة (عبد اللطيف) ادب المقالة الصحفية في مصر ج ٦ (مصر ١٩٥٠ - ١٩٥٤)
— الصحافة والادب في مصر منشورات معهد الدراسات العربية (مصر ١٩٥٥)
— مستقبل الصحافة في مصر (مصر ١٩٥٧)
خاكي (احمد) قناة السويس تأليف هيوج شونفيلد (مصر ١٩٤٥)
خالد (خالد محمد) مواطنون لا رعايا (مصر ?)
خربوطلي (الدكتور علي حسني) فجر القومية العربية
خفاجي (محمد عبد المنعم) الازهر في الف عام ج ٣ (مصر ١٣٧٤)
داود (محمد) مختصر تاريخ تطوان (تطوان ١٩٥٥)
درمونة (يونس) تونس بين الاتجاهات (القاهرة ١٩٥٢)
— تونس بين الحماية والاستقلال (القاهرة ?)
— المغرب العربي في خطر (القاهرة ١٩٥٦
دروزة (محمد عزت) الوحدة العربية (بيروت ١٩٥٨)
درويش (حسن محمد) الوزارات المصرية في ظل حكم الاسرة العلوية ١٨٧٨ - ١٩٢٤ (مصر ١٩٢٤)
ذهني (صلاح الدين) مصر بين الاحتلال والثورة (القاهرة ١٩٣٩)

الرافعي (عبد الرحمن) **مصر والسودان في اوائل عهد الاحتلال ١٨٨٢-١٨٩٢** طبعة ١ (مصر

— **ثورة ١٩١٩- تاريخ مصر القومي ١٩١٤ - ١٩٢١** جزءان ، طبعة اولى (القاهرة ١٩٤٦)

— **في اعقاب الثورة المصرية ١٩٢١ - ١٩٥٢**
الجزء الاول : ١٩٢١ - ١٩٢٧ (القاهرة ١٩٤٧)
الجزء الثاني : ١٩٢٨ - ١٩٣٦ (القاهرة ١٩٤٩)
الجزء الثالث : ١٩٣٦ - ١٩٥١ (القاهرة ١٩٥١)

— **مذكراتي** ١٨٨٩ - ١٩٥١ (القاهرة ١٩٥٢)

— **شعراء الوطنية** (القاهرة ١٩٥٤)

الراوي **تاريخ طرابلس الغرب**

رشدي (راسم) **طرابلس الغرب في الماضي والحاضر** (طرابلس ١٩٥٣)

رشوان (الدكتور عبدالله) **المركز الدولي لقناة السويس** (القاهرة ١٩٥٠)

الزركشي ( ) **تاريخ الدولتين الموحدية الحفصية** (تونس ١٢٨٩)

رمزي (احمد) **الاستعمار الافرنسي في شمال افريقية** (مصر ١٩٤٨)

الريحاني (امين) **المغرب الاقصى - رحلة في منطقة الحماية الاسبانية** (مصر ١٩٥٢)

الزاوي (الطاهر احمد) **جهاد الابطال في طرابلس الغرب** (مصر ١٩٥٠)

— **تاريخ الفتح العربي في ليبيا** (القاهرة ١٩٥٤)

زغلول (سعد) : انظر — ابراشي ، الجزايري ، العقاد ، القلعجي .

زكي (محمد شوقي) **الاخوان المسلمون والمجتمع المصري** (مصر ١٩٥٤)

زيادة (نقولا) **برقة الدولة العربية الثامنة** (بيروت ١٩٥٠)

— **ليبيا ودستورها** — مجلة الابحاث (الجامعة الامريكية بيروت آذار ١٩٥٢)

زيادة (نقولا) **محاضرات في تاريخ ليبيا من الاستعمار الايطالي الى الاستقلال** معهد الدراسات العربية (القاهرة ١٩٥٨)

سرهنك (الاميرالاي اسماعيل) **حقائق الاخبار عن دول البحار** ج ٢ (مصر ١٣٢٤) عن السودان

السعداوي (بشير) **فظائع الاستعمار الايطالي الفاشستي في طرابلس** (برقه)

سعيد (احمد) الدولة العربية المتحدة - الجزء الثاني ، تاريخ الاستعمارين الفرنسي والايطالي في بلاد العرب - مصر عيسى البابي الحلبي .

السنوسي (محمد بن علي الخطابي) **كتاب المسائل العشر المسمى بغية المقاصد في خلاصة المراصد** (القاهرة ١٩٥٣)

— **كتاب ايقاظ الوسنان في العمل بالحديث والقرآن** (القاهرة ١٣٥٧/ ١٩٣٨)

— **الدرر السنية في اخبار السلالة الادريسية** (القاهرة ١٣٤٩)

السنوسية : انظر - الاشهب ، السنوسي ، شكري .

السودان - **الكتاب الاخضر المصري** ١٩٥٣ - يحوي جميع الفرمانات السلطانية والاتفاقيات الدولية التي تتعلق بالسودان من ١٨٤١/٢/١٣ الى ١٩٥٣/٢/١٢

السودان - انظر ايضاً : البراوي ، حماصي ، سرهنك ، شقير ، شكري ، صبري ، طوسون ، عابدين ، عبد الجليل ، عبده ، عدوي ، عفارة ، فوزي ، قنديل ، محزون ، هندرسون ، يحيى

سودة (عبدالسلام بن عبدالقادر) **دليل مؤرخ المغرب الاقصى** (انطون ١٩٥٠)

السويس : انظر - البراوي ، حفناوي ، خاكي ، رافعي ، رشوان ، فرج ، الكلية الحربية

السيد (احمد لطفي) **صفحات مطوية من تاريخ الحركة الاستقلالية في مصر** ١٩٠٧ - ١٩٠٩ (مصر ١٩٤٦)

الشافعي (احمد لطفي) صفحات مدونة من فظائع الطليان في طرابلس الغرب وبرقة (مصر ١٩٣١)
شاكر (امين) شمال افريقيا سلسلة اخترنا لك رقم ٨ (القاهرة ١٩٥٤)
الشباب لسان حال الشبيبة الدستورية التونسية – نشرة شهرية تصدر في تونس ١٩٥٦ –
الشرقاوي (محمود) وحمدي حافظ ، الجزائر مشكلة دولية (القاهرة ١٩٥٧)
الشريقي الجزائر في القرن العشرين (تونس (١٩٥٥)
شفيق باشا (الحاج احمد) مذكراتي في نصف قرن ج ٢ (مصر ١٣٥٥/١٩٣٦)
شقير (نعوم) تاريخ السودان (مصر ١٩٠٣)
شكري (الدكتور محمد فؤاد) مصر والسيادة على السودان (القاهرة ١٩٤٦)
-- الحكم المصري في السودان (مصر ١٩٤٧)
— السنوسية دين ودولة (مصر ١٩٤٨)
— ميلاد دولة ليبيا الحديثة (القاهرة ١٩٥٦)
الشلقاني (علي) ثورة الجزائر (القاهرة ١٩٥٦)
شمال افريقيا – انظر : رمزي شاكر ، صفوت ، فاسي ، مؤنس .
شنيب (عمر فائق) الحقيقة والتاريخ – ليبيا مهد البطولة (القاهرة ١٩٤٦)
الشنيطي (محمود) قضية ليبيا ، مصر ١٩٥١)
صالح (احمد رشدي) الادب الشعبي طبعة ثانية (مصر ١٩٥٥)
صبري (الدكتور محمد) الامبراطورية السودانية في القرن التاسع عشر (مصر ١٩٤٨)
الصعيدي (الشيخ عبد المتعال) تاريخ الاصلاح في الازهر (مصر ١٣٨٧)
صفوت (محمد مصطفى) علاقات فرنسا بشمال افريقية في النصف الثاني للقرن التاسع عشر مجلة كلية الاداب – جامعة الاسكندرية مجلد ٦ – ٧ ، ١٩٥٢ – ١٩٥٣ ، ص ٣٦ – ٦٧

طرابلس : انظر - ابن غلبون ، ارسلان ، الباروني ، البرقاوي ، حداد ،
حكيم ، حلمي ، الراوي ، رشدي ، سعداوي ، شافعي ، لطفي ،
ل.م. ، نائب .
طرازي (فيليب) **تاريخ الصحافة العربية** اربعة اجزاء (بيروت ١٩١٣-١٩٣٣)
طوسون (الامير عمر) **ضحايا مصر في السودان** (الاسكندرية ١٩٣٥)
— **مذكرتان .. عن اعمال الجيش المصري في السودان** (الاسكندرية ١٩٣٦)
طوسون **المسألة السودانية** (الاسكندرية ١٩٣٦)
— **تاريخ مديرية خط الاستواء ١٨٦٩-١٨٨٩** (الاسكندرية ١٩٣٧)
عابدين (عبد المجيد) **تاريخ الثقافة العربية في السودان** (القاهرة ١٩٥٣)
عامر (احمد توفيق) وسيد مصطفى ، الاستقلال الوطني والسلام في الجزائر ؟
عبد الجليل (الشاطر بصلي) **معالم تاريخ سودان وادي النيل** (القاهرة ١٩٥٥)
عبد الفتاح (محمد) **اشهر مشاهير ادباء الشرق** ج٢
عبد القادر (محمد زكي) **محنة الدستور تاريخ ١٩٢٣-١٩٥٢** (مصر ١٩٥٥)
عبده (ابراهيم) **الوقائع المصرية ١٩٢٧-١٩٤٢** (مصر ١٩٤٢)
— **اعلام الصحافة العربية** (مصر ١٩٤٤)
— **تطور الصحافة المصرية واثرها في النهضتين الفكرية والاجتماعية** (القاهرة ١٩٢٤)
عبده (ابراهيم) **جريدة الاهرام** (القاهرة ١٩٥١)
عبده (علي ابراهيم) **المنافسة الدولية في اعالي النيل ١٨٨٠-١٩٠٦** (القاهرة ١٩٥٨)
عبد الوهاب (حسن حسني) **خلاصة تاريخ تونس** (تونس ١٣٧٣)
العدوي (ابراهيم احمد) **يقظة السودان** (مصر ١٩٥؛)
عزمي (محمد) **الايام المئة عن وزارة علي ماهر ١٩٣٦** (مصر ؟)
العطار (احمد بن عمر بن محمد) **تاريخ حاضرة قسطنطينية** (الجزائر ١٩٥٢)

العسلي : انظر - كاكيا

عفارة (جميل الياس) **مشاكل السودان السياسية** (بيروت ١٩٥٨)

العقاد (عباس محمود) **شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي** (مصر ١٩٥٠)

— **سعد زغلول** (القاهرة ١٩٣٢)

العيساوي (محمد الاخضر) **رفع الستار عما جاء في كتاب عمر المختار** (القاهرة ١٩٣٦)

عيتاني (محمد) . **الاستعمار الافرنسي في المغرب العربي** تأليف هنري كلود ورفاقه وترجمة عيتاني ؟

— **الجزائر حتف الاستعمار** تأليف ليون فيكس وترجمة عيتاني - سلسلة مختارات من السياسة العالمية .

غرايبة (عبد الكريم) **دراسات في تاريخ افريقيا العربية ١٩١٨ - ١٩٦٠** (دمشق ١٩٦٠)

غربال (محمد شفيق) **تاريخ المفاوضات المصرية البريطانية ١٨٨٢ - ١٩٣٦** (مصر ١٩٥٢)

الغزالي (محمد) **في موكب الدعوة** (مصر ١٩٥٤)

الفاسي (علال) **الحركات الاستقلالية في المغرب العربي** معهد الدراسات العربية القاهرة ١٩٤٨)

— **الحركات الاستقلالية** .. ص ٨٢-٩٣ من كتاب العالم العربي - منشورات الجامعة العربية ج ٧ (القاهرة ١٩٤٩)

— **محاضرات في المغرب العربي** منذ الحرب العالمية الاولى (القاهرة ١٩٥٥)

— **حديث المغرب في المشرق** (القاهرة ١٩٥٦)

فرج (السيد) **جيشنا في فلسطين** - عن حرب ١٩٣٨ (مصر ١٩٤٨)

فرج (فؤاد) **منطقة قناة السويس**

فريد (محمود كامل) **البطل العظيم الامير محمد بن عبد الكريم** (القاهرة ؟) مطبعة التقدم

فؤاد (سعد زغلول) **الجزائر في معركة التحرير** (تونس ١٩٥٧)
فوزي ابراهيم باشا (السودان) **بين يدي غوردون وكتشنر** ج٢ (القاهرة ١٣١٩)
الفيلالي (عبد الكريم) **المغرب ملكا وشعبا** (مصر ١٩٥٨)
قبعين (سليم) **تاريخ الحرب العثمانية الايطالية** (القاهرة ١٩١٢)
القلعجي (قدري) **سعد زغلول** (بيروت ١٩٤٦)
قنديل (حسن) **فتح دار فور ١٩١٦** (الاسكندرية ١٩٣٧)
كاكيا (انتوني جوزيف) **ليبيا فى العهد العثماني الثاني ١٩٣٥ – ١٩١١** وملحق عن ١٩١١ – ١٩٤٦ عربه عن الانجليزية يوسف حسن العسلي (القاهرة ١٩٤٦)
الكتاني (ادريس) **المغرب المسلم ضد اللادينية** – حقائق عن تسرب المبادىء الهدامة الى حزب الشورى والاستقلال (الدار البيضاء ١٩٥٨)
الكعاك (عثمان) **موجز التاريخ العام للجزائر منذ العصر الحجري الى الاحتلال الفرنسي** (مطبعة العرب ١٣٤٤) .
— **محاضرات في مراكز الثقافة في المغرب** من القرن السادس عشر الى القرن التاسع عشر معهد الدراسات العربية (القاهرة ١٩٥٨)
الكلية الحربية المصرية – **قناة السويس في فقه القانون الدولي العام** (مصر ١٩٥٥)
— **قناة السويس ماضيها وحاضرها ومستقبلها** (مصر ١٩٥٥)
كنون (عبد الله) **مدخل تاريخ المغرب**
لطفي (احمد) **ادب المقالة الصحفية في مصر** ج ٦ (مصر ١٩٥٤)
لطفي (محمد ابراهيم) **تاريخ حرب طرابلس** (مصر ١٩٤٦)
ل . م – **طرابلس الغرب وبرقة في براثن الاستعمار الايطالي** – صحائف سود – مجموعة مقتطفات
لهيطة (محمد فهمي) **تاريخ مصر الاقتصادي في العصور الحديثة** (القاهرة ١٩٣٨)

ليبيا : انظر — حسنين ، الزاوي ، زيادة ، شكري ، شنيب ، شتيب ، شنيطي
قبعين ، كاكيا ، موسوليني
مالون (الاب الكسيس اليسوعي) **الجامع الازهر ـ تاريخه وتعليمه**
(الشرق ٤ : ٤٩)
محزون — **ضحايا مصر في السودان** (الاسكندرية ١٩٣٥)
محمود (احمد طاهر احمد الزاوي) **عمر المختار** ـ الحلقة الاخيرة من الجهاد الوطني
(القاهرة ١٩٥٣)
مراكش : انظر — ابن جلون ، ابن زيدان ، ابن عبود ، ارسلان ، بيضاوي ، داود ،
ريحاني ، سودة ، عطار ، فاسي ، فريد ، فيلالي ، كتاني ، الكعاك ، كنون
المدني (احمد توفيق) **كتاب الجزائر ـ تاريخ الجزائر الى يومنا** (الجزائر ١٣٥٠)
— **هذه هي الجزائر** (؟)
مصر : انظر — الأزهر ، البراوي ، بهاء الدين ، الجزيري ، حمزة ، درويش ، ذهني ،
الرافعي ، السويس ، عبد القادر ، عبده ، عزمي ، العقاد ، لجيطة ،
غربال ، لهيطة : نحاس ، نقراشي ، هيكل ، اليوسف ، يونس
المطوي (عبد المجيد طاهر) **تونس وفرنسا في القرن التاسع عشر**
(تونس ١٩٥٧)
المغرب : انظر — مراكش
موسوليني — **رحلة الزعيم موسوليني الى ليبيا** (روما ١٩٤٧)
مؤنس (حسين) **المغرب العربي** ص ٥١ — ٧١ من كتاب الجزء الاول ، العالم
العربي (القاهرة ١٩٤٩)
الميلي (مبارك بن محمد الهلالي) **تاريخ الجزائر في القديم والحديث** (المطبعة
الجزائرية الاسلامية ١٩٣٢)
النائب (احمد) **المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب** (استانبول ١٣١٧)

نحاس (يوسف) صفحة من تاريخ مصر السياسي الحديث مفاوضات عدلي كرزون
(القاهرة ١٩٥٠)
النص (عزة) الوطن العربي (دمشق ١٩٥٩)
النقراشي (محمود فهمي) بيانات امام مجلس الامن (القاهرة ١٩٤٧)
الهلالي : انظر — المبلي
هندرسون (ك . د . د .) نظرة في السودان الانجليزي ١٨٩٨ - ١٩٤٤
(هرتفرود ؟)
هيكل (محمد حسين) مذكرات في السياسة المصرية (مصر ١٩٥١)
وافي (الدكتور علي عبد الواحد) لمحة في تاريخ الازهر (مصر ١٩٥٥)
الورتلاني (الفضيل) الجزائر الثائرة (بيروت ١٩٥٦)
يحيى (الدكتور جلال) الثورة المهدية واصول السياسة البريطانية في السودان (مصر ١٩٥٩)
اليوسف (فاطمة) ذكريات (مصر ١٩٥٤)
يونس (عبد الحميد) الازهر (مصر ١٩٤٦)

* * *

المراجع باللغات الأوروبية

Abbas (Mekki) *The Sudan Question* 1884 — 1951 (London, 1925)

Abbott (G. F.) *The Holy war in Tripoli* (London 1921)

Adams (Charles C.) *Islam and Modernism in Egypt* (London 1933) *Life of Lord lloyd* (London, 1945)

Algeria - see : Barbour, Bel, Bellat, Blunt, Churchill, Conover, Emerit, Grammont, Gsell, Idris, julien Marcais, Rager ; Schefer, Worsfield.

Arkell (Antts.), *A history of the Sudan from the Earliest times to* 1821 (London, 1955)

Balls (W. L.) *Egypt and the Egyptians* (London, 1915)

Al-Barawi (R.) *Egypt, Britain and the Sudan* (Cairo, 1952)

Barbour (Neville), *A Survey of Norths Africa* (London, 1956)

Barclays (Sir Thomas) *The Turco-Italian war* (London, 1912)

Bel (A.) *La religionè musulmane en Berberie* (Paris, 1938)

Bellat (F.) *Cent Ans d'Algérie* (Paris, 1955)

Bennet (E. N.) *With the Turks in Tripoli* (London, 1912)

Blunt (W.) *Desert Hawk Abdul Kader* (London, 1947) ✓

Blunt (W. S.) *Secret history of the British occupation of Egypt* 2 vols (London, 1907)

— *My Diaries - a narrative of events* 1888 — 1914 *in Egypt* (London, 1919)

Bouill (E), *The Golden Trade of the Moors* (London, 1958)

Boyle (C.) *A Servant of the Empire* (London, 1939)

British Interests In The Meditterranean And The Middle East : Report by a Study Group of RIIA. (London, 1958)

See also under : Barawi, Blunt, Boyle, Great Britain, Hollingworth, Marlowe, Mikhail, Simons, Williams.

Búdge (E. A. Wallis) *The Egyptian Sudan* (London, 1907)

Cachia (A. J.), *Libya under the Second Ottoman Occupation* 1835 — 1911 (Tridoli, 1945)

Ceccherini (U.) *Bibliografia della Libia* (Roma, 1915)

Chatham House : see under R. I. I. A.

Chapelle (Fr. de la) *Le Sultan Moulay Ismail et les Berbères Sanhaja du Maroc Central* Maroc, vol 28 (1931)

Churchill (Col.) *The Life of Abdel - Kader* (London, 1867)

Cleland (Wendell) *The population problem in Egypt*; a study of population trends and Condition in modern Egypt (Columbia, 1939)

Colombe (Marcel) *l'évolution politique de l'Egypte* (paris 1950)

Combe *Précis historique de l'Egypte*

Conover (Helen F.) *North and Northeast Africa - A selected list of Writings* 1951-7 (Washington, 1957)

Cour (A.) *l'établissement des dynasties des Chérifs au Maroc* (Algerie, 1904)

Cressaty (Comte) *l'Egypte d'aujourd'hui* (Paris, 1912)

Cromer (Earl of) *Modern Egypt*, 2 vols (London, 1908)

Crouchly (A. E.) *The Economic Development of modern Egypt* (London, 1938)

Cumming (D. C.) and others, Handbook on Cyrenaica (Barc. 1945)

Davis (Helen Miller) *Constitutions, Electoral laws, and treaties of states in the near and middle East* (Durham, U. S. A. , 1935)

Dicey (E) *The Story of the Khedivate* (London, 1902)

Documents on International Affairs : see under - R. I. I. H.

Drioton (E). L'Egypte (Paris, 1938)

Duncan (J. S. R.), *The Sudan, A record of achievements* (London, 1952)

— *The Sudan's Path to Independence* (Kdinlungh, 1657)

Egypt - see under : Adams, Balls Barawi, Colombe, Cressaty, Crouchly, Davis, Drioton, Hantaux, Henderson, Hill, Issawi, Lioyd, Little, Marcais, Marlowe, Mikhail, Rifaat, Sabry, Sammarco, Simons, Williams, W ingate, Young

Egyption Society of International Law : *Documents On the Sudan* 1899 — 1953 (Cairo, 1953)

Elgood (P. G.) Egypt and the Army (London, 1924)

Evans (P. E. E.) Bibliographical Notes on Members of the Sanusi Family (Benghazi, 1945)

Evans (Prit. , E. E.) The Sanusi of Cyrenica, (Oxford, 1949)

Emerit (M.) *l'Algere à l'epoque d'Abdel-Kader* (Paris, 1925)

Fabunmi (L.A.) The Sudan in Anglo - Egyptian Relations 1800-1956 (Londons, 1956)

France - see under Algeria, Morocco, Tunisia

Frye (R. N.) *The near East and the Gread Powers* (Cambridge, U. S. A. 1951)

Fuleihen (Louise) *Arab women Congress in Cairo* M. W. 35, 1945. 316

Gabrielle (L.) *Abd-el-Krim et les evenements du Rif* 1924-6 (Paris, 1953)

Gibb (H. A. R.) *Anglo Egyptian Relation* Int. Aff. vet 1951

Gibbons (H. A.) *The New Map of Africa* (New Yorls 1916)

Grammont (de H.) *Histoire d'Alger Sous La domination* Turone (Paris, 1887)

Great Britain, Admiralty : A Handbook of Libya, H. M. S. O.
Great Britain and Egypt 1914-1951 *Information papers* no 19, RISA (London, 1952)
Great Britain, Central office of Information : *The Sudan* 1899-1953 (London, 1953) see also under Britain
— Foreign Office : Italian Libya (London, 1920)
— Military Administration in Libya, Handbook on Tripolitania (Tripoli, 1947)
— Handbook of Cyrenaica (Cairo, 1947)
Gsell (Marcais). *Histoire de l'Algerie* (Paris, 1927)
Hamilton (J. A. de C.) *The Anglo Egyptian Sudan from Within* (London, 1936)
Hantaux (G), *Histoire de la nation egyptienne* 1931 — 1940 7 vols (Paris,)
Hartmann (Maritn) *The Arabic Press of Egypt* (London, 1899)
Henderson (K.) Survey of Anglo-Egyptian Sudan 1898-1944 (London, 1946)
Henry (Bartt) *Travels and Discoveries in North and Central Africa* (Lo. N. Y. 1857)
Heyworth-Dunne (J) *An Introduction to the history of Education in modern Egypt* (London, 1938)
Hill (R) A Bibliography of the Anglo - Egyptian Sudan (London, 1939)
Hill (Rich.) *A Bibliographical Dictionary of the Anglo Egyptian Sudan* (London, 1951) 1 st. ed. - 39
— *Egypt in the Sudan* 1820 — 1881 (London, 1959)
Hodkhin (R.) *A Sudan Geography* (London, 1951)
Hollingsmorth (L. W.) *Zanzibar under the Foreign Office* 1890 — 1913 (London, 1953)
Holt (P. M.), *The Mahdist State in the Sudan* 1881 — 1898 (London, 1958)

Horne (J.) *Many Days in Morocco* (London, 1936)

Idris (H.) *Contributions à l'histoire de l'ifriquiya* REI 1936

Issawi (Charles) *Egypt : Economic and Social Analysis* (Oxford, 1947)

— Egypt at Mid Century — an economic Survey (Oxford, 1945)

Italy — see under : Abbott, Barclays, Libia, Tripoli

Jackson (H. C.) *The Fighting Sudanese* (London, 1954)

— *Sudan Days and Ways* (London, 1954)

Jackson (J. G.) *an Account of Morrocco and Suez*

Jews in North Africa — see J. Asiatique (1952) P. P. 197

Julien (Ch. A.) *Histoire de l'Afrique du Nord* (Paris, 1931)

Kampman (A. A.) *The Middle East* 1955 *A suvey of*

Kirk (George), *The Middle East in the war* 1939 — 1945 (London, 1945) R. I. I. A.

— *The Middle East* 1945 - 1950 (London, 1954) R. I. I. A.

— A short History of the Middle East (London, 1955)

Knight (Me. Moses) *Morocco as a French economic venture* (London, 1937)

Landau (R.) *The Beauty of Morocco* (London, 1951)

— *The Sultan of Morocco* (1951)

— *Moroccan Jornal* (New york 1954)

Lewis (William H.) and Robert Gordon, Libya after two Years Independence, M. E. J. Winter 1954, P.P. 41 — 53

Libya — see under : Cachia, Ceccherini, Cumming, Evans, Italy, Great Britain, Kirk, Lewis, Rivlin, Rodd, Villard

Lioyd of Dolobran (George Am. L.) *Egypt Since Cromer*, 2 *vols* (London, 1933 - 4)

Little (Tom) *Egypt* (London, 1958)
Lorin (H.) *Bibliographie geographique de l'Egypt* (Caire, 1928-9)
Marcais (Albertini), *l'Afrique du Nord française dans l'historique* (Paris, 1937)
Machmichel (Sir Harold). A Aistory of the Arabs in the Sudan 2 vols (London. 1922)
— *The Sudan* (London, 1953)
Marlowe (John) *Anglo - Egyptian Relation* 1800 — 1953 (London, 1953)
— *A History of the Arabs in the sudan 2 vols* (London, 1922)
Marsh (Zœ) *An Introduction to the History of East Africa* (Cambridge, 1957)
Martin (D.) *Tunisia* (London, 1943)
Maunier (Rene) *Melanges des sociologie Nord-Africaine* (Paris, 1930)
Mayne (P.) *Alleys of Marrakesh* (London, 1953)
Meakin (B.) *The Land of the Moors* (London, 1901)
Mikhail (Kyr) *Copts and Moslems under British Control* (London, 1911)
Milner (Alfred) *England in Egypt* (London, 1892)
Morocco-see under : Chapells, Cour, Gabrielli, Horne, Jackson, Julien, Knight, Landau, Marcais, maunier, Mayne, Meakin, Stuart, wharton
Mosharrafa (M. M.) *Cultural survey of Modern Egypt* 1946
Munier (H.) *Bibliographie Geographique de l'Egypt* (Caire, 1928-9)
Murray (G. W.) *Sons of Ishmael - A study of the Egyptian Bedouin* (London, 1935)
North Africa see under : Barbious, Bovil, Conover, Henry, 1 dris, Julien, Marcais, Meakin, Ziadeh
O'leary (De Lacy) The Saints of Egypt (London, 1935)

Oliver (Roland), The Missionary Factor in East Africa (London, 1952)

Phillips (Marian) The European Powers and the British occupation of Egypt 1882-2 Ph.D. thesis London

Rager (J. J.) Les Musulmans algeriens en france et dans Les Pays Islamique (paris, 1950)

Rifaat (M.) The monetary system of Egypt (London, 1935)

-- The Awakening of Modern Egypt (London, 1947)

R. I. I. A. = Royal Institate of International Affairs-Chatham House

Consolidated Index-survey 1920 — 1930 Documents 1928 — 1930 (London, 1932)

Diplomats 1919 — 1939 edited by G. A. Craig and Felix Gilbert (Princeton, 1953)

Documents on International Affairs, edited by J. W. Wheeler-Bennet ; S. A. Heald, D. Folliot, and M. Curtis

1928, 1929, 1930, 1931, 1932, 1933, 1934, 1935, (2 vols), 1936, 1937, 1938, (2 vols), 1939-46 (2 vols), 1947-8, 1949-50, 1951, 1952, 1953

History of the Peace Conference ; edited by H. W. V. Temperley, 6 vols. Volume Six deals with the Arab World.

Survey of International Affairs edited by Arnold Toynbee and Others. Annual Volumes.

1920-3, 1924, 1925 (2 vols., Volume two deals with the Arab world), 1926, 1927, 1928, 1929, 1930, 1931, 1932, 1933, 1934, 1935, (2 vols.) 1936, 1937 (2 vols.), 1938 (2 vols.), The Middle East 1939-45 and 1945-50, see

under kirk ; 1947-8, 1949-50, 1951, 1952, 1953

Roux (Charles) D'Isthme et La Canal de suez (Paris, 1901)

Russell (H.) The ruin of the sudan a resume of events 1883-91 (London, 1892)

Sabry (M.) La Genese de l'esprit national Egyptien (Paris, 1934)

Sammarco (A.), Precis de l'histoire d'Egypte, V. 4 (Rane, 1935)

Schefer (Christian) l'Algérie et l'evolution de La Colonisation française (Paris, 1928)

Schon field (Hugh J.), The Suez Canal in world Affairs (London, 1952)

Senusi - see under : Evans, Shukri Ziadeh

Shibeika (Mekki), British Policy in the Sudan 1882 -- 1902 (London, 1952)

Shibeika (Mekki), The Independent Sudan (New York. 1959)

Simons (M. Trouvers) Britain and Egypt : The Rise of Egyption nationalism (London, 1925)

Stuart (G. H.) The International City of Tangier (Stanford Univ. 1955) 2 nd. ed.

Sudan, see under: Abbas, Arkell, Barawi, Duncan. Egypt, Fabunmi Great Britain, Hill, Hœt, Machmichael, Shibeika, Theobald, Trimingham, Wingate

The Suez Canal Problen July 26 - Sep. 22, 1956, Department of State, U. S. A. , Oct. 1956

Suez Canal, see under : Jackson, Roux, Schonfield, Wilson

Survey of International Affairs : see under R. I. I. A.

Theobald (Alan B.) The Mahdiya, A history of the Anglo-Egyptian sudan 1881 - 1899 (London, 1955)

Toynbee (A. J.) Survey of International. Affairs 1925 (London, 1925)

Trimingham : Islam in the Sudan (London, 1949)

Tripoli - sed under : Abbott, Barclays, Bennet, Italy Libya

Tucker (Alfred R.) Eighteen years in Uganda and East Africa (London, 1908)

Tunisia - see under : Marcais, Martin, Maunier

Velay (Et) Les Rivalites franco - Anglaise en Egypte 1876-1904 (Toulouse, 1904)

Villard (H. S.) Libya (London, 1956)

Wharton (E) In Morocco (London, 1920)

Williams (seton) Britain and the Arab World

Williams (J.) Education in Egypt before British Control (Birmingham, 1939)

Wilson (Sis Arnold) The suez Canal (London, 1933)

Wilson (Dr. W. H.) The food Problem of in Egypt. J. Egypt. Med. An. 1939, p. p. 224

Wingate (Sir F. R.) Mahdism in the Egyptian Sudan (London, 1891)

Wingate (Sir Ronald) Wingate of the Sudan (London, 1955)

Work (Marg.) Egypt's peasant women M. W. 35, 1945. p. 32

Worrell (W. H.) A short account of the copts (London, 1945)

Worsfield (Basil), France in tunis and Algeria - Studies in Colonial Administration (London, 1930)

Young (Sir George) *Egypt* (London, 1927)

Yousef Bey (Amine) Independent Egypt (London, 1940)

Zan Zibar - see under Henry, Hellingsworths, Marsh, Oliver

Ziadeh (N.) Whither North Africa (Aligarh, 1957)

ثبت الاعلام

ت

ش

ص

ط

غ

* *